أثر العولمة في الحياة المعاصرة





دار البداية ناشرون وموزعون

الدكتور
هايل عبد المولى طشطوش


مكتبة
طريق العلم

أثر العولمة في الحياة المعاصرة

الدكتور
هايل عبد المولى طشطوش

الطبعة الأولى
2014 م / 1435 هـ



المملكة الأردنية الهاشمية

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية (2013/6/1941)

337

طشطوش، هايل عبد المولى

اثر العولمة في الحياة المعاصرة/ هايل عبد المولى طشطوش، عمان، دار البداية ناشرون وموزعون، 2013

( ) ص.

ر.أ.: 2013/6/1941

الواصفات: /العولمة// العلاقات الاقتصادية الدولية/

❖ يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية او أي جهة حكومية اخرى.



الطبعة الأولى

2014م / 1435 هـ



دار البداية ناشرون وموزعون

عمان - وسط البلد - تلفاكس 4640679 6 962+

ص.ب 184248 عمان 11118 الأردن

Info.daralbedayah@yahoo.com

خبراء الكتاب الأكاديمي

ISBN: 978-9957-82-271-2 (ردمك)

الإهداء

إلى أمتي الماجدة التي أراها ربيعاً مزهراً كله اخضرار

إلى شباب العروبة جيلاً قادماً يصنع المجد والفخار

إلى كل من طلب العلم وتحدى من أجله الأخطار

إلى من يحولون ظلام الجهل إلى أقمار وأنوار

أهدي هذا الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــــــة

الحمد لله وبه نستعين والصلاة والسلام على رسوله الأمين الأمي الذي علم المتعلمين ، أسال الله أن ينفعنا بما علمنا وان يعلمنا ما ينفعنا ، آمين وبعد:

أن مما لاشك فيه أن المتتبع لتاريخ البشرية يجد أن لكل مرحلة من مراحله وان لكل عصر من عصوره سمات وخصائص ومميزات تختلف تجعل كل فترة منة تختلف عما سبقها من الفترات فتطبع ذلك العصر وتلك الفترة بطابع مميز يسجله التاريخ ليكون شاهداً فيما بعد على الأحداث التي أفرزتها تلك المرحلة والتي تميزت بتلك الخصائص والمميزات.

وهذا هو حال البشرية التغير المستمر والتطور الدائم ، وهي سنة الله في الخلق ، فليس هناك ثبات واستقرار بل هو تغير وتطور مستمرين ، المتابع لحال البشرية يشاهد ذلك جلياً، حيث بداءت البشرية بالإنسان الأول الذي عاش في الكهوف واستخدم الحجارة كأدوات يقتات بها طعامه ويشعل بها النار ليطهو ما يصطاده من حيوانات الغابة لتكون طعاما مستساغ الطعم والمذاق .

وتتابعت الأيام وطور الإنسان نفسه وادواتة فانتقل من المغاور والكهوف الي بيوت الحجر والطين واخذ يعيش في جماعات إنسانية ومجتمعات مدنية أكثر تطورا وأكثر تحضرا ، إلى أن وصل إلى المجتمع السياسي المنظم الذي أقام في كنفة "دولة" مدنية متحضرة ونظاما سياسيا ينظم شؤون حياته ، ويطور من خلاله نظم حياته المعيشية الأخرى . ومع التطور والتقدم ظهرت الآلات والأدوات التي سهلت حياة الإنسان وجعلتها أكثر يسرا وسهولة ، إلى أن وصل إلى استخدام الكهرباء والوقود والآلات والمحركات فشاءت الحضارات المدنية الراقية التي جعلت من الثورة الصناعية أساسا تعتمد علية في صنع إمبراطورياتها الإنسانية الحديثة ، وازداد التطور والتقدم حتى شمل مجالات الحياة كلها ، إلى أن وصل الإنسان الى ما يعرف بالثورة التكنولوجية التي أحدثت في التاريخ الإنساني تغييرا

وتطورا لم تشهد له البشرية مثيلا ، فصنع الحاسب الذي هو المحرك الأساسي والرئيسي لمعظم شؤون حياته وطور وسائل الاتصالات والمواصلات وصعد إلى الفضاء ليكتشف عالما مجهولا جديدا بعلمه وتقنيته ، كل ذلك سهل علية الحصول على ما يريد وهو جالس في مكانة أما من خلال هاتف متنقل أو من خلال محطة فضائية يسهل الوصول أليها حيث استطاع أن يطوف العالم بثوان معدودة أو بكبسة زر واحدة دون أن يتحمل أي عنا أو مشقة ، فتحول العالم إلى قرية صغيرة يسهل الطواف فيها التعرف على ما تحتويه بثوان قليلة .

وأصبح التغير السريع سمة من سمات الحداثة التي يحيا في ظلها الإنسان ، فأصبح كل شيء يتغير بسرعة بحيث يشمل هذا التغير مجالات الحياة كلها ، الاقتصادية والاجتماعية والفكرية والثقافية والحضارية والسياسية والدينية والعلمية ......الخ، تغيراً لم يشهد مثله الإنسان من قبل ولكن كان على الإنسان أن يدفع ثمن هذا التغير الذي صنعته يداه حيث تغيرت الأهداف والأولويات وتغيرت المصالح والمنافع فتحول الإنسان إلى الاعتماد على الاقتصاد كدعامة رئيسية من دعامات استمرار حياته ودوام حضارته ، فأصبح الاقتصاد بكل ما يحويه من صناعة وتجارة وزراعة ورؤوس أموال وشركات كبرى وغيرها من المحتويات أصبح هو المحرك الرئيسي والأساسي في حياة الإنسان وبدونه لن تستطيع أي أمة أو حضارة أن تدوم أو تستمر أو تصمد في وجه تيارات التغيير والتطوير العاتية التي تجتاح كل شيء فلا تبقي ولا تذر .

بداءت ملامح التغير في الأولويات والأهداف تبرز بعد أن اشرف العالم بنظامه الثنائي القطبية على الزوال وظهور ملامح تيار جديد يبشر بنظام عالمي جديد حيث اصبح يلوح في الأفق معلناً أن حالة التوازن التي عاشها العالم في ظل الحرب الباردة إنها على وشك الزوال، والحرب الباردة التي عاشها العالم ليست بالقليلة فمنذ انتهاء الحرب العالمية الثانية عام 45 ألي أن جاء التغير الهام في بنية النظام العالمي الذي حول ة ألي نظام أحادي القطبية تتربع على عرشه دولة واحدة تنفرد بالقوة والنفوذ تعتلي هذا الهرم العالمي حيث انهر الاتحاد السوفيتي

وتفكك في بدايات العقد الأخير من القرن العشرين معلنا عهدا جديدا يحمل سمات وخصائص ليست في ما سبقه من الأيام والعصور ، هذه الحرب التي حافظت على توازن القوى في العالم لعقود عدة حيث كان التنافس بين القطبين على أشده فالكل يعمل بالخفاء دون أن تكون لدية الجراءة أن يطلق العنان لصواريخه ورؤوسه النووية تجاه الطرف الأخر لان كلا منهم يدرك أنة لو قام بهذا العمل فقد وضع حدا لنهاية العالم ، لذا فا لتوازن المشوب بالذر الذي عاشته الإنسانية لفترة ليست بالقليلة حمى العالم من شرور الأقطاب وتسلطهم ، ألا أن نهاية هذا التوازن كانت بظهور النظام الواحد الأقوى الذي استطاع أن يفرض نفسه على العالم وان يسيطر بأفكاره وقوته وأسلحته ويمد أجنحته لتطال الشرق والغرب ، وهنا برزت على السطح مفاهيم لم تكن تأخذ هذا الحيز الذي أخذته ولم تكن تسيطر على وسائل الأعلام كما هو الحال ألان ، ومن أهم هذه المفاهيم هو مفهوم " العولمة " الذي ووجد وظهر ليجعل من العالم كله قرية صغيرة يسود فيها نظام واحد يشمل كل مجالات الحياة ليفرضه الطرف الأقوى على الطرف الضعيف . فبداءات الموازين بالتغير وبداءات القيم والعادات والثقافات تتعرض لازمة ليست كسابقتها من الأزمات ، أزمة التعولم والتغير ألقسري الذي يفرض عليها من الطرف الأقوى الآتي مع رياح التغير التي بداءت تهب من كل حدب وصوب

إما هذا الضعيف ، ومع هذا التعولم الإجباري المفاجئ بداء يعاني من أزمات كثيرة لان ما جاءه من تغييرات لم تراعي فيه الخصوصية الثقافية والحضارية أو الاجتماعية أو القيمية ، فبداءت تخترق كيانه وتهز بنيانه ، لذلك كان لزاما علية أن لا يدير ظهره وينكفئ على ذاته وينغلق على نفسه مدعيا حفاظه على ارثه ، بل أصبح من الواجب علية ولكي لا يضيع وسط الزحام ، أن ينفتح ويتعامل مع الآخرين وان ينتقل في كافة مجالات حياته ألي هذا العالم الجديد متسلحا بالقوة الفكرية والدينية (خصوصا نحن المسلمين) محافظا على خصوصيته متجاوزا عقبات التحضر والتمدن منطلقا ذهنيا وعقليا بأفكار ابنائه

مطلقا لعقولهم حرية التفكير والإبداع وذلك لكي يتمكن المجتمع من النهوض والعيش في هذا الوسط (المتعولم) المزدحم بالإشكاليات التي لا تعد ولا تحصى .

وهذا التغير الذي بداء يحدث – بل حدث فعلا – والذي اخذ إشكالا متعددة من التطور العلمي الهائل والثورة التقنية الرهيبة كان له دور كبير أيضا في تغيير الإنسان الذي بداء يوظف هذا التطور وهذا التقدم من اجل تحقيق أهدافه بغض النظر عن الوسائل التي قد يستخدمها ، فمصالحة – أي الآخر ، القوي – أصبحت فوق كل اعتبار لا للقيم الإنسانية والأخلاقية وأصبح يوظف ذكاءه للسر أكثر من الخير مما دفع بالعالم والمجتمع الإنساني بأسرة لازمة أخلاقية رهيبة كان من نتائجها الحروب الطاحنة المتطورة تكنولوجيا وعلميا والتي كان من آثارها ازدياد عدد المشردين والمهجرين والجياع والأيتام والأرامل والفقراء وازدياد الدمار والخراب والاستعباد والاستعمار المتطور ناهيك عن الإذلال وضيع حقوق البسر واختراق خصوصياتهم من أوسع الأبواب .

ذلك كلة وغيرة كان نذير شر وشارة حمراء للطرف (الأضعف) لكي يشمر عن ساعديه ويسعى بكل ما أوتى من قوة مادية ومعنوية وحضارية وثقافية استعدادا لهذه المعركة الإنسانية الشاملة التي أساسها العلم والتقدم التكنولوجي والثورة الهائلة في الاتصالات والمواصلات ، لذا كان لزاما أن يدرك (الأضعف) أن يكون قويا متسلحا بالإنسان الناضج فكريا وعلميا وعقليا ،لان الإنسان المنكفئ على الذات المتقوقع في بوتقة الماضي لا يريد أن يخرج منها بحجة المحافظة على الإرث الذي كان ، وهذا التسلح لا يكون ولن يكون إلا بحماية الإنسان وحقوقه وتوفير سبل العيش الكريم له وتوفير الأمن بكل محتوياته ، الأمن الشمولي : سياسيا ، اقتصاديا، اجتماعيا ، فكريا...... لكي يكون حرا كريما قويا فاعلا في مجتمعة.

فالذي يصنع المجتمع القوي من كافة جوانبه هو " الإنسان" الإنسان المثقف ، الإنسان الواعي ،الحر ، المنطلق فكريا ، المتسلح بالعلم والمعرفة ، وهذا ما تنبه له الفلاسفة القدماء من الإغريق وغيرهم كأفلاطون وار سطو وغيرهم ممن طالبوا

بحرية التفكير وإطلاق العقل من عقاله ليجول في عالم الفكر كيفما يشاء ، بل أنهم أوجدوا لذلك المذاهب الفكرية الاستنباطية منها والتحليلية ،لأنهم أدركوا أن "الإنسان أولا " الإنسان صاحب المعرفة هو الذي يجب أن يسود ويحكم لان " المعرفة هي الفضيلة " وبدون المعرفة لن يكون هناك مجتمع قوي يجابه ويواجه ما يعترضه من رياح التغير بكل قوة وصلابة .

وفي ديننا الاسمي الحنيف نجد أن الإسلام دعي ألي النضج في التفكير وإطلاق الذهن من عقاله ليتفكر في خلق الله ليزداد معرفة وعلما وتتسع أفاقة وادراكاته وان لا يكون حبيس الجهل والتخلف ، فقد دعي القرآن الكريم ألي الانطلاق نحو الآفاق واختراق الفضاء وحض على طلب العلم والمعرفة وجعل له قدسية لا تدانيها قدسية .

وعودة لموضوع العولمة الذي هبت رياحه على عالمنا ومجتمعاتنا العربية والإسلامية ونحن –حسب اعتقادي- غير مستعدين لها ، سواء كان ذلك على المستوى الاقتصادي ، الاجتماعي ، السياسي ، المعرفي ، الفكري ، التعليمي، أو ألقيمي ،.... مما أدى إلى آثار أرعبت أمتنا ودبت الخوف في أوصالها مما سمي بالعولمة الحديثة الموسومة بالثورة المعرفية والتكنولوجية ، مما دفع البعض في مجتمعاتنا إلى قبولها وفتح الأبواب لها على مصارعها وقبول ما جاءت به سواء كان غثاً أم سميناً ، فاخذ السلبيات والإيجابيات لها دون القدرة على التمييز بينهما ، والبعض الآخر تحفظ عليها ورفضها محتجاً بأنها شر مستطير وفساد عظيم تجب مقاومته وعدم الآخذ به .

أما من حيث الواقع فان العولمة أمر واقع لا محالة لا يستطيع أي مجتمع وأية أمة أن تدير لها ظهرها وتنكفيء على ذاتها ، لان دخولها لمجتمعاتنا وبلادنا أصبح أمرا إجباريا لامناص منة ، لذلك كان لـه آثار اجتماعية واقتصادية وسياسية وعسكرية وفكرية وثقافية وقيميه ...... الخ ، أثار قد تكون سلبية في حين وقد تكون إيجابية في حين أخر ، وهذا ما سنبحثه با لتفصيل مع اقتراح الحلول الممكنة في كل مجال من المجالات لنكون مستعدين وبكل قوة لمواجهة هذا العملاق

العالمي الهائج والاستفادة من بذور الخير التي يحملها ورفض ما ينطوي علية من سلبيات مع المحافظة على خصوصية حضارتنا وثقافتنا وشخصيتنا المستقلة وان نكون متبوعين لا تابعين كما وجهنا لذلك ديننا الحنيف .

لذا فقد جاء هذا الكتاب محتويا على سبعة فصول تعالج العولمة بكل ما يتعلق بجوانبها الهامة ويوضحها بالتفصيل ،حيث احتوى الفصل الأول على تعريف العولمة وتحديد مفهومها إضافة إلى نشأتها وتطورها ، أما الفصل الثاني فقد احتوى على العوامل التي دفعت بالعولمة إلى الظهور على النحو الذي نرى، أما الفصل الثالث فقد عالج موضوع الآثار التي تركتها وتتركها العولمة على مجتمعاتنا من الناحية السياسية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية ..الخ ، أما الفصل الرابع فقد تم تخصيصه لتحليل الواقع العربي والإسلامي وما اعتراه من أثار جاءت بها العولمة وكيفية مواجهتها والتصدي لها ، والفصل الخامس فقد جاء ليتحدث عن تأثير العولمة على حقوق الإنسان ، حيث تم فيه بيان لآثار العولمة الايجابية والسلبية على حقوق الإنسان ،أما الفصل السادس فقد جاء ليوضح اخلاقيات العولمة السائدة وأثارها على حقوق الإنسان .بالإضافة إلى تخصيص مبحث ليتحدث عن المرأة واخلاق العولمة . أما الفصل السابع فقد جاء ليبين الطرق الأفضل للتعامل مع معطيات وتحديات العولمة وكيفيه التعامل معها.

راجيا من الله أن يكون هذا الجهد في سبيله ومن اجل أن ينفع بة الأمة ليكون جزاء ولو يسيرا من العلاج الذي يعيد لها عزتها وكرامتها .

قال تعالى: "وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون" .

صدق الله العظيم

والله من وراء القصد

المؤلف

الفصل الأول

العولمة ماهيتها وكنهها

- التعريف وتحديد المفهوم.
- النشأه والتطور التاريخي.
- أشكال العولمة .

الفصل الأول

المبحث الاول

تعريف العولمة وتحديد المفهوم .

لاشك أن مصطلح " العولمة " (Globalization) – وبعد أن برز واضحاً على السطح – احتاج ألي التعريف والتوضيح، فانبرى لذلك المفكرون وتصدى لذلك الكتاب والباحثون ونشطوا في الكتابة والبحث في هذا المجال فحدث حراك أدبي واسع النشاط يتحدث عن العولمة محاولا تحديد مفهومها وتعريفة بشكل مفصل ، فكثرت التعاريف واختلفت وتنوعت باختلاف الباحث نفسه والزاوية التي نظر كل واحد منهم ألي العولمة من خلالها فتعددت معانيها مع اختلاف مقاصد المتحدثين عنها لدرجة أن المرء يصاب بالحيرة إزاء هذا الكم الهائل من الدراسات والأبحاث التي تناولت الحديث عن هذا المفهوم سواء في مجال التعريف أو الأسباب التي دفعت بالعولمة ألي الظهور والتجلي بهذا الوضوح اللافت للانتباه .

لذلك فان تعريف العولمة ليس محددا بكلمات معينة أو محصورا بتعريف مقيد بعدد من السطور والعبارات بل هو واسع وشامل قد يتسع لدرجة أن يحتوي كل جوانب الحياة الإنسانية ، فهناك التعريفات المتعلقة بالجانب الاقتصادي وهناك الجانب الاجتماعي والثقافي والفكري والديني والحضاري ... الخ، فالبعض نظر ألي العولمة على أنها جزء من التطور الطبيعي للحياة الإنسانية ومرحلة من مراحل تطور الحياة البشرية حيث عرفها بعضهم على أنها " التطور الطبيعي للحضارة " .([1])

([1]) .هناك مؤلفات هائلة العدد تحدثت عن تعريف العولمة وللمزيد من التفصيل يكن الرجوع أليها

- نايف علي عبيد "العولمة والعرب " مجلة الطريق ، العدد (4) ،1977،ص34.

ويرى بعض الباحثين بان العولمة " هي نمط سياسي واقتصادي وثقافي لنموذج غربي متطور " ([1])أما الفيلسوف الفرنسي المسلم " روجيه غارودي " فيرى بان العولمة هي "نظام يمكن الأغنياء من فرض الديكتاتوريات اللانسانيه التي تسمح باختراق الآخرين بحجة التبادل الحر وحرية السوق" ([2])،أما الباحث سيد ياسين فأنة يرى بان العولمة هي "سهولة حركة الناس والمعلومات والسلع بين الدول وعلى النطاق الكوني " .([3])

ويرى كثير من الباحثين وكما أسلفنا بان العولمة هي " فرض النموذج الغربي بكل ألوانه المختلفة من اقتصاد وسياسة وسلوك وتربية وثقافة وما يتعلق بذلك من قريب أو بعيد ضمن سياق فكري في ظاهرة السعادة وفي باطنه العذاب لدول خارج المنظومة الغربية " .([4])

ونظر بعض الباحثين ألي العولمة نظرة موضوعية وبصورة مجردة ومحايدة دون اتخاذ سلبي أو إيجابي منها وارتضى لها تعريفا محايدا فعرفها بأنها " جعل العالم مجالا لممارسة النشاطات الإنسانية المتعددة ، الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية .... الخ ، أي إمكانية ممارسة النشاطات المتعددة على مستوى العالم دون أية قيود أوحوا جز ".([5])

أما المفكر والباحث الإسلامي الدكتور عبد العزيز التو يجري فأنة يرى بان العولمة إذا نظرنا أليها من وجهة قانونية واقتصادية فأنها تكون ، تلك الظاهرة التي تسمح بزيادة الاعتماد المتبادل بين سكان العالم بصورة تؤدي ألي تداخل المصالح الاقتصادية وتشابكها وتمتد بتأثيراتها لتشمل باقي مجالات الحياة من ثقافة وإعلام وتعليم وعلوم وتكنولوجيا واتصال .... الخ.([6])

([1]). محمد مرهف حسين أسد، " **العولمة رؤية إسلامية** "دار وحي القلم ،دمشق ،2003،ص10

([2]). المصدر السابق ،ص10.

([3]).سيد ياسين ،نقلاً عن د.عبد الرشيد عبد الحافظ ،"**الآثار السلبية للعولمة على الوطن العربي و سبل مواجهتها**" ، القاهرة،مكتبة مدبولي ،2005،ص10

([4]). د،محمد عوض الهزايمة ،"**قضايا دولية**" ،عمان ،2004،ص227

([5]) .د. عبد الرشيد عبد الحافظ ، مصدر سابق ،

([6]). د. عبد العزيز التو يجري ، **العالم الإسلامي والعولمة**، دار الشروق،2002،ص14.

ويرى بعض الباحثين أيضا بان العولمة قد تعني "صياغة جديدة لمنظومة القوة القديمة فهي اسم مخفف ومهذب يجري تسويقه من قبل الدول العظمى وخاصة الرأسمالية ، أي أنها لفظ جديد لمضامين قديمة "([1]) .هناك من رأى من الباحثين أن العولمة ليست مجرد ظاهرة اقتصادية ولاهي كذلك حتما في أساسها ، بل أن العولمة تتعلق بالزمان والمكان بل أن معناها المحدد هو العمل أو التاثير عن بعد ، ويرتبط شيوعها بكثافة في السنوات الأخيرة بظهور وسائل الاتصال الفوري وحركة الانتقال الجماعية الواسعة على نطاق الكوكب ، وليست العولمة عملية واحدة ووحيدة بل هي مزيج مركب من عمليات تعمل في الغالب الأعم بأساليب متناقضة تنتج عنها نزاعات حادة وأشكال جديدة من التالفات الطبقية ".([2]) ويعرفها الباحث والمفكر العربي إسماعيل صبري بأنها " التداخل الواضح لأمور السياسة والاجتماع والثقافة والسلوك دون اعتداد يذكر بالحدود السياسية للدول ذات السيادة ا والانتماء ألي وطن محدد أو لدولة معينة ، فالعولمة إكساب الشيء طابع العالمية وجعل نطاقه وتطبيقه عالميا.([3])

وهنا نورد تعريفا للدكتور المأمون علي جبر المحامي للعولمة حيث يقول "أنها سعي الشمال عن طريق تفوقه العلمي واتقني للسيطرة على الجنوب ،تربويا وثقافيا واقتصاديا وسياسيا بدعوى مساعدته على التنمية الشاملة وتحقيق العدالة في الاستثمار والرفاهية للجميع .([4])

وهناك تعاريف أخرى للعولمة قدمها بعض الباحثين والمفكرين الغربيين من أمثال (مالكوم وترز) حيث قال بان العولمة " هي كل المستجدات والتطورات التي تسعى بقصد او بغير قصد الى دمج سكان العالم في مجتمع عالمي واحد " أما

([1]).د. حميد السعدون ،**العولمة وقضايانا**، عمان ، دار وائل،1999،ص13.

([2].) انطوني جيد نز، **بعيدا عن اليسار واليمين**،سلسلة عالم المعرفة ،العدد286،ترجمة شوقي جلال،اكتوبر2002،ص،ص12،11.

([3]) .إسماعيل صبري عبد الله ، "**الكوكبة الرأسمالية العالمية في مرحلة ما بعد الإمبريالية**، مجلة الطريق، العدد4،تموز \آب 1997،ص47.

([4])المأمون علي جبر المحامي، "**اخلقه العولمة بالسلوك الفطري**" ، مكتبة الآداب،القاهرة ،2002،ص6.

(انتوني غيدنس) فأنة يعرف العولمة على أنها " مرحلة جديدة من مراحل بـروز وتطور الحداثة حيث تتكثف فيها العلاقات الاجتماعية على الصعيد العالمي " أما (روبرتن) فأنة يقول بان " العولمة هي اتجاه تاريخي نحـو انكمـاش العـالم وزيـادة وعي الأفراد والمجتمعات لهذا الانكماش ". ([1])

وهناك من طرح ما يسـمى بمفهـوم العولمـة المعاصـرة الـتي عرفهـا " بأنهـا الخضوع لمجموعة من القواعد والمعايير الدولية التي تنظم مجالات كانت تدخل في تصميم سيادة كل دولة من حقوق الإنسان إلى المجال السياسي إلى اقتصاد السوق بما يتضمنه من إزالة القيود على انتقال رأس المال والسـلع والخـدمات والعمالـة وحقوق الملكية الفكرية في المجـال الاقتصـادي وانتقـال الأفكـار والمعلومـات في المجال الثقافي ".([2])

([1]) مجموعة محاضرات ألقيت على طلبة العلوم السياسـية في جامعـة ال البيـت ضـمن مـادة الفكـر السياسي الإسلامي ، نيسان 2006.

([2]) فارس العمارات ، *التنمية في ظل العولمة هل تزداد الجريمة* ، صحيفة الـرأي ، العـدد 13062، تاريخ 1/ 7/ 2006.

- يرى الباحث ان من الأمور الهامة التي بلورت مفهوم العولمة المعاصرة هي : فكرة (فرانسيس فوكو ياما) حول نهاية التاريخ ، وظهور مفهوم النظام العالمي الجديد ، ثم ظهور نظرية صـدام الحضـارات التي صاغها (صموئيل هنتنغتون) .

المبحث الثاني

النشأه والتطور التاريخي للعولمة .

أدركنا مما سبق بان ظاهرة العولمة هي أمر لا يمكن إنكاره ولا مجال للتغاضي عنة ، فهو ظاهرة ملموسة ومحسوسة ومشاهدة بالعين المجردة من خلال آثارها ونتائجها وتجلياتها وكل معطياتها ، ولكن يجب أن ندرك بان هذه الظاهرة لم توجد فجاءه وبشكل طفرة وبدون تاريخ أو مقدمات ([1])، بل لابد لمعظم الظواهر في هذا الكون من نشاءه تاريخية تشكل قاعدة لها لوصولها ألي قمة الوضوح والتجلي ،والعولمة كغيرها من الصعب علينا القول بأنها جاءت بشكل مفاجيء ومباغت ، فالمتصفح للتاريخ يدرك بعد أن يربط التعاريف السابقة التي جاء بها المفكرون مع الواقع يدرك أن العولمة قديمة قدم الإنسان فمنذ أن قتل قابيل أخاه هابيل وسعى للسيطرة علية وبسط نفوذه على ممتلكاته وجعلها خاضعة لأمره ونهيه نوضع بذلك اللبنة الأولى في بناء ظاهرة العولمة ، ثم جاءت بعد ذلك المجتمعات الإنسانية التي حاول كل طرف منها أن يفرض نفسه على الآخر وخصوصا عندما تتوفر لذلك الأسباب والتي من أهمها المنعة والقوة والنفوذ ، وما سعي الحضارات الكبرى كالرومانية- مثلا – لبسط نفوذها على العالم وما جاء بعدها وما سبقها من حضارات إنما هو سير في طريق العولمة ، بل

([1]) يقول الباحث فارس العمارات في مقالة لة في جريدة الرأي الأردنية بعنوان (التنمية في ظل العولمة هل تزداد الجريمة) : والعولمة ليست موضوعا جديدا وان كان الحديث عنها قد كثر في السنوات العشر الأخيرة من القرن الماضي بل ان البعض يرى انها ظاهرة مستمرة منذ فجر التاريخ ، وان اختلفت مسمياتها وأهدافها وأدواتها ، ونظرا لحساسية المفهوم ولارتباطه بعدد من الايدولوجيات الفكرية فقد تعددت الاجتهادات بشان وضع تصور محدد للعولمة فأطلق البعض على العولمة (مرحلة ما بعد الحداثة – او الحداثة الجديدة) ويقول: رغم التداول الكبير لمفهوم العولمة في الآونة الأخيرة إلا انة من حيث المضمون ضارب في أعماق التاريخ الإنساني فقد تحدث الفلاسفة عن المواطن العالمي ، والعالمية ولكن طبيعة عملية العولمة والياتها هي التي تغيرت وتطورت بتطور وسائل الاتصال وتشابك المصالح بين الدول وكانت العولمة في الماضي شان الحاضر ، أي ما يعني السيطرة والهيمنة .' العدد 13062 تاريخ 1/ 7/ 2006.

هو إعلاء البناء في صرح العولمة ، وفي هذا الصدد يقول الدكتور المأمون علي جبر المحامي : باستقراء التاريخ يتبين أن العولمة المعاصرة ليست جديدة ولا هي وليدة وقتنا الحاضر فهي ظاهرة نشاءت مع ظهور الإمبراطوريات في القرون الماضية ، ففي السابق حاولت الإمبراطوريات –الرومانية ، الفارسية – أن تصبغ الشعوب التي تبسط نفوذها عليها بثقافتها ،وتطغى هذه الثقافة في مختلف جوانب حياة هذه الشعوب حيث عملت هذه الإمبراطوريات لتوجيه قيم هذه الشعوب وتقاليدها وحضارتها وفق أنماط الحياة التي تريدها فكانت هذه خطوة نحو العولمة،([1]) وفي التاريخ الحديث وعندما فرض الإنسان نفسه على كل أجزاء هذه البسيطة وعندما لم يعد أي جزء منها خارج دائرة نفوذه وسيطرته كانت هذه العملية بحد ذاتها تطور هائل في شموخ هذا البنيان وارتفاعه أكثر فأكثر .([2])

وفي العصور المتقدمة وعندما أراد الإنسان أن يعزز وجودة على هذه الأرض بثورته الصناعية الهائلة اخذ يبحث عن مصادر أولية لمصانعة وأسواق لتصريف بضاعته ، فكان لابد له من بسط نفوذه ولو بالقوة من جديد على أجزاء من هذا الكون تحقق له طموحة وتلبي لي رغباته فنشطت حركة الاستعمار الحديث في إرجاء مختلفة من هذا العالم وسعى الإنسان يفرض نفسه وأنظمته وحضارته وثقافته ولغته وعاداته وقيمة وافكارة على غير من بني البشر من اجل أن يحقق اطماحه وأطماعه بغض النظر عن الوسائل المستخدمة في ذلك ، وما الحروب الكونية الأولي والثانية إلا نتاج هذه الأطماع والرغبات هدفها السيطرة و الهيمنة وجعل العالم كلة يدور في فلك حضارة واحدة ألا وهي الحضارة الغربية .

وتطورت الأمور وتتابعت الأحداث وصولا إلى ما نشاهده اليوم من نظام عالمي جديد تسوده ثورة العلوم والتكنولوجيا وتحكمه قيم المادة والاقتصاد بعيدا

([1]) المأمون علي جبر المحامي ،مصدر سابق ،ص5.

([2]) يرى بعض الباحثين بان اكتشاف أميركا عام 1462م هو بداية تاريخ العولمة الحديثة حيث وضع الإنسان يده على كل أجزاء المعمورة واصبح قادرا على تطويعها كما يريد .

عن ضوابط الأخلاق والدين ،والهدف من ذلك كلة هو تسهيل مهمة الآخر القوي لبسط نفوذه بكل سهولة ويسر على كل أرجاء الكون والتبشير بما يؤمن به من مفاهيم جديدة تشمل كافة مجالات الحياة مستخدما لذلك القوة العسكرية والثورة التقنية الهائلة في المعلومات والاتصالات .

كانت بداية العقد الأخير من القرن الماضي - تقريبا -هي نقطة التحول الرئيسية في بنية النظام العالمي ، حيث أخذت العولمة الحديثة Modern globalization إن جاز لنا التعبير – أخذت بالتشكل والبروز بوضعها الجديد الذي يختلف عما سبقها من أنواع وأشكال للعولمة ، فانهيار الاتحاد السوفيتي والملكية الفردية للنظام العالمي والثورة الهائلة في تقنية المعلومات وثورة الاتصالات والحواسيب والإنترنت وتطور استخدام الأقمار الصناعية([1]) وتحول الشبكة العنكبوتيه ألي مكتبة عالمية متحركة تحتوي على كل ما قد يخطر ببال المرء من علوم ومعارف وأفكار وفنون وثقافة وتسلية ..... يسهل الوصول أليها بسبب تدني التكلفة والسهولة في الاستخدام ، وكثر عدد المستخدمين لهذه الشبكة لدرجة انه وصل عدد المشتركين عام 2000 ألي 400 مليون مستخدم وتتوقع مصادر الأمم المتحدة أن يصل العدد إلى مليار مستخدم عام 2005 م.([2])

ويرى بعض الباحثين بان ظاهرة العولمة المعاصرة هي ظاهرة خاصة ومتميزة لها سمات وملامح وخصائص أنتجتها ظروف معينة في هذه الفترة من التاريخ الإنساني ، هذه الظروف تختلف عن أي ظروف كانت سببا لظواهر أخرى سابقة قد تتشابه مع هذه الظاهرة([3])، ولا نجانب الصواب إذا ما قلنا بان العولمة ووجدت بأشكال وأنواع مختلفة عبر سلسلة التاريخ الإنساني ، فلكل مرحلة " عولمة " تختلف عن العولمة التي سبقتها وتختلف عن العولمة التي بعدها والعولمة التي

([1]) هناك اكثر من (500) قمر صناعي تدور حول الأرض تبث في كل اتجاه (د.مأمون علي جبر المحامي ، مصدر سابق ،ص17.

([2]) تقرير التنمية البشرية للعام 2001 الصادر عن برنامج الأمم المتحدة ، نقلا عن د عبد الرشيد عبد الحافظ ، مصدر سابق، ص20.

([3]) عبد الرشيد عبد الحافظ ، مصدر سابق ، ص18.

نشاهدها اليوم كما يبدو هي سمة هذا العصر وميزة هذا الزمان ، وهذا ما أكد علية الباحث (فيليب مالما يكل) عندما قال : "بان مشروع العولمة ليس خاص بعصرنا ، كما قد يظن البعض لكن العولمة كرؤية لتنظيم العالم هي خاصة بعصرنا " .([1]) كل ما سبق يدلنا دلالة واضحة على آن العولمة لم تأتى طفرة وبشكل مفاجئ بل أنها سلسلة تاريخية متصلة أوصلتها إلى ما نشاهده اليوم وما الظروف والأحوال والتطورات التي ذكرناها أنفاً ألا درجات قفزت من خلالها العولمة ألي وضعها الحالي .

([1])فيليب مالمايكل، العولمة أساطير وحقائق" سلسلة عالم المعرفة ، العدد (310) الكويت ديسمبر 2004،ص141 .

المبحث الثالث

أشكال العولمة

ظهرت العولمة الحديثة بأشكال متنوعة ومتعددة تنسجم مع مصالح القوى الداعمة والمؤيدة لظهورها وتتناغم مع الأهداف الإستراتيجية البعيدة المدى للقوى العظمى في مختلف الميادين والحقول ولعل ابرز أشكالها هو الشكل الاقتصادي والسياسي والثقافي بالإضافة الى الاجتماعي إضافة إلى العولمة العسكرية والقيميه وغيرها من الأشكال والتي شملت كافة نواحي النشاط الإنساني أما أبرزها([1]):

1. العولمة الاقتصادية :

ان تحول العالم الى قرية صغيرة قرب من حدوده وأذاب ما بينها من حواجز مانعة للتبادل التجاري والاقتصادي مما أزال العوائق الجغرافية والجمركية وحرر التجارة وسهل من انتقال رؤوس الأموال وجعلها حرة طليقة تحركها الشركات المتعددة الجنسية كيفما تشاء وبما يخدم مصالحها وأهدافها ، ومما عزز من العولمة الاقتصادية هو ظهور المؤسسات المالية الكبرى كالبنك الدولي وصندوق النقد ومنظمة التجارة الحرة وغيرها .

2. العولمة الثقافية :

هناك سعي حثيث من قبل صناع العولمة الى فرض نموذج ثقافي واحد يسود العالم كلة وهذا النموذج جل محتواة هي قيم ثقافية غربية يتعارض معظمها مع خصوصيات الشعوب الثقافية والحضارية وهذا ما سبب إشكالية سنتناولها لاحقا بالبحث والتفصيل .

([1]) يمكن مراجعة العديد من الكتب التي تحدثت عن إشكال العولمة بالتفصيل مثل :
- محمد مرهف حسين أسد ، مصدر سابق .

3. العولمة السياسية :

الأوضاع السياسية التي شهدها العالم وخصوصا في العقد الأخير من القرن الماضي والتي كان من أهمها تحول النظام العالمي إلى نظام أحادي القطبية تهيمن علية قوة واحدة بالإضافة الى انهيار الاتحاد السوفيتي وانتهاء الحرب الباردة والرغبة في الهيمنة والسيطرة وتامين الأهداف الإستراتيجية البعيدة المدى من قبل الدول العظمى في أنحاء العالم المختلفة كل ذلك وغيرة مما نشاهده من أحداث سياسية متسارعة ومتوالية يثبت أن العالم يشهد عولمة سياسية من نوع مختلف .

4. العولمة الاجتماعية :

وهي العولمة التي تسعى إلى اختراق المجتمعات والدخول الى تفاصيلها الخاصة بغية تحويلها الى مجتمعات تابعة ومنفذة للقيم الاجتماعية الغربية ونزع قيمها الخاصة من بين أبناءها وأفرادها واستبدالها بنماذج لأتمت بصلة إلى خصوصياتها ومبادئها التي نشاءت عليها .

يرى بعض الباحثين والدارسين للعولمة وأشكالها بأنها تتضمن أشكالا أخرى كثيرة مثل : العولمة الدينية ، والقيمية والإعلامية واللغوية والتشريعية والعسكرية وغيرها وهذا ما سنأتي على شرحه بالتفصيل في مواضع مختلفة .

أما عملية قياس الدول ومدى انسجامها مع العولمة سواء اجتماعيا او سياسيا أو اقتصاديا فقد تصدت لقياسها الكثير من مراكز الدراسات والأبحاث والمعاهد العلمية المتخصصة ووضعت لذلك معايير مختلفة تبين مركز الدولة في مؤشر العولمة ومن أمثلة هذه المعاهد، معهد (KOF)السويسري المتخصص بدراسات الدورة الاقتصادية والذي وضع مؤشر للعولمة يغطي ثلاثة أبعاد رئيسية هي : اجتماعية ، سياسية ، اقتصادية، أما مؤشر العولمة الاقتصادية فأنة يضم العناصر التالية :

- حصة التجارة للناتج المحلي الإجمالي .
- حصة الاستثمار الأجنبي المباشر للناتج المحلي الجمالي .

- حصة الاستثمار المحفظي للناتج المحلي الإجمالي .
- دخول الرعايا الأجانب .
- عوائق على الإيرادات .
- معدل التعرفة الجمل ركية .
- نسبة الضرائب على التجارة الدولية للإيرادات الجارية.
- قيود على الحساب الرأسمالي .

أما مؤشر *العولمة الاجتماعية* فأنة يضم العناصر التالية :

- عدد مستخدمي الانترنت .
- الحصة من السياحة الدولية .
- عدد خطوط الهاتف بالإضافة إلى حجم المكالمات الخارجية .
- عدد الصحف اليومية .
- نسبة الأجانب من عدد السكان .

أما مؤشر العولمة السياسية فأنة احتوى العناصر التالية:

- عدد السفارات في الدولة .
- عضوية الدولة في المنظمات الدولية .
- المشاركة في بعثات مجلس الأمن الدولي .

ان نتائج الدراسة التي أصدرها معهد (كوف) في شهر تموز 2006 أظهرت ان الدول الصناعية المتقدمة وعلى رأسها الولايات المتحدة تتصدر مؤشر العولمة العالمي برصيد (5 ،41) من عشرة نقطة تلتها السويد (4،99) ثم كندا (4،95) ثم بريطانيا (4،48) ثم لوكسمبورغ (4،40) أما الدول العربية فان الجدول التالي يبين موقع كل دولة من المؤشر الكلي للعولمة:([1])

مؤشر العولمة الاقتصادية وترتيب الدول العربية حسب دراسة مؤشر العولمة الصادر عن معهد (كوف) السويسري لعام 2006.

([1]) صحيفة الرأي، العدد 13038،تاريخ 7/ 6/ 2006الاردن

الدولة الترتيب عربيا	الرصيد
البحرين	5،13
عمان	4،62
الكويت	4،43
الأردن	4،09
مصر	3،41
الجزائر	3،26
المغرب	3،14
تونس	3،06
سوريا	3،05
الإمارات	-
السعودية	-

أما مؤشر العولمة الاجتماعية فكان كما يلي:

ترتيب الدول	الرصيد
الكويت	2،84
البحرين	2،63
الإمارات	2،30
الأردن	1،13
عمان	1،13
مصر	0،59
تونس	0،58
سوريا	0،53
المغرب	0،52
الجزائر	0،43
السعودية	-

أما مؤشر العولمة السياسية فكان كمايلي:

ترتيب الدول	الرصيد
مصر	4،40
الأردن	3،37
تونس	2،51
الجزائر	2،46
المغرب	2،12

السعودية	2،01
الكويت	1،59
الإمارات	1،54
سوريا	1،51
عمان	1،03
البحرين	1،01

اما في المؤشر الكلي للعولمة فكان ترتيب الدول العربية كما يلي:

ترتيب الدول عربيا	الترتيب عالميا	الرصد بالنقاط
الإمارات	21	3،69
الكويت	32	3،03
البحرين	34	3،03
الأردن	38	2،78
مصر	45	2،63
عمان	61	2،30
تونس	82	1،98
الجزائر	83	1،97
المغرب	90	1،87
سوريا	99	1،67
السعودية	123	-

الفصل الثاني

العوامل التي دفعت بالعولمه إلى الظهور

1. العامل السياسي والدولي.
2. ثورة المعلومات والاتصالات.
3. العوامل الاقتصادية.
4. العوامل الثقافية والحضارية والأيدلوجية.

الفصل الثاني

العوامل التي دفعت بالعولمة إلى الظهور

قد تختلف الاتجاهات والافكار والطروحات حول الوصول إلى تعريف موحد للعولمة أو الاتفاق على تاريخ محدد لبدء العولمة، ألا أن الجميع قد يتفقون على أن هناك عوامل رئيسية دفعت بالعولمة الحديثة إلى الظهور والبروز والتجلي بالشكل الذي نراه اليوم والسبب في ذلك أنها عوامل في جلها معاصرة وما زال العلم يشهد وقائعها ويعيش في ظلها وقد يكتوي بنار بعضها أو يجني ثمار البعض الأخر بشكل يومي ، لذلك فهي فهي عوامل ودوافع مشاهدة ومنظورة من الصعب بل من العبث التغاضي عنها أو إهمالها .

ولعلنا لا نجانب الصواب إذا ما قلنا بان هذه العوامل قد يكون بعضها عسكريا أو سياسيا والبعض الأخر اقتصاديا أو اجتماعيا والبعض الثالث علميا وتكنولوجيا أو قيميا وثقافيا . ومن أهم هذه العوامل :([1])

1. العامل السياسي والدولي ،والمتمثل بتفكك الاتحاد السوفيتي وانهيار النظام الشيوعي :

لقد كان الاتحاد السوفيتي يجثم بمساحته الضخمة وايدلوجيتة الحازمة على إحدى كفتي ميزان القوى في العالم ووحداً من أطراف الحرب الباردة التي دامت لسنوات طويلة ، واحد قطبي النظام العالمي الذي كان قائما آنذاك والذي دعي بنظام ثنائي القطبية إلى أن جاء العقد الأخير من القرن الماضي ليشهد تفكك هذه الدولة العظمى وانهيارها ، ومع هذا الانهيار وهذا السقوط بداء وجة العالم

([1]) يجمع معظم الباحثين على ان الأسباب الرئيسية التي دفعت بالعو لمة إلى الظهور هي أربعة تتمثل بما يلي:

أ.تدفق الاستثمارات ب. التقدم العلمي والتكنولوجي ج.الشركات المتعدية الجنسية د.تحرير التجارة الدولية

والبعض الأخر يرى أن انهيار الاتحاد السوفيتي وهيمنة الولايات المتحدة على عرش العالم هو السبب الرئيسي المباشر للعولمة لأنة افرز العوامل الأخرى .

يتغير حيث تحول النظام العالمي ألـي نظـام أحـادى القطبيـة تتربـع علـى عرشـة الولايات المتحدة الأميركية والتي بداءت منـذ ذاك بفـرض سياسـاتها وأفكارهـا على العالم كلة ، وبداءت بمد أجنحتها لتطال العالم كلة مستخدمة لذلك الوسائل والأساليب المختلفة لكي تثبـت موجوديتهـا وسـيطرتها لدرجـة أنهـا أصـبحت تتدخل بخصوصيات الشعوب والأمم ، قاصدة بـذلك تحقيـق أهـدافها – بعيـدة المدى – والمحافظة على مصالحها الخاصة .

2. **الثورة الهائلة في العلوم والتكنلوجياوالاتصالات:**

لا شك أن العلوم والمعارف تتطور وتنمو باسـتمرار وهـي لم تتوقـف يومـا عن التطور ففي كل يوم اكتشاف واختراع جديد في كل مجـالات الحيـاة تقريبـا ، ولمن الملفت للانتباه هو ذلك التطور الهائل والثورة الرهيبة التي حصلت في تقنيـة المعلومات والاتصالات والمتمثلـة بـدخول الحواسـيب إلى كافـة مجـالات الحيـاة الإنسانية ، حيث أصبح هذا الجهاز الصغير يسيطر ويسـير معظـم شـؤون حيـاة الناس ، فأصبح الحاسب يسيطر وينظم حركة الطيران فيكل أجواء الدنيا وأصبح يسير المركبـات الفضـائية ويرسـل لهـا ويسـتقبل منهـا المعلومـات عـن الفضـاء الخارجي بل أنة دخل في تركيب الأقمار الصـناعية فهـو يـنظم سـيرها بمـدارات محددة حول الكرة الأرضية ، ويلعب الحاسب دوراً مؤثراً وقوياً في حياتنا اليومية حيث أصبح يستخدم في المـدارس والجامعـات والـوزارات والـدوائر الحكوميـة والمصـانع والمكاتـب والبنـوك والمستشـفيات ولـه أهميـة كـبرى في العمليـات والصناعات العسكرية ، ودخل الحاسوب الآلات والمحركات ،ناهيك ألحواسيب الصغيرة (micro computers) الرخيصة الثمن والشائعة الاستعمال حتى أنهـا أصبحت جزاء من الأمتعة الشخصية التي يحملها الفرد في حلة وترحالـه لدرجـة أنة سمي الحاسوب الشخصي (personal (computer لأنـة أصـبح بحجـم كفـة اليد أو الكتاب الصغير يسهل حملة ووضعه في أي مكان ، وتسـتطيع ألحواسـيب تنفيذ بلايين العمليات في الثانية الواحدة وهي بذلك تقـوم بمهـام حيويـة لخدمـة البشرية يعجز الإنسان عن القيام بها.

ولا يغيب عـن البـال تلـك الشـبكة ألعنكبوتيـه (internet)الـتي أصـبحت ضرورة لابد منها لكل من ينشد المعرفة والحصـول علـى المعلومـات مـن مئـات المصادر المختلفة ، حيث أصبح استخدامها متاحا لغالبية البشـر حتـى في الـدول الفقيرة والمعدمة وذلك لسهولة استخدامها وانخفاض تكلفتهـا ، حيـث أشـارت تقارير الأمم المتحدة للتنمية البشرية إلى الازدياد المضـطرد في عـدد المستخدمين لهذه الشبكة حيث وصل إلى مليار مستخدم عام 2005 م وحـوالي 5 ،2 مليـار صفحة تم الوصول أليها عام 2001 م .([1])

أما في مجال الاتصالات فحدث ولا حرج ، فانتشرت الأقمار الصناعية في فضاءات الدنيا تبث وترسل البرامج ألتلفازيه مـن والى المحطـات الفضـائية الـتي يشاهدها مئات الملايين من البشر في كافة أرجاء المعمورة لدرجة أن الكـون كلـه أصبح اقل حجما من القرية الصغيرة التي يسهل على سكانها أن يعرفوا بعضهم بعضاً بسهولة ويسر ، ناهيك عن ثورة الهواتـف النقالـة الـتي أصـبحت ضـرورة حتمية لكل شخص ، يستطيع من خلاله مخاطبة الدنيا كلها بسهولة ويسر ويـدير من خلاله الشخص شركاته وأرصدته وأمواله وعقاراته وتجارته ويحـرك طائرتـه الخاصة في الفضاء ويتحكم في باخرته في عرض المحيط وهو جالس مكانة دون أن يبذل أي جهد أو يتحمل أي مشقة([2]) ،"إن ثورة وسائل الاتصـال والحاسـبات

([1]) نقلاً عن د عبد الرشيد عبد الحافظ، مصدر سابق ,ص20.
- قد يكون لهذه الشبكة العنكبوتية دور في تعزيز حقوق الإنسان وقيمته وهـذا مـا أشـار إلية تقريـر دعم حقوق الإنسان والديمقراطية الصادر في شهر نيسـان عـام 2006 الصـادر عـن وزارة الخارجيـة الأميركية حيث أشار إلى أن الفضائيات والانترنت قد أسهمت في تجـاوب الحكومـات لشعوبها مـن تعزيز حقوقهم وحرياتهم .

([2]) يرى بعض الباحثين ان من تداعيات العولمة هو تحول العالم إلى قرية صغيرة تتكسر فيها الحـدود وتختفي فيها الفوارق ويصاغ فيها العالم صياغة موحدة في قالب يفرضـه القـوي علـى الضـعيف .... وان هم القادة السياسيين في ظل هذا الوضع هو تحقيـق التقـدم الاقتصـادي والمـادي لبلـدانهم ..... ولكن تعترض هذه الرؤية الإبعاد الفكريـة والثقافيـة وهـذا مـا سـبب جـدلا في المجتمعـات المتمدنـة والمتقدمة ، ويشير بعض الباحثين الى أهمية موضوع العولمـة الأخلاقيـة وأهميتهـا ودور أنصـارها في نقل التكنولوجيا وتوطينها في- الدول النامية خدمـة للرقـي والتقـدم الإنسـاني(نقـلا عـن : حامـد نبابتة، العولمة الأخلاقية والوسطية وسياسات التنمية، صحيفة الرأي الأردنية)، بشيء من التصرف.

الآلية قد أحدثت تغييرات اجتماعية هائلة لا يستطيع أحد إنكارها خاصة في النمو الهائل والمتسارع في العلاقات التفاعلية بين قطاع الاتصالات والمعلومات وبين سائر القطاعات الاجتماعية وخاصة في العقدين الأخيرين من القرن الماضي حيث أصبحت المجتمعات المتطورة تكنولوجياً توصف بأنها مجتمعات المعلومات ، وهذا يدل دلالة على إن التطورات التكنولوجية في مجال الاتصال والمعلوماتية قد نقلت الناس والمجتمعات إلى مراحل تطورية اجتماعية جديدة لم تعهدها من قبل .([1])

وكذلك أثرت هذه الثورة الاتصالية في مجال العلاقات الدولية حيث تخطت الحدود وربطت الشعوب مع بعضها البعض بسهولة ويسر من خلال وسائل الاتصال الدولية المختلفة ، مما سهل عملية تحقيق الأهداف والغايات والمنافع والمصالح المتبادلة بين الدول . ويذكر أن اغلب نشاطات الشركات المتعددة الجنسية هي في مجال الاتصالات والمعلومات حيث أن أكثر من ثلاثة أخماس استثمارات هذه الشركات هي في مجال الاتصالات والمعلومات".([2])

3. **ألا سباب الاقتصادية:**

وهذه تقريبا هي الأسباب المباشرة التي دفعت بالعولمة إلى الظهور بشكلها الحالي ،خاصة بعد أن باء النظام الرأسمالي ينتشر في العالم انتشار النار في يابس الحطب وخاصة مع أفول شمس النظام الاشتراكي وتحول كثير من الدول التي

([1]) جاءت كثير من الدراسات لتبين أن للتقنية الحديثة تأثيرات سلبية لايمكن إخفاءها ومن هذه المؤلفات كتاب الأمة (**التقنيات الحديثة ،فوائد وإضرار**) د. شعاع يوسف ،إصدار وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – قطر ، 1427،العدد 112، ص27- 30. حيث يقول :" مما لاشك فيه أن المبلغة في استخدام التقنيات الحديثة قد قلصت من قدرة أعضاء الجسم البشري واضعف الحواس الخمس كما انة قد سبب البطالة في مجالات عديدة حيث استطاعت التقنيات الحديثة تفكيك أعضاء الإنسان فأصبحت تعمل دون تنسيق او انسجام حتى أصبح فكر الفرد مشتتا ومشوها ...... كما اضمحل المخ وتبلد الفكر البشري بعد التقدم المذهل للحاسوب والانترنت بل ان سبب لنا الجلوس الطويل أمام الآلات والأجهزة الترهل والسمنة وإمراض العصر الأخرى ،".

([2]) د. ممدوح محمود منصور , **العولمة دراسة في المفهوم والأبعاد** ، دار الجامعة الجديدة ،الإسكندرية , 2003، ص130-133.

كانت تعتنق المذهب الاشتراكي كأيدلوجية اقتصادية لها ، إلى النظام السوق الذي يهدف إلى تحقيق الربح وحرية حركة رؤوس الأموال من خلال نظام المنافسة ، ولن يتحقق ذلك لها في إطار حدود الدولة القومية ، لذا كان لابد للشركات المالكة لرؤوس الأموال الكبر في العالم من أن تتحرك وبسرعة خارج حدود الإقليم وان تمد اذرعها شرقا وغربا لتحقق أهدافها الاقتصادية أولا والسياسية ثانيا بل قل العكس وأيضا قد يكون لها أهداف أخرى غير معلنة تسعى لتحقيقها من خلال ردائها الاقتصادي الجميل ، لذا برزت ظاهرة الشركات المتعددة الجنسية في العالم لتحدث نقلة نوعية في تغير الأنماط والأجواء الاقتصادية في العالم بالإضافة ألي قيام مؤسسات مالية دولية مهمة مثل البنك الدولي ومنظمة التجارة العالمية ([1])

وعودة إلى ظاهرة الشركات المتعددة الجنسية (multi national corporations) وهو تعبير يطلق على الشركات الكبرى والضخمة والتي لها شركات فرعية تعمل على تسويق منتجاتها في الدول الصناعية ، وترتبط هذه الشركات مع الشركة ألام في مقرها الرئيسي في الوطن الذي انطلقت مكننة ، وهذه الشركات الفرعية تعمل على تسويق المنتجات في أسواق البلد الذي تقيم فيه وذلك بسبب ضيق السوق الداخلي في البلد الذي ولدت فيه ، وتعمل ا لشركة ألام على توسيع وتشجيع نفوذ هذه الشركات فيما وراء الحدود لتحقيق أهداف كثيرة أهمها : الأهداف الاقتصادية المتمثل بتقوية رأس مالها من الأرباح المتحققة من تجارتها الخارجية ، والأهداف السياسية التي قد تتمثل بدعم نظام سياسي قائم أو تقليص نظام اخر لأسباب قد تخفى على الكثيرين ، لدرجة أن هذه الشركات العملاقة (super companies) أصبحت تتدخل في سياسات الدول الداخلية بل في خصوصياتها، ومن أبرز هذه الشركات هي شركات النفط

([1]) أسفر مؤتمر (بريتون وودز) الذي عقد عام 1944 عن إنشاء منظمتين دوليتين هما صندوق النقد الدولي والبنك الدولي للإنشاء والتعمير ثم الاتفاق العام للتعريفات والتجارة (الجات) ،انظر د. رشاد عارف يوسف السيد، **مبادئ في القانون الدولي العام** ،عمان ،1991،ص41.

والسيارات وخدمات التامين ، المالية والسياحه وشركات تكنولوجيا المعلومات ، ...... وغيرها .

وهذه الشركات قد يكون لبعضها فروع في عشرات الدول في أن واحد وهذا ما أعطاها الصبغة التعددية ، فمثلا شركة (IBM)لها فروع في أكثر من (80) بلد في العالم ([1])وشركة (Mobile) لها فروع في أكثر من (62) بلدا في العالم وشركة كوكا كولا مثلا لها (270) ألف فرع حول العالم ويضاف لذلك أن حجم رأس المال لبعض هذه الشركات قد يتجاوز مئات المليارات من الدولارات وأيضا قد يقترب عدد العاملين في بعضها من المليون عامل .([2])

وقد نما وتزايد عدد هذه الشركات بشكل سريع جداً لدرجة أنها وصلت إلى ما يقارب (140) ألف شركة متعددة الجنسية يتواجد معظمها في الدول الصناعية الكبرى مثل الولايات المتحدة وبريطانيا واليابان وفرنسا وألمانيا ، وتستأثر بحوالي 80٪ من إجمالي الناتج القومي العالمي وحوالي 85 ٪ من أجمالي التجارة العالمية ([3]). وكما أسلفنا فان بعض هذه الشركات تفوق قدراته الاقتصادية قدرات كثير من الدول حيث تجاوزت مبيعات شركة (General Motorsالسنوية أجمالي الناتج القومي لاندونيسيا -مثلاً- كما أن مبيعات شركة (Sony) مثلاً- كانت تساوي الناتج المحلي لمصر بينما مبيعات شركة (IBM) زادت عن أجمالي الناتج المحلي لكل من تشيلي وكوستاريكا والإكوادور معاً.([4])

أما منظمة التجارة العالمية فقد احدث تأسيسها نقلة نوعية في مجال العولمة الاقتصادية حيث أنها تبنت مشروع تحرير التجارة العالمية من قيود الجمارك

([1]) ذكر (بل غيتس) الرجل الأغنى في العالم أن: شركته "مايكرو سوفت" تحقق أرباحا شهرية تقدر بمليار دولار (الرأي ، العدد 13048، تاريخ 17/ 6/ 2006.

([2]) د. سعد حقي توفيق ، **مبادئ العلاقات الدولية** ، عمان ، دار وائل ، ص65-67 ، بشيء من التصرف .

([3]) نقلاً عن د. عبد الرشيد عبد الحافظ ،مصدر سابق ،ص24.

([4]) معهد بحوث الأمم المتحدة للتنمية الاجتماعية **"حالات فوضى الأثار الاجتماعية للعولمة"** ترجمة عمران أبو حجلة ، مراجعة : هشام عبد الله ، بيروت ، 1997،ص238.

وتعقيدات البيروقراطية المتعلقة بتطبيق القوانين المرتبطة بالتجارة الخارجية حيث أنها تولت التدقيق والتأكد من مدى التزام الدولة المنضوية تحت لواءها للقوانين والأنظمة التجارية المتعلقة بتسهيل تحرير التجارة وسهولة انسياب البضائع والسلع بعيداً عن التعقيدات الجمركية مما أنعش بل عزز العولمة الاقتصادية لدرجة قوية جداً .([1])

4. العوامل الثقافية والحضارية والأيدلوجية :

قد لا تبدو هذه الأسباب واضحة للعيان بشكل جلي إلا أن الوضع الذي أصبح قائماً في العالم اليوم وانفراد الولايات المتحدة بزعامة العالم الذي كان ينقسم أيدلوجياً إلى قسمين : الأيدلوجية الشرقية ، الأيدلوجية الغربية ، دفع هذا الواقع الولايات المتحدة لتثبت نفسها أمام العالم بأنها زعيم وسيد يستطيع أن يأمر فيطاع ويغير ويبدل حتى القيم الحضارية والثقافية والعقدية للشعوب ، وهذا ما لاحظناه جلياً من خلال العمليات التي قامت بها الولايات المتحدة ومعها المعسكر الغربي عموماً في شرق العالم وغربة وهذه العمليات عسكرية الظاهر إلا أن المتفحص لها يجد أن نشر المفاهيم الغربية وانتزاع المفاهيم والقيم التي زرعها الاتحاد السوفيتي السابق من خلال الأنظمة الموالية لها في أنحاء العالم المختلفة ، قد يكون من الأهداف الرئيسية غير المعلنة لهذه العمليات ناهيك عن إدخال القيم والمفاهيم الخاصة بالغرب والتي تسعى لتطويع هذه الدول لتصبح خادمة لأهدافها دون أدني مراعاة لخصوصية شعوب هذه الدول مستخدمة لذلك مفاهيم ومسميات قد تحمل معاني خفية لا يعلمها إلا الله مثل : نشر الديمقراطية ، حقوق الإنسان ، المشاركة السياسية الجماهيرية ، تحقيق الرخاء ، العدالة الاجتماعية ، الحرية ن مقاومة الإرهاب ،...... الخ ، كل هذه المصطلحات والمفاهيم تحتاج إلى أن تنبع من داخل الشعوب نفسها لا أن تفرض

([1]) يفضل الرجوع الى : فارس العمارات ، مصدر سابق ، لبيان أهمية تأثير التكنولوجيا الحديثة على اقتصاديات الدول العربية .

عليها فرضاً من الخارج وذلك مراعاة للخصوصية والابتعاد عن الإجبار والإكراه .

وجندت لهذه العملية إمكانيات هائلة من وسائل الإعلام المختلفة وخصوصا الفضائيات التي بداءت حربا قوية على القيم الثقافية والحضارية السائدة بقصد التأثير المباشر على أنماط التفكير والتدخل في الذوق الإعلامي لدى الناس من اجل تسويق منتجاتها الحضارية والسلوكية ، الأمر الذي أدى ويؤدي إلى إرساء قيم الغرب وأنماطه الاجتماعية ، كل هذا وغيرة دفع بالغرب إلى إخراج العولمة من عقالها وجعلها شريعة العالم المعاصر التي لا حياد عنها ، والويل لمن يخالف قواعدها ومبادئها .

أتمنى من خلال هذا الاستعراض السابق لهذه الدوافع والأسباب أن أكون قد بينت ما الذي اخرج العولمة من عقالها وجعلها حديث المجالس السياسية وموضوع الأدب السياسي الرئيسي في الربع قرن الماضية ، وهذه الأسباب تبدو ظاهرة للعيان ، إلا أن قادم الأيام قد يكشف أسباباً خفية وغايات لم ندركها قد تكون هي الأسباب المباشرة لبروز هذه الظاهرة .

وبما أن هذه الظاهرة أصبحت مؤشراً رئيسيا في حياة الأمم والشعوب لا يستطيع أحد إنكارها أو تجاهلها فان الأمر يقتضي أن يكون لها كغيرها آثار وتحديات على مختلف جوانب الحياة الإنسانية ، وهذه الآثار قد لا تبدو سلبية على الأمم والشعوب المستعدة والجاهزة والقوية سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وثقافيا ولكنها قد تكون في غاية السلبية على الأمم الضعيفة والغير محصنة والتي يكون فيها البناء السياسي والاقتصادي والاجتماعي ضعيف ومتهالك وهذا ما سنلاحظه من خلال دراسة آثار العولمة على المجتمعات المعاصرة .

ولكي نكون حياديين وموضوعيين فان الآثار تقسم إلى قسمين : إيجابية ، وسلبية ، فالدقة والأمانة العلمية والموضوعية في دراسة أي ظاهرة تقتضي منا أن نبين الآثار الإيجابية وندعوا للأخذ بها ، ونبين الآثار السلبية ونحذر منها وندعوا إلى رفضها ونضع بما أوتينا من إمكانيات حلولا واقتراحات لعلها تساعد على

تقبل هذه الظاهرة واخذ ما ينفعنا ورفض ما يضرنا وما لا يتناسب مع قيمنا الدينية والاجتماعية .([1])

قال تعالى : "وأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض" . ([2])

([1])سنفرد فصلا خاصا يتحدث عن واقع المسلمين والعولمة في موضع قادم من هذا الكتاب .

([2]) الايه (17) سورة الرعد .

الفصل الثالث

العولمة الآثار والتحديات

- الجانب الثقافي .
- الجانب الاقتصادي .
- الجانب الاجتماعي .
- الجانب السياسي والعسكري .

الفصل الثالث

العولمة – الآثار والتحديات

إن انتشار ظاهرة-العولمة -واتساع نطاقها وامتدادها لدرجة التدخل في كافة اوجه النشاطات الإنسانية يجعل من الصعب علينا بل من المستحيل إنكار الآثار والتحديات التي فرضتها وتفرضها هذه الظاهرة ، وهذه الآثار تجلت في بعض المجالات اكثر من غيرها وخصوصا في المجالات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، وهذا ما سندرس بالتفصيل في هذا الفصل .

أولاً : الجانب الثقافي :

لاشك أن الناظر إلى آثار العولمة وخصوصا في مجتمعاتنا العربية والإسلامية يجد أن اخطر ما فيها هو العولمة الثقافية وذلك بسبب التغييرات الكثيرة التي أحدثتها في هذا لمجال ، فالعولمة الثقافية تهدف أول ما تهدف إلى تعميم ثقافة واحدة على كل مجتمعات الدنيا بعيدا عن خصوصيات الأمم والشعوب ، وهذا ما بجا واضحا في العقود الأخيرة بسبب تطور الوسائل التكنولوجية التي تسهم في غرس وتعميق العولمة الثقافية والتي من أهمها وسائل الإعلام بكل ما تحتويه هذه الوسائل من إمكانيات وطاقات .

إن انتشار الفضائيات والأقمار الاصطناعية والتي تجاوز عدده اكثر من (500) قمر تدور حول الأرض وتبث منكل مكان والى كل مكان ، بالإضافة إلى سهولة الحصول عليها – البث الفضائي –لرخص ثمنها وتوفرها في الأسواق حيث أصبحت في متناول الجميع مما جعل المواطن وخصوصا في بلادنا العربية والإسلامية يخرج من قيود الأعلام الرسمي وينفتح بكل طاقاته وإمكانياته على البث الفضائي العالمي الذي تهيمن على معظمة الولايات المتحدة الأميركية حيث تجاوز بث الإنتاج الأمريكي في تلفازات العالم 75٪ والبث السينمائي تجاوز 85٪ من الإنتاج العالمي ، وتملك الولايات المتحدة وحدها حوالي 65٪

من المادة الإعلامية في العالم ، إضافة إلى أنها تصدر حوالي (120000) ساعة من برامج البث التلفزيوني إلى أوروبا([1]) ، إضافة إلى أنها تنفق أكثر من (330) مليار دولار للدعاية والإعلان من اجل حمل الناس على زيادة الاستهلاك([2]) وذلك قبل عقد من ألان تقريبا ... فكيف ألان ؟ ! وفي مجال أهمية التلفاز وتأثيره على المشاهد يقول أحد الباحثين "يتفق الجميع بوجه عام على أن التلفاز هو أقوي وسيلة إعلاميه ، ولا ريب أن تأثيره بوصفة أداة رئيسية لتعميم قيم النظام لا يماري فيه أحد" .([3])

يضاف لذلك التطور الهائل في أجهزة الكمبيوتر ومساهمتها الفعالة في توفير المعلومات والمعارف والمساهمة الكبيرة لها في مجال "العمليات الاتصالية (communication process)" [4] حيث أصبحت تستخدم على نطاق واسع في

([1]) انظر : منشورات معهد بحوث الأمم المتحدة للتنمية الاجتماعية (UNRISD) – **حالات فوضى الآثار الاجتماعية للعولمة** ، ترجمة :عمران أبو حجلة ، مراجعة هشام عبد الله ، بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، 1997، ص، 47.

([2]) انظر :محمد مرهف أسد حسين ، مصدر سابق ، ص،43.

([3]) هر برت شيلر ، **المتلاعبون بالعقول** ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ، 1986 ، ص،13، نقلا عن ، د.إبراهيم ابراش ، علم الاجتماع السياسي ، عمان ، 1996 ، ص224.

- للمزيد من المعلومات في هذا الاطار راجع : هانس بيتر مارتن ، هارالد شومان ، ***فخ العولمة*** ، سلسلة، عالم المعرفة ، العدد 238 ،اكتوبر ، 1998

- أن دراسة أجريت في (12) دولة بينت ان 40؟٪ من الشباب يقضون وقتهم في مشاهدة التلفاز ، وان الشباب يقضون ما يقارب 90 دقيقة من وقتهم في مشاهدة البرامج التلفازية يوميا وان الصبية يقضون 30 دقيقة على الأقل في مشاهدة التلفاز وان المرأة تقضي ما يقارب (7) ساعات في مشاهدة البرامج التلفازية يوميا وخاصة في فصل الشتاء ، وأشارت الدراسة ان 60٪ من الشباب يمضون وقت الفراغ في الاستماع للتسجيلات الصوتية مقابل 40، 0٪ من وقت الفراغ يمضونه في القراءة والكتب .(الرأي ، العدد 12976،تاريخ 6/ 4/ 2006)

([4]) كان لاختراع المطبعة (1454) تأثير كبير في تعزيز دور الكتابة كوسيلة رئيسية من وسائل الاتصال المهمة ..... كما أن اختراع المطبعة ادى الى تطور الصحافة وانتشارها مما ساهم في إحداث تطور كبير في فكر الإنسان وحكمته من جهة وتطوير علاقته مع اخية الإنسان من جهة أخرى .... هذا ولقد أغنى التقدم العلمي والتكنولوجي وما يزال وسائل الاتصال بين الناس بدرجة كبيرة جدا لم يكن خيال الإنسان يتصورها قبل قرن مضى فالهاتف والسينما والتلفاز والحاسوب وغيرها جعلت الأشخاص والمجموعات البشرية في جميع انحاء العالم تعيش وكانها في (قرية عالمية واحدة) وقد عزز=

مجـال الإعـلام والتثقيـف والترفيـه وخصوصـا شـبكة الإنترنـت الـتي أصـبح استخدامها متاحا للجميع والتي فتحت أمام الإنسان آفاقا لم يكن يتوقع الوصول أليها بهذه وهذا اليسر حيث أصبح من المتاح له أن يمارس نشاطاته اليوميـة مـن خلال هذه الشبكة ، من تراسل للبريد أو اتصال مـع الآخـرين أو إبـرام صـفقة تجارية أو متابعة الدراسة والتعليم .... الخ ، من النشاطات دون قيد بزمان أو مكان . ([1])

ولكي ندرك مدى تأثير هذه الشبكة على العلاقات العائلية فأننا نستعرض هذه الدراسة التي أجراها معهد ستانفورد للدراسات الاجتماعيـة الكيفيـة والـتي تقول : "بان استخدام الإنترنت يؤثر بصـورة كـبيرة علـى الوقـت الـذي يقضـيه المواطن الأمريكي أمام التلفاز كما يؤثر سلبا على أجمالي الوقت الذي يقضيه مع العائلة والأصدقاء . وتتابع الدراسة فتقول : بان متوسـط الوقـت الـذي يقضـيه المستخدم يوميا أمام والإنترنت هو ثلاث ساعات ، وتقـول الدراسـة أيضـا بـان استخدام الإنترنت لمدة ساعة واحدة يوميا يؤدي إلى تخفـيض الوقـت المخصـص للعائلة إلى 23.5 دقيقة في المتوسط وهو ما يعادل خصم 70 دقيقـة مـن الوقـت المخصص للعائلة يوميا .

= هذا المفهوم تطور وسائل الواصلات وارتقاءها ...." نقلا عن سـعيد التـل ، الحضـارة الإسـلامية والحضارة الغربية ، ج1، (الراي ، العدد، 12975، تاريخ5/ 4/ 2006)

([1]) انظر :د. عبد الحافظ عبد الرشيد ، مصدر سابق ، ص21،20.

- اما بالنسبة للعالم العربي ومستوى استخدام الكمبيوتر فيه : فقد أكدت دراسة أجرتها وحدة أبحاث في شركة (سيرانت) الأميركية على خمس عشرة دولة عربية ان مستخدمي شبكة الانترنـت في العـالم العربي قد وصل الى حوالي (12) مليـون مسـتخدم في بدايـة عـام 2005 وان هـذا الـرقم مرشـح للزيادة وبينت الدراسة ان أكثر الدول اسـتخداما للشـبكة العنكبوتيـة هـي دولـة الإمـارات العربيـة المتحدة حيث بلغ معل الاستخدام مقرنة بعدد السكان 150 مستخدم لكل 1000 مـواطن ثـم قطـر بنسبة 61 / الف ، ثـم لبنـان 57/ الـف ، ثـم الكويـت 50/ الـف ، ثـم الأردن 19/ الـف ، ثـم السعودية 14/ الف ، ثم تونس ثم مصر ، وتظهر الدراسة ان الدول العربية هي الأكثـر طلبـا علـى شراء الأجهزة الحاسوبية من بين كل دول العالم . (الرأي ، العدد 13038 تاريخ 7/ 6/ 2006.)

ومن الأشياء اللافتة للانتباه في هذه الدراسة أن مستخدم الإنترنت العادي يقل عدد ساعات نومه 8.5 دقيقة يوميا نتيجة للوقت الذي يقضيه على الإنترنت ،بالإضافة إلى أن درجة التعليم تتناسب طرديا مع استخدام شبكة الإنترنت .

وتقول الدراسة أيضا أن الدخول على الإنترنت يأخذ ثلث الوقت من العمل ، أما أنواع الاستخدامات التي يقوم بها متصفح الإنترنت فهي ،57٪من الوقت للبريد الإلكتروني (للتراسل) والدردشة ، و43٪ مقسمة إلى 20.3٪للألعاب و15٪ للتصفح و10٪ للتسوق .([1])

أما بالنسبة لوسائل الإعلام فان الملفت للانتباه هو هيمنة الأفلام والبرامج الأميركية خصوصا والغربية عموما، حيث أن وسائل الإعلام الأميركية تسيطر على 65٪ من المواد الإعلامية والإعلانية والثقافية([2]) ، وهذه الوسائل تروج لثقافة وقيم غربية على مجمعاتنا العربية والإسلامية حيث أن معظمها ينطوي على تمجيد القوة والعنف والقتل والجنس وترويج شامل للبضائع الأميركية الصنع خصوصا والغربية عموما وذلك بسبب الهيمنة شبة الكاملة للشركات المتعددة الجنسية على اكبر واهم التقنيات الإعلامية الحديثة وعلى مفاتيح عالم الغد من العقول الإلكترونية التي أخذت تتدخل بشكل مباشر في ميدان الإعلام والاتصالات([3]) واضعة نصب أعينها تحقيق الأرباح الطائله وزيادة رؤوس أموالها حيث أن رأس مال بعضها يفوق الدخل القومي لعشر دول إفريقية .([4])

من خلال ما سبق وفي ظل هيمنة الإعلانية الأمريكية الغربية على العالم نجد أن هذه الوسائل قد تحمل معها أثارا سلبية على ثقافة الأمة مما يعرضها لازمة ثقافية رهيبة –وها ما حصل فعلا –حيث بداءت القيم الغربية والسلوكيات

([1]) صحيفة الراي الأردنية ، العدد (12736) تاريخ 4 آب 2005 ،ص7.

([2]) د. محمد قطاطشة ،**العولمة** ، عمان ، 2000-20001، ص33.

- يشير هانس بيتر مارتن في (فخ العولمة) وللتدليل على ان الغزو الثقافي من خلال الفضائيات لم يعد للحكومات سيطرة علية هو وصول موسيقى الروك الاميركية الى ايران وانبهار الشباب الايراني بها على الرغم من التشديد الرسمي على مثل هذة الامور" هانس بيتر مارتن ، مصدر سابق

([3]) عزيز الحاج ، **الغزو الثقافي ومقاومته** ، بيروت ، 1983 ،ص15 (بالتصرف).

([4]) محمد مرهف حسين أسد ، مصدر سابق ، ص21.

والأنماط والاتجاهات الفكرية والأخلاقية تدخل مجتمعاتنا من أوسع أبوابها وآخذت تلقي بظلالها على الحياة اليومية للشعوب المتلقية لها مما انعكس وبشكل مباشر على أنماط التفكير واتجاهات الأفراد وخصوصا النشء الذي وولد في أحضان الفضائيات المفتوحة وتكنولوجيا الإنترنت ، حيث أصبحت القيم والسلوكيات الغربية عنده من الثوابت المقدسة ، فتعززت عنده قيم الاستهلاك لمجرد الاستهلاك ، ونشاءت في نفسه عقلية العنف والإجرام والجنس واللامبالاة وتفسخت الروابط العائلية واختفت قيم احترام الكبير والعطف على الصغير ، فسادت حالة من الضياع واليأس والخذلان والانحطاط وعدم الاعتزاز بالأمجاد وانتفاء القدوة الحسنة والتنكر للماضي والاقتداء والتقليد الأعمى المطلق للغرب والانفتاح علية دون قيد أو شرط ، والبعض في مجتمعاتنا اخذ ينقل نمط الحياة اليومية الأميركية إلى عقر دارة مع الاعتزاز بها،فهو يرفض لغة قومه ويعتبرها من مخلفات الماضي القديم بل هي في نظرة نمط من أنماط التخلف والجهل فهو لا يأكل إلا في المطاعم التي تحمل أسماء أجنبية ولا يشتري إلا الماركات الغربية المكتوبة باللغة الأجنبية ، واخذ يتكلم اللغات الأجنبية والتي أصبحت مظهرا من مظاهر التحضر والتمدن والتطور ، وهذا ما ساهمت به وسائل العولمة الثقافية ، حيث ذكر أحد الباحثين أن 88٪ من المضامين التي تبث عبر شبكة الإنترنت تبث باللغة الإنكليزية ([1]) .

كل ما ذكر أعلاه خلق أزمة ثقافية داخل المؤسسات التعليمية والتربوية فاثر على الخطاب التربوي الذي يتلقاه الجيل الجديد في المدارس والجامعات مما خلق انحلالا ثقافيا وقيميا وانسلاخا من الذات أدى إلى ضعف عام في قوة هذه المجتمعات من جميع النواحي ، فالجيل الضعيف المشبع بالقيم المخالفة لقيمة وعاداته لا ولن يستطيع أن يكون قويا اقتصاديا أو اجتماعيا أو سياسيا ، وهذا ما قد يحدث مع المجتمعات الضعيفة والغير مستعدة لعولمة ورياحها العاتية ، وهذا الأمر ينطبق على مجتمعاتنا العربية والإسلامية التي جاءتها العولمة على حين غرة

([1]) المصدر السابق ، ص45 .

حيث ابتعدت عن ثقافتها الإسلامية وتاريخها المجيد ولغتها العظيمة وعاداتها الطيبة وقيمها الاصيله ، مما جعلها كالريشة في مهب الريح تأخذ من هذا وذاك ، مرة من الشرق ومرة من الغرب فضاعت هويتها ونشاء فيها جيل ضعيف يحتقر العمل ولا يقدسه ، يعتبر العلم من القيم الدنيا ، يرفض الأخلاقيات والمثاليات، يؤمن بالاستهلاك و الطيش واللهو ، يعتمد على غيره في الإنتاج سواء في الملبس والمأكل ، فكل شيء عنده مستورد يأتيه وهو متنعم في وارف الظلال ، كل ذلك جعل آلامه ضعيفة لا تقوى إن تقاوم من أراد أن يستبيح خيراتها ويستغل مقدراتها وينهب أموالها وينتهك حماتها ، لان لا الأساس فيها هو هويتها الثقافية التي قـــد انتهت وتخربت فكان البناء ضعيفا يوشك على الانهيار .([1])

وبناء على ذلك لا يستطيع أحد منا أن ينكر أن عالمنا العربي والمسلم يعيش أزمة ثقافة وهوية ويواجه تحديات لم يوجهها من قبل مصدرها هو السياسة الاستعمارية المتطورة التي تسود العالم والتي تهدف إلى صياغة ثقافة جديدة وهوية عصرية مفروضة بالقوة علينا وان إلزامنا بها يعني طمس هويتنا والقضاء على ثقافتنا العربية الإسلامية والتي يجب أن لا نتخلى عنها لأنها نابعة من أهم مصدرين في هذا الكون هما القران والسنة المطهرة ، ونقتبس هنا من الدكتور عبد العزيز التو يجري في كتاب "العالم الإسلامي في عصر العولمة" قوله : "أن إلزام العالم بأسرة بانتهاج نظام سياسي واجتماعي واقتصادي وثقافي واحد هو عمل ضد سنن الله في خلقة ، بقدر ما هو خارج عن منطق التاريخ وقانون الطبيعة" .
ويرى الدكتور التو يجري "بان الهوية العربية الإسلامية هي جماع هويات الأمم

([1]) تعلق الجيل الجديد بالكمبيوتر وما يقدمه من العاب ومسابقات لدرجة الجنون واشغف بل إلى حد الموت وهذا ما حدث فعلا حيث ذكرت إحدى الصحف أن شابا يبلغ من العمر (28) عاما أمضي (49) ساعة متواصلة في ممارسة لعبة كمبيوتر اسمها (star Kraft) في مدينة تيجو الجنوبية في كوريا وانه لم ينم اوياكل شيء خلال هذه الفترة بل انه ترك عملة من اجل ممارسة اكبر قدر من اللعب ولكنة فراق الحياة أمام الجهاز قبل أن ينتهي من اللعبة (جريدة الرأي الأردنية ، تاريخ 2005\8\11)

والشعوب التي انضوت تحت لواء الحضارة العربية الإسلامية ، وهي بذلك هويه إنسانية متفتحة وغير منغلقة " .

ومن تحليلنا المفصل لما سبق نجد أن ثقافة العولمة والتي يقصد منها "عولمة الثقافة" تهدف إلى عدة أمور سلبية يجدر بنا أن نتروى عندما نحاول تقليدها وذلك خوفا على هويتنا من الضياع والانتهاء ومن هذه الأمور :

1. سلخ النشء الجديد من قيمه وعاداته الاصيله النابعة من ثقافته الحضارية الأصيلة المستمدة من رسالة الإسلام .

2. غرس القيم والمفاهيم والأنماط الغربية التي تتنافى مع خصوصيات مجتمعاتنا العربي والإسلامية في نفوس الناس مثل ، قيم اللباس والطعام واللهجات واللغات ...... الخ .

3. ترسيخ ثقافة الاستهلاك التي تهدف إلى استنزاف الطاقات المادية والمعنوية والأخلاقية لشباب الأمة ، والتزاحم للحصول على كل ما هو قادم من وراء المحيط .

4. إشغال الجيل والنشء بثقافة الاتصال والتراسل التي يتم فيها استخدام الوسائل التقنية الحديثة كشبكة الإنترنت والهواتف الخلوية والمحطات الفضائية ، وزرع العشق لهذه التقنيات في نفوسهم مما يدفعهم إلى إضاعة ساعات طويلة من أوقاتهم أمام هذه الوسائل ، إضافة إلى أشغال عقولهم وتفكيرهم بما يشاهدون ويسمعون فيها ، مما يخلق جيلا يكرة العمل ويحب الجلوس والراحة .

5. وسائل التكنولوجيا الحديثة تهدف إلى إبعاد الشباب عن المطالعة والدراسة والبحث العلمي والنشاط الفكري والاكتفاء بأخذ ما يريدون كوجبات جاهزة من خلال شاشات الصوت والصوره وقد سماها بعض المفكرين (معلبات ثقافية).

6. الهاء آلامه عن التفكير بقضاياها المصيرية وأشغالها بقضايا دنيئة كالطائفية والقبلية والفئوي وحياء الانتماءات العرقية الضيقة في آلامه .

7. ترسيخ العقلية المادية البحتة في المواد الثقافية المطروحة والبعد عن الأخلاقيات وجعلها علمانية خالصة ، وهذا يجعل المتلقي لهذه الثقافة يصاب

بهوس التجبر والتكبر والإلحادية وهذا ما يتنافى مع الفطرة الإنسانية التي فطر الله الناس عليها .

8. تشجيع قيم التفاوت الطبقي من خلال التشجيع على تحقيق الأرباح والمكاسب المادية من خلال المسابقات والمضاربات والسمسرة وتقديم الامتيازات لدخول في مثل هذه الأمور ، كل ذلك يتم تقديمه بصورة "ثقافة مجتمعية" جديدة من خلال وسائل الإعلام المختلفة المتنوعة (Multi Media) .

مهما تحدث المرء في مجال العولمة الثقافية فانه يبقى مقصرا عن إعطاء هذا الجانب حقه بالشرح والتفصيل ذلك أن العولمة الثقافية تهدف من خلال سياسة الاختراق الثقافي إلى الدخول العقول والأنفس من اجل سلب الوعي والإدراك منها لأنها بعد ذلك يصبح كل شيء هين وسهل ، وهذا الاختراق خلق نوعا من الإرباك والفوضى الثقافية العالمية واوجد هوة واسعة بين الثقافات والحضارات مما خلق مفهوم (صدام الحضارات) وعزز وجودة بدلا من (حوار الحضارات)([1]) الذي أصبحت تنادي به الأمم والشعوب من اجل التلاقح الحضاري العالمي الذي ينتج فهما واضحا تجاه الطرف الأخر مما يؤدي بالجميع إلى احترام خصوصيات بعضهم البعض بما يعود على البشرية بالسعادة والعيش بخير وسلام .

([1]) يشير الدكتور سعيد التل إلى أن :الحضارة الإسلامية تكاد تتطابق مع الحضارة الغربية بحكم مرتكزات رئيسية واحدة مشتركة تقومان عليها وتجمعهما ، ويشير الى ان "الاختلاف بينهما ثانوي بولغ فيه كثيرا من قبل بعض أعداء الحضارتين ومن بعض المغرضين وبعض الجهلة من المنتمين لهاتين الحضارتين ، " ويؤكد أيضا ان"الحضارات العالمية هي حضارات إنسانية تؤكد فيما تؤكد المحبة والتعاون بين الإنسان واخية الإنسان ، وما يطلق علية اصطلاح (صراع الحضارات) ماهو الاصراع بين بعض المنتمين الى بعض الحضارات لأهداف غير إنسانية والحضارات منها براء،" ويرى الباحث بان " مرتكزات جميع الحضارات العالمية تؤكد فيما تؤكد ان الإنسان اخو الإنسان ، مهما كانت الحضارة التي ينتمي إليها ومهما كان لونه او جنسه او عرقه ، ومن هذا المنطلق فأسلوب الحوار وليس الصرع هو المنهج الذي يجب ان يحكم العلاقة بين بني البشر ."سعيد التل ، الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية ، ح 1 ، نقلا عن الرأي الأردنية ، العدد 12975، تاريخ 5/ 4/ 2006.

ولكي نكون منطقيين ، وعلى الطرف الآخر من عملية البحث هناك الإيجابيات التي لا نستطيع إنكارها لهذه الوسائل الثقافية والتكنولوجية المتطورة ،ولكن هذه الوسائل تحتاج إلى شعوب وأمم قوية الإيمان بتراثها وحضارتها وعنق تاريخها معتزة بأمجادها لا تتنصل من ثوبها الثقافي وهويتها القومية ، تحسن استخدام هذه الوسائل لأنها سيف ذو حدين إذا أساءنا استخدامه كان كله سلبيات ،وإذا أحسنا استخدام تحول إلى إيجابيات وعناصر قوة ترفد حضارتنا ومسيرتنا الثقافية.

لذا لابد من توضيح الإيجابيات وفي طياتها مقترحات وحلول لهذه المعطيات المذكرة آنفا ، ومنها نذكر :

1. إن الوسائل التقنية الحديثة كالحواسيب وما يرافقها من وسائل اتصال كالإنترنت وغيرها ، هي بحد ذاتها وسائل معرفة ومعلومات هائلة جدا تساعد الأفراد والمؤسسات سواء العلمية أو البحثية أو التعليمية أو مراكز الأبحاث والدراسات تساعدها بسهوله للحصول على المعلومات التي تريدها بسرعة وبسهولة فائقة جدا مما يزيد فرص التثقيف والتعليم لدى العامة.([1])

2. إن هذه التقنيات تحمل آفاقا جديدة من المعرفة للإنسان تسهل له الطريق من خلالها لمعرفة الخالق وتعميق الإيمان بالله وآلامه والدين الحنيف وتبين له أن الأمة العربية والإسلامية هي ذات رسالة عالمية قابلة لتقبل الأخر واستيعابه بكل سهولة ويسر مع المحافظة على خصوصياتها المميزة عن باقي الأمم والشعوب .

3. تقنيات الاتصال المختلفة كالهواتف النقالة تساعد على زيادة الاتصال الجماهيري وتقريب المسافات بين نقاط مختلفة ومتباعدة في هذا العالم بما يتيح المجال للإنسان إنجاز الأعمال الخاصة به وبمؤسساته وشركاته دون عناء مادي أو معنوي وتحقيق المكاسب إلى تعود بالنفع والفائدة عليه وعلى بلاده .

([1]) يجب أن نتذكر أن هناك حوالي 70 مليون شخص من سكان الوطن العربي يعانون من الأمية .
- أيضا يجب أن نعلم أن هناك (12) مليون طفل عربي في سن التعليم هم خارج منظومة التعليم حاليا (جريدة الرأي الأردنية العدد (12771)تاريخ 8\9\2005.

4. إعادة النظر بالمناهج المدرسية والجامعية في مجتمعاتنا لتتلاءم مع واقع المرحلة الجديدة وتضمينها المواد التي تعمق أيمان الجيل بامتة وتاريخه ورسالته الخالدة .

5. أشغال أوقات الفراغ لدى الشباب في مجتمعاتنا بالإعمال النافعة والمفيدة والتي من أهمها المطالعة والبحث من خلال التشجيع على القراءة وإعادة الاحترام للكتب والمكتبات ، وهذا في الغالب يقع على عاتق المؤسسات الرسمية ، والتي عليها تشجيع التأليف والمؤلفون لكتابة المواد الراقية التي ترتقي بالإنسان وتكرس لدية قيم الانتماء والإخلاص والوعي والإدراك .

6. لغة الأمة تعبر عن هويتها وشخصيتها ، لذلك على المؤسسات الرسمية وغير الرسمية الاهتمام المطلق باللغة العربية باعتبارها لغة القران الكريم للحفاظ عليها من الضياع بعد أن عقها أبناءها وأصبحت لدى البعض منهم شيئا من مخلفات الماضي ، حيث تتم المحافظة عليها من خلال إنشاء المراكز والمؤسسات التي تشجع الباحثين والمؤلفين لتأليف الكتب النافعة والمفيدة في اللغة العربية وعلومها المختلفة وتوفير هذه الكتب للناس بأسعار مناسبة وتشجيع المطالعة لدى جميع فئات المجتمع(1)، يضاف لذلك أنة يجب الاستفادة من وسائل

---

(1) إن نسبة مشاركة المواطن العربي في العلم والتكنولوجيا على مستوى العالم هي أدنى المستويات فمن بين 3,5 مليون ورقة بحثية في مجال العلوم والتكنولوجيا كانت نسبة مشاركة العالم العربي3،0٪ في حين أن نسبة مشاركة إسرائيل 3،1٪ رغم أن عدد سكان العالم العربي حوالي (280)مليون نسمة وعدد سكان إسرائيل (6) مليون.

انفق الأردن حوالي 6،31مليون دولار على البحث العلمي والتطوير أي ما نسبته 4,..٪ من الناتج القومي الإجمالي وساهمت الجامعات الرسمية بما نسبته 31٪ من حجم تلك النفقات ، حيث بلغ مجموع ما أنفقته الجامعات الرسمية عام 2003 على البحث العلمي والتطوير 155,529،111 دينار أي ما نسبته 6,44٪ من المجموع العام للنفقات .

- وتشير الأرقام إلى ان حجم الإنفاق على البحث العلمي في الجامعات الرسمية الأردنية خلال عام 2005 بلغ مليونين وأربعمائة الف دينار في حين قدرت إحدى الدراسات ان حجم المخصصات المالية لطلبة الدراسات العليا في الجامعات الرسمية ب(619) ألف دينار أي ما نسبته 0,3٪ من مجموع موازنات الجامعات أي حصة الطالب الواحد تقدر ب(100) دينار سنويا وهي نسبة قليلة جدا .(الرأي الأردنية، العدد 13052، تاريخ 21/ 6/ 2006).

التكنولوجيا المختلفة كالإنترنت وجعل التواجد العربي فيها مميزا بمواقع مختلفة وحضارية وواضحة ومميزة تتحدث باللغة العربية الفصيحة من اجل إيصال رسالة الأمة العربية الإسلامية الناصعة إلى كل بقاع الدنيا([1])، ويجب أن لا يغيب عن بال المواطن العربي أن لغتنا الجميل كانت في يوم من الأيام هي لغة العلم والمعرفة واستوعبت كل العلوم التي عرفتها البشرية من طب وفلك وفلسفة وهندسة ورياضيات وكيمياء ... الخ ، وما العلوم التي تزخر بها مكتبات أوروبا وأميركا اليوم ألا عربية الأصل والمنشاء وهذا أمر لا يستطيع أحد إنكاره لان التاريخ شاهد علية ، لذلك فان لغتنا وبلا شك قادرة على استيعاب الأخر وعلومه وعارفة وهذا ما يجب أن تعنى به مؤسسات البحث العلمي والجامعات في بلادنا من خلال تنشيط عملية الترجمة والتعريب من اللغات الأخرى إلى العربية للاستفادة منها بأقصى درجة ، وهذا أمر فيه تقصير واضح من جانب البلاد العربية حيث أن ما يترجم من الكتب في بلادنا العربية لا يزيد عن 300 كتاب سنويا .([2])

7. وسائل الإعلام المرئية – كما ذكرنا سابقا-وسيلة هامة وخطيرة لذا يجب على المؤسسات الإعلامية المختلفة السعي لصناعة البرامج النافعة والمفيدة والجاذبة للعقلية البشرية لمنع الإنسان العربي من أن تخطفه وسائل الإعلام الأجنبية – الفضائيات – إلى أحضانها بما تقدمة من برامج مغرية ومفسدة لعقلة ودينه .

هذه عجالة بسيطة للإيجابيات التي قد تحملها رياح العولمة الثقافية معها والتي يجب علينا الاستفادة منها بأقصى الإمكانيات للحفاظ على مجتمعاتنا وأبنائنا من الضياع والسير في متاهات ودهاليز العولمة والتي تحتاج إلى إنسان مثقف واعي يحمل عقلية متطورة تساعده على التمييز ما بين الصالح والطالح واخذ ما ينفعه وترك ما يضره سعيا لبناء مجتمع عربي مسام ذو هوية واضحة المعالم وثقافة

([1]) لمزيد من الفائدة يمكن مراجعة :د. اسحق الفرحان ، مشكلات الشباب في ضوء الإسلام ، عمان ، دار الفرقان ، 1982.

([2]) د. عبد الرشيد عبد الحافظ. مصدر سابق , ص107.

حضارية مستمدة من تاريخ امتة المجيد وارثها الحضاري الذي شهد لـه الأعـداء قبل الأصدقاء برقية وتميزه .

ثانيا : الجانب الاقتصادي :

لاشك إن العولمة ووفقا لأراء الكثيرين من المفكرين والباحثين هي بالدرجة الأولى اقتصادية المنشاء والأصل كان الهدف منها في البداية هو تحويل العـالم كلـه إلى سوق واحدة يسود فيها النظام الرأسمالي المبني على المنافسة الهادفة إلى تحقيق الأرباح والمكاسب ، تسود فيه الحرية الاقتصادية والسوق المفتوحة([1]) للشركات الكـبرى العملاقـة للتنـافس بالحصـول علـى الـوارد والمـواد الأوليـة مـن كافـة مصادرها من أنحاء العالم المختلفة بأثمان بخسة مما يشكل اسـتنزافا لمـوارد هـذت الدول (الضعيفة) أمام هيمنة هذه الشركات العملاقـة الـتي تتخـذ مـن النظـام الاقتصادي السائد في العالم حائطا قويا تتكئ علية دون خوف أو وجل .

وما وجود المنظمات الاقتصـادية العالميـة الكـبرى مثـل منظمـة التجـارة العالمية والبنك الدولي وصندوق النقد الـدولي (I.M.F)، إلا أدوات تسـتخدم لتسخير اقتصاديات وإمكانيات الدول الصغيرة الضعيفة لصالح الأقوياء ([2])

([1]) للمزيد عن السوق المفتوحة يمكن مراجعة : د. عبد الله الطاهر واخرون ، **الاقتصاد السياسي** ، عمان ، دار وائل للنشر ، 2002،ص210

([2]) **البنك الدولي** : مؤسسة مالية تعمل في إطار الأمم المتحدة تأسس عام 1944 وباشر اعمالة عام 1946 ويقوم بمنح القروض للدول ، وتمويل المشاريع في أنحاء كثيرة من العالم .

-يقول الخبير الأميركي (جوزيف ستجليتز) الحاصل على جائزة نوبل في الاقتصاد عـام 2001 بـان المؤسسات الدولية الاقتصادية تمارس نفاقا يزيد الأغنيـاء ثـرا ويزيـد الفقـراء فقـرا وقـال في كتابـة (ضحايا العولمة) "ان صندوق النقـد الـولي علـى سـبيل المثـال ينـتهج سياسـة تحركهـا الايـدولوجيا والاقتصاد الرديء ويقول بان من يدافع عن ردود الأفعال المناهضة للعولمة هو من يريـد مـن الـدول النامية ان تفتح أسواقها لمنتجات الدول الصناعية المتقدمة التي تقـوم بحمايـة الأسـواق الخاصـة بهـا ويضيف بان من شان هذة السياسة ان تزيد الاغنيا ثراء والفقراء بؤسا وسخطا ، وقال بان الولايـات المتحدة هي في مقدمة المذنبين" ويقول أيضا بان القرارات عندما تتخذ في البنـك الـدولي تتخـذ علـى أسس ايدولوجية وسياسية ويقول بان المسؤلين في البنك الدولي يصبحون مسيسين ويلوون الحقـائق لتتناسب مع أفكار المسؤلين" وقال "ان اتخاذ القرار في صندوق النقد الدولي يعتمد على خليط غريب من الايدولوجيا والاقتصاد الرديء وأضاف بان كثير من سياسات صندوق النقـد أدت الى حـالات=

والعولمة الاقتصادية بداءت تتضح معالمها وتتجلى إمكانياتها بأوضح صورها بعد أن انهارت الأيدلوجية الاشتراكية كنظام سياسي واقتصادي كان سائدا في أجزاء واسعة من العالم ، وبانهياره أصبح الميدان العالمي خاليا إلا من النظام الرأسمالي الذي تتزعمه الولايات المتحدة والدول الغربية وتحاول فرضه على العالم ولو بالقوة ، - وأضنها قد نجحت في ذلك - ، وتسعى الهيمنة الاقتصادية الرأسمالية إلى تكريس اقتصاديات دول العالم كلها للمعسكر الأوحد في العالم وهو المعسكر الغربي ، وهذه الهيمنة تهدف إلى جعل أجزاء العالم المختلفة ودولة المتعددة مسرحا اقتصاديا لها بقصد جعل هذه البلدان مصدرا للمواد الأولية أو المواد الخام الهامة كالنفط والذي لا تقوم الصناعة الغربية إلا به كونه عصب الحياة الاقتصادية الحالية يضاف لذلك جعل العالم كله سوقا استهلاكية لسلع والخدمات التي تقدمها الشركات الكبرى العملاقة (الشركات المتعددة الجنسية) (Multi National Corporations) ذات الفروع المنتشرة في كافة أنحاء العالم ذات السطوة السياسية والاقتصادية .

ويجب أن لا يغيب عن البال أن العولمة الاقتصادية وفي ظل روح المنافسة التي تهدف إلى تحقيق الربح لجاءت إلى استغلال الأيدي العاملة الرخيصة في البلدان النامية والفقيرة من خلال إقامة مصانعها ومعاملها في هذه البلاد وجعلها مناطق تجارية خاضعة لهيمنتها من حيث رؤوس الأموال ، وإعادة التصدير بأغلى الأثمان مستفيدة من الحوافز والاجراءات التي تفرضها منظمة التجارة الدولية على الدول التي تسعى لإزالة القيود والحواجز العوائق أمام حرية حركة السلع والخدمات ورؤوس الأموال وجعلها صناعة متطورة تنافس الصناعة

من الجاعة والهياج الشعبي وحتى عندما نجحت فإنها أحدثت نموا هزيلا ولفترة بسيطة من الوقت وأضاف بان العولمة تحكمها ثلاث مؤسسات رئيسية هي : البنك الدولي ، صندوق النقد الدولي ، ومنظمة التجارة الدولية ، وقال بان هناك 1،2 مليار نسمة يعيشون على اقل من دولار يوميا ، كما يعيش 2، 8 مليار يعيشون على اقل من دولارين ، وقال أخيرا : بان العولمة هي خطر على الديمقراطية حيث تستبدل الديكتاتوريات القديمة بدكتاتوريات مالية دولية".

- أما صندوق النقد الدولي فهو أيضا مؤسسة مالية تعمل في إطار الأمم المتحدة وتهدف لتقديم المعونات والمشورات في مجال النقد ويساهم في رفع الحواجز التي تواجه التبادل التجاري الدولي ، وهو نتاج مؤتمر(بريتون وودز) الذي عقد في ولاية(ها مشير) الأميركية عام 1944.

الوطنية الضعيفة والتقليدية في هذه الدول ، إضافة إلى عائد ومردود هذه الصناعات يعود إلى المقر الرئيسي للشركة الأم في وطنها حيث تهيمن هذه الشركات على ثلثي التجارة العالمية حيث أن هناك حوالي (350) شركة كبرى للدول القوية تحظى بحوالي 40٪ من التجارة الدولية .([1])

ويجب أن لا يغيب عن البال أن هذه الشركات العملاقة بدأت تلعب أدوارا سياسية رغم قالبها الاقتصادي ، والناظر في سجل حرب الخليج الثانية والثالثة يدرك ذلك تما ما ، لان الغاية رغم أنها عسكرية إلا أن الأهداف الإستراتيجية بعيدة المدى تهدف إلى إحكام سيطرتها على المنطقة الغنية بالنفط لاستمرار تدفقه إلى المصانع الأميركية عشرات قادمة من السنين لتنافس بذلك أوروبا واليابان وتبقى متفوقة في كافة المجالات ([2]).

أما الدور الذي لا يقل أهمية عن هذه الأدوار جميعها والذي تلعبه هذه الشركات العملاقة.ألا وهو البحث العلمي والتطوير المعرفي وهو ما اسماه بعض الباحثين (الاحتكار المعرفي) ، حيث يرى الباحثون بان من القواعد والمرتكزات التي بدأت تنشا عليها هذه الشركات([3]) ، هو العلم والمعرفة والبحث والتطوير لإنتاج الأفضل لمواكبة العصر ولمنافسة غيرها من الشركات ، وهذه المعرفة والأبحاث أصبحت محتكرة من هذه الشركات خوفا من الاطلاع عليها ، ووضعت لذلك القوانين اللازمة للحماية وجعلت (حقوق الملكية الفكرية) من أهم القواعد التي تنشا عليها هذه الشركات ، ومن الأدوار الهامة لهذه الشركات أيضا هو إلغاء دور الدولة القومية وذلك لقدرتها على التأثير على صناع القرار السياسي والاقتصادي معا بما تملكه من كم هائل من الأموال المتحركة والتدفقات الاستثمارية والتجارية بالإضافة إلى نشاطها الهائل في حقول

([1]) محمد مرهف حسين ، مصدر سابق ، ص25.

للمزيد من المعلومات انظر : انطونيوس كرم، *العرب امام تحديات التكنولوجيا* ، سلسلة عالم المعرفة ، العدد 59، نوفمبر، 1982.

([2]) للمزيد في هذا الإطار انظر : د. حميد السعدون ، مصدر سابق ، ص،ص،161،160.

([3]) د. محمد القطاطشة ،العولمة ، عمان ،2001، ص47.

المضاربات المالية حيث وصلت إيرادات اكبر (500) شركة متعدية الجنسية من قطاع البنوك والتامين ومؤسسات الادخار والاستثمار 22.5٪ من جملة إيراداتها([1])، وقد بلغت النسبة المئوية لإيرادات اكبر (10) شركات في قطاع الاتصالات مثلا 86٪ من السوق العالمي ، وحوالي 70٪ من قطاع الحواسيب و35٪ من قطاع الأدوية 34٪ من قطاع البذور التجارية([2]) ، وهذا كله يدلنا دلالة واضحة على قدرة هذه الشركات على الاحتكارات التجارية والمنافسة للدول حتى على مستوى العالم ومدى سيطرتها الاقتصادية وبالتالي السياسية وهذا ما يمنحها حجما ضخما من الهيمنة تتجاوز الهيمنة الاستعمارية التقليدية([3])وقد وصلت الأمور ببعض هذه الشركات إلى القيام بعملية نقل العمال والفنيين الذين تستقدمهم للعمل لديها بطائرات خاصة من موطنهم الأصلي وذلك في إطار ما سمي بعملية(شراء العقول).([4])

ومما يزيد من تقليص دور الدولة القومية في ظل العولمة الاقتصادية الهائلة التي تتزعمها الشركات المتعددة الجنسية والمؤسسات التجارية العالمية هو أنها سوف تتعرض – بل تعرضت – لحصارات سياسية واقتصادية وثقافية وإنسانية تشبه حالة الاستعمار الحقيقي وهذا يدفع الدولة القومية الصغيرة إلى الكثير من المتاعب والمشاكل لان ما تواجهه هو اكبر من حجمها وإمكانياتها([5]) وخاصة أن هذا التيار الاقتصادي الجارف تقوده قوى لأتعرف سوى لغة الربح المسطرة بلغة دولاريه هدفها الهيمنة والسيطرة دون مراعاة القواعد الخصوصية للشعوب

([1]) المصدر السابق .ص53.

([2]) محمد مرهف حسين ، مصدر سابق ،ص ص26،25.

([3]) يبلغ حجم الاستثمارات في مجال الاتصالات السلكية واللاسلكية مالا يقل عن تريليون دولار في الولايات المتحدة الأميركية لوحدها (محمد القطاطشة ، مصدر سابق)

- بلغت واردات شركة (IPM) من صناعات الكمبيوتر وتوابعه خلال العشر سنوات الماضية ما يقارب عشرة مليارات دولار أميركي .(الرأي ، العدد *13038*، تاريخ 7/ 6/ 2006.)

([4]) ممدوح محمود منصور ، مصدر سابق ، ص77.

([5]) د. حميد السعدون ، **العولمة وقضايانا** ، عمان دار وائل للنشر ، 1999، ص ص 36،37(بشيء من التصرف).

والدول مما ينتج عنة خسائر كبيرة قد تؤدي إلى تغيير الخرائط والأنظمة السياسية ، ما الأوضاع التي تعيشها بلادنا في الخليج المشتعل بنار النفط التي تلتهم الأخضر واليابس إلا خير، دليل على أن الهجمة العولمة الاقتصادية هدفها الربح والمنافسة حتى ولو كان وقود نار هذه المنافسة هو الأنظمة الحاكمة والبشر المسالمين الذين لأحول لهم ولا قوة

من خلال ما سبق نستطيع أن نجمل أهم الآثار السلبية للعولمة الاقتصادية بما يلي :

1. استنزاف موارد وطاقات الدول الصغيرة والضعيفة من خلال جعلها موردا للمواد الأولية اللازمة للصناعات وذلك بشرائها بابخس الأثمان وإعادة تصديرها بأغلى الأسعار ، بالإضافة إلى جعلها قواعد اقتصادية تعود خيراتها وإرباحها إلى الشركات العملاقة في مقر إقامتها في وطنها الأم .([1])
2. إن وجود صناعات ومراكز صناعية تابعة لهذه الشركات في الدول الفقيرة يعني القضاء التام على صناعاتها الوطنية كونها ضعيفة بالأساس وتفتقر إلى التكنولوجيا المحتكرة أصلا مما يعود سلبيا على اقتصاديات هذه الدول .
3. ربط اقتصاديات الدول الفقيرة بالأوضاع الاقتصادية الولية وهذا الأمر يجعلها كالريشة في مهب الريح وذلك لعدم قدرة هذه الدول على مجاراة اقتصاديات الدول الصناعية كونها اقتصاديات ضعيفة وهشة مما يجعلها غير قادرة على التحكم بأوضاعها الاقتصادية وجعلها عرضة للتذبذب وتصبح تابعة للمؤسسات المالية الدولية ومنفذة لأوامرها فقط .([2])

([1]) وذلك باستغلال الدول الفقيرة بإقامة المناطق الاقتصادية المؤهلة (QIZ) فيها والتي لايعود شيء من الفائدة على تلك الدول إلا باستغلال العمالة الرخيصة فيها فقط .

([2]) يجب ان نعرف بان مجموع الديون الخارجية العربية يزيد عن (570)مليار دولار وتدفع الدول العربية غير النفطية مليون ونصف دولار كل ساعة سدادا لديونها الخارجية .(صحيفة الرأي الأردنية ، العدد (12771) تاريخ 8/ 9/ 2005.

4. احتكار العلم والتكنولوجيا والمعرفة من قبل الشركات الكبرى أو الدول الصناعية والتحكم في تدفقها إلى الأسواق العالمية مما يبقيها قوية اقتصاديا ويجعل الدول الصغيرة متلقية فقط وغير قادرة على التطور والبحث العلمي .

5. ربط التنمية ومشاريعها في الدول النامية بما تقدمة المؤسسات المالية الدولية والشركات الكبرى من مساعدات ومنح مما يجعل هذه التنمية غير قادرة بل عاجزة عن تلبية الاحتياجات ومتطلبات الإفراد مما يفقد الدول القدرة على كسب ثقة شعبها مما يعرضها بالنهاية لمشاكل سياسية واجتماعية هي في غنى عنها.

6. ساهمت العولمة الاقتصادية بجعل الدول الدول ألعوبة بيدها لدرجة أنها أصبحت تتدخل في القرارات السياسية فيها وتتحكم بمجريات حياة المواطن العادي مثل : رفع الأسعار ، والتحكم في زيادة الرواتب أو عدمها أو إقامة مشروع معين ... الخ ، وها بالتالي يشكل هدرا للكرامة الوطنية ([1]).

7. إن الحرية المعطاة للشركات المتعددة الجنسية من قبل الدول المضيفة قد تفتح الباب إمامها لإساءة استعمال تلك الحرية من حيث :التهرب من دفع الضرائب، تلويث البيئة ، حيث كانت هذه الشركات مسئولة في كثير من الأحيان عن الكثير من القضايا البيئية الكبرى مثل : تسرب الغاز في مصنع (يونيون كاربايد) في الهند ، بالإضافة إلى عمليات سكب النفط على السواحل كما حصل مع شركة (Exxon Valdes) التي سكبت عشرة ملايين غالون نفط مقابل سواحل ألاسكا بالإضافة إلى المبيدات الحشرية الضارة والأدوية الممنوع استعمالها ومخلفات المصانع التي تؤدي إلى تآكل طبقة الأوزون بالإضافة إلى استنزاف الأراضي والأملاك من خلال استغلالها بما تحوي من خيرات مثل قطع الأخشاب واستخراج النفط والخامات المعدنية .([2])

([1]) يمكن في هذا المجال مراجعة : جبرائيل الموند ، وبنجهام بأول ، السياسات المقارنة في وقتنا الحاضر ، ت، هشام عبد الله ، وسمير نصار ، الأهلية للنشر والتوزيع ، عمان ، 1998،ص 42-52.

([2]) معهد بحوث الأمم المتحدة للتنمية الاجتماعية ، مصدر سابق ، ص240 -246.

والمدقق فيما سبق من السلبيات الاقتصادية يكاد يجزم أن العولمة الاقتصادية تكاد تخلو من الايجابيات ولكن نستطيع القول أن العزيمة والاعتماد على الذات يجعلان من الحلم حقيقة ويتلاشى معهما اليأس والقنوط ، لان عزيمة الدولة القوية اقتصاديا وسياسيا وفكريا وعلميا تستطيع ان تطوع العولمة وأدواتها وتسخرها لخدمتها وخدمة شعبها بل تستطيع أن تحول هذه السلبيات إلى ايجابيات نافعة ومفيدة لاقتصادها ولمواطنيها .

ولنرى بعضا من النقاط التي قد تكون ايجابيات نافعة تستطيع الدول أن تستغلها والتي تحمل بين طياتها بعض المقترحات التي تساهم في التخلص من السلبيات المذكورة أنفا ، من أمثلة ذلك : ([1])

1. إن موجة التكنولوجيا الهائلة المصاحبة للعولمة الاقتصادية يجب استغلالها وتطويرها وتطويعها للتخلص من ترهلات الماضي واستغلالها في مجال الصناعات والاختراعات والابتكارات من اجل النهوض بالواقع الاقتصادي ووصولا إلى تحسين حياة الإنسان ومجاراة للواقع الاقتصادي العالمي خاصة أن الدول العربية والإسلامية تمتلك الأموال الطائله والعقول الهائلة والموارد التي لا

- يذكر في هذا المجال ان الدول الصناعية السبع قد تسببت في إطلاق أكثر من 70٪ من غاز ثاني أكسيد الكربون في العالم والولايات المتحدة لوحدها أكثر من 25٪ من الغازات المسببة لظاهرة الاحتباس الحراري علما أنها لأتشكل سوى 4٪ من سكان العالم (صحيفة الرأي ، العدد 13009 تاريخ 9/ 4/ 2006.
- ذكر ان بعض الشركات الكبرى في الولايات المتحدة مثل جنرال إلكتريك ودوبونت للكيماويات قد بدأت باتخاذ خطوات لجعل مصانعها ومنتجاتها أكثر ترشيدا لاستخدام الطاقة وانبعاث الغازات المسبب لظاهرة الاحتباس الحراري المرتبطة بارتفاع درجة حرارة العالم (جريدة الرأي ، العدد 13037، 6/ 6/ 2006.)
- للمزيد راجع: انطونيوس كرم ، مصدر سابق .

([1]) للمزيد عن تطور الأوضاع الاقتصادية العالمية وتأثيرها ينصح بقراءة : ج تيم ونز روبرتس ، أجي هايت ، **من الحداثة إلى العولمة** ، سلسلة عالم المعرفة ، ترجمة سمر الشيشكلي ، العدد 310 ، الكويت ،2004.

تنضب والتي قد تكون كلها أساسيات لتطوير التكنولوجيا من تشجيع وإقامة مراكز البحث العلمي .

2. إن النجاح الاقتصادي في ظل هذه العولمة وكما هو واضح عالميا ، هو للتكتلات الاقتصادية الدولية والإقليمية وهذا الأمر بحد ذاته يشكل حافزا قويا لمجمعاتنا الغربية والإسلامية إلى إقامة تكتل عربي إسلامي وأقامه سوق عربية وإسلامية مشتركة ، فان تم هذا الأمر فأنة سيشكل حاجز الصد الذي يحمي اقتصاديات الدول العربية والإسلامية من الهجمة الاقتصادية الغربية ويمكنها من مواجهة التحديات الاقتصادية المتغيرة والمتقلبة بشكل شبة يومي ، وعليها أيضا أن تبني اقتصادياتها على الأسس الاقتصادية الإسلامية القائمة على الاعتدال والوسطية ومراعاة مصالح العباد وتحقيقها .

3. تطوير الأنظمة والتشريعات التي تشجع الاستثمار الوطني المحلي وذلك لحماية الأموال والصناعات المحلية ومنعها من الهجرة إلى الخارج وتشجيع إقامة المشاريع الصناعية وتوفير البنية التحتية لها والكوادر البشرية المؤهلة والمدربة وإعطاءها الحرية الكاملة في إدارة مشاريعها الإنتاجية وتزويدها بالتكنولوجيا المتطورة باستمرار .

4. أما الشركات المتعددة الجنسية ورغم الكثير من السلبيات التي قد تحملها معها إلى الدول النامية([1])، إلا أنها قد تحمل بعض الايجابيات المتمثلة بتوفير فرص العمل ، ونقل التكنولوجيا إلى الدول المضيفة من خلال استيراد الأجهزة الحديثة أو استقدامها أو إدخال أفكار جديدة من شاءنها أن تحسن وتطور صناعة السلع وهذا من شاءنه أن يرفع من سوية الصناعات المحلية والوطنية ، بالإضافة إلى قيامها بتدريب العمالة المحلية واستخدام أساليب متطورة في الإدارة والتسويق

([1]) وذلك من خلال قيامها بإنشاء المناطق الصناعية المؤهلة كاستثمارات في الدول النامية (QIZ).

وضبط الجودة بالإضافة إلى قيامها بعمليات البحث والتطوير العلمي في الدولة المضيفة ، إلا أن هذه الأمور جميعها نسبية وليست مطلقة الحدود .([1])
يبدو أنة مها تحدثنا عن العولمة الاقتصادية وأثارها على مجتمعاتنا فإننا لن نفي هذا الموضوع حقه من البحث والتمحيص خصوصا أن المعلومات والنسب المئوية المتعلقة بالتغيرات الاقتصادية العالمية هي في حالة تغير يومي بل لحظي لذلك فإننا في ظل الاقتصاد العالمي المعولم الذي زالت منة القيود وتحررت التجارة وأصبحت حرية انتقال رؤوس الأموال والسلع والمواد الخام هي بسرعة فائقة بين جنبات الكرة الأرضية وسيطرت فيه الشركات المتعددة الجنسية ، فإننا في ظل ذلك كله نحتاج إلى متابعة شبة يومية لوضع الاقتصادي السائد في العالم ذلك لان الاقتصاد العالمي أصبح اقتصادا متشابكا موحدا مترابط الأركان بحيث لم يعد بقدرة أي محلي أو قومي العمل بمفردة دون التأثر أو التأثير بغيرة من الاقتصاديات .

لذلك فان سيادة الفكر الاقتصادي الليبرالي الحر في العالم جعل سمة التغير المستمر هي الطاغية على النمط الاقتصادي السائدة في العالم ، والهدف من ذلك كله جعل العالم ميدانا واسعا فسيحا رحبا تنفرد بة القوى الاقتصادية القوية تلعب بة بالأسلوب الذي يحقق لها المنفعة والمصلحة على حساب الإطراف الأخرى الضعيفة ([2]).

ثالثا : الجانب الاجتماعي :

لاشك أن العولمة قد أثرت في كافة جوانب النشاط الإنساني ، وكان الجانب الاجتماعي من أكثرها تأثرا حيث شمل التأثير كافة إبعاد الاجتماعية التي تتعلق بحياة الأفراد اليومية وطريق حياتهم المعيشية ، وقد شاهدنا كيف أن ثورة المعلومات والاتصالات وذوبان الحدود وسهولة تخطيها قد أثرت في

([1]) معهد بحوث الأمم المتحدة للتنمية الاجتماعية ،مصدر سابق ، ص241.
([2]) للمزيد عن ذلك راجع : ممدوح محمود منصور ، مصدر سابق ، ص 241.

جوانب الحياة الإنسانية وهيأت الظروف المناسبة للعولمة لكي تؤثر في الحياة الاجتماعية للناس من خلال وسائل الإعلام وخصوصا المرئية منها – الفضائيات – التي اخترقت الحواجز الأرضية والفضائية ودخلت عقر البيوت واستقرت فيها .

لذلك فقد كان وقع الصدمة عنيفا من الناحية الاجتماعية وخصوصا في مجتمعاتنا العربية والإسلامية لأنها لم تكن – وكما أسلفنا – جاهزة لتلقي العولمة بكل أحمالها ، حيث جاءت العولمة ومجتمعاتنا ترزح تحت نير التفكك القومي ، والضعف الإعلامي ،والتراجع الثقافي ، والتقلص العلمي والفكري ، والتباطوء العقدي ، والغياب ألقيمي ، مما اوجد حالة من الفقر والبؤس والأمية ونقص الوازع الديني ، وضعف الولاء القومي والوطني وازدهار العرقيات والعصبيات والقوميات ، مما انعكس سلبا على تماسك الأمة وقوتها وجعلها ضعيفة مستهانه، مستكينة لا تستطيع المقاومة .

في خضم ذلك كله جاءت العولمة برياحها العاتية فأحدثت صدعا بل صدوعا في جدار البناء الاجتماعي وتركت أثارا قوية نستطيع أن نجملها بما يلي :

1. غرس القيم والعادات والسلوكيات والأنماط الفكرية الغربية الغريبة على مجتمعاتنا في أذهان الناس وخصوصا فئة الشباب مما خلق جيلا جديدا يتنصل من قيمة وعاداته الأصيلة بل أنة ينظر إليها بازدراء ، مما انعكس سلبا على البناء الاجتماعي الأسري ، فتصدعت أركان الأسرة وأصبح نظامها هشا ضعيفا بعد أن كان قويا متماسكا مما أدى إلى تزعزع أركان المجتمع وخلق فيه نوعا من التفكك وعدم الاكتراث بين الأفراد لما يصيب احدهم ، كل يسعى إلى مصلحته الخاصة بعيدا عن المصلحة الجماعية للأمة .

يضاف لذلك كله ، اللهاث والسعي السريع خلف التقليد الأعمى لما يشاهد عبر وسائل الإعلام من موضات في اللباس وقصات للشعر وأنواع متنوعة للهواتف النقالة ، وأنواع متنوعة من العطور والماكياجات ، بل أصبحت تشاهد في مجتمعاتنا سبابا ليسو كالشباب ، وذلك بسب الألوان وإصباغ التي

أضافوها لأشكالهم وأجسامهم تقليدا للمطرب أو المطربة أو الرياضي أو الشخصية الجاذبة للانتباه في بلاد الغرب ، ولم تعد قضايا الأمة وهمومها تشغل بال الشباب بقدر انشغالهم بالجري وراء ما يشاهدون ويسمعون .([1])

2. زعزعة البناء الطبقي في المجتمع من خلال إيجاد فوارق طبقية واضحة فيه ، حيث أن سياسات العولمة وما نتج عنها أدت إلى تعميق حدة الفوارق الطبقية بين الناس حيث أن الأغنياء ازدادوا غنا والفقراء ازدادوا فقرا وبدأت الطبقة الوسطى بالتآكل بل بالتلاشي على الرغم من إن الطبقة الوسطى هي الأساس الذي نقوم علية المجتمعات المدنية المتحضرة وهي بمثابة صمام الأمان في المجتمع .

أما الطريقة التي أفرزت هذا التباين الطبقي فهي سياسات السوق الحرة المبنية على التنافس وتحقيق الربح بشتى الوسائل ، سواء عمليات المضاربة أو السمسرة أو الرشوة أو السوق السوداء أو التهريب أو الوكالات والصفقات المالية والفساد والاختلاس مما عزز من موقع الأغنياء في المجتمع وزاد من نسبة الفقراء والعاطلين عن العمل مما اوجد معدلات هائلة في الدول العربية والإسلامية من البطالة والفقر واوجد جيوبا واسعة من الناس الذين يعيشون تحت خطوط الفقر ، مما ساهم بظهور آثار سلبية ناتجة عن هذه الأمور كلها ، ومن هذه الآثار ، تزعزع الثقة بالحكومات نتج عنها وجود هوة واسعة بين الإفراد والأنظمة السياسية الحاكمة في بلدانهم([2]) ، وأيضا الهجرة إلى خارج

([1]) تشير بعض الأبحاث الحديثة إلى أن "أهم أسباب تفشي الفساد الأسري هو تفشي تقنيات العولمة الأخلاقية عن طريق الفضائيات والانترنت التي ساهمت بانتشار الجنس المثلي واستخدام المخدرات، كذلك ساعدت على تنوع اسا ليب التدخين وتناول المسكرات كما ساعدت على رخص سعرها وسرعة تداولها ن واعتمادا على بدائل من التقنيات الحديثة كثرة انشغال الأب والام في العمل خارج المنزل ربما لفترات طويلة مما اثر على التماسك الأسري وعلى أخلاقيات النشء" . انظر د. شعاع **اليوسف** ، مصدر سابق , ص 29 .

- ايضا : راجع يوسف العمارات ، مصدر سابق ،لبيان الآثار السلبية للعولمة الاجتماعية والاقتصادية .

([2]) نستذكر في هذا المقام ما يقوله أستاذ الاقتصاد بجامعة نيويورك ومؤلف كتاب (عبء الإنسان الأبيض) ويليام ايسترلي في مقالة له في (لوس انجلوس تيمز) في أيار عام 2006 : "ان المساعدات الأجنبية تعتبر نوعا من الكذب على أولئك الذين يتمنون الخير للفقراء العالم ويذكر ان هناك =

الأوطان بحثا عن لقمة العيش ، أما الخطير في هذا الأمر هو هجرة الكفاءات والعقول العربية والإسلامية الذكية إلى بلاد الغرب حيث تشير الإحصائيات إلى أعداد هائلة من العلماء العرب والمسلمين الذين يعملون في المراكز البحثية في الولايات المتحدة وأوروبا وخاصة في مجال الذرة وارتياد الفضاء والطاقة وغيرها من المجالات الحيوية .([1])

وفي هذا الصدد يجدر ان نستذكر ما أوردة الدكتور ممدوح محمود منصور في كتابة (العولمة ، دراسة في المفهوم و الظاهر والأبعاد) قولة : إن تطورات العولمة أوجدت عددا من الضغوط الاجتماعية أهمها :

ا.ارتفاع معدلات البطالة مع تراجع العمل وتسريح العمالة مما ترتب علية فقدان الأمان الوظيفي للكثير من الأيدي العاملة .

ب. انتشار ثقافة العنف أو ثقافة التناحر التي تهدف إلى سحق الأخر أو نفيه أو إقصائه مما ساهم في تغذية اتجاهات العنف والتطرف .([2])

3. ساهمت سياسات العولمة المتتابعة بازدياد معدلات الجريمة في المجتمع بأنواعها المختلفة بسبب سهولة التنقل بين أجزاء المعمورة وتوفر وسائل الاتصال

مخططات للأمم المتحدة والبنك الدولي تهدف للحد من الفقر عام 2015 ويورد قول عالم الاقتصاد (جيفري شاس) ان عام 2025 سيكون عام إعلان نهاية الفقر وعزا أسباب تعثر وصول المساعدات إلى الدول الفقيرة هي ، الفساد ، ونقص الحافز لدى السياسيين ، إضافة إلى البيروقراطية المفرطة وقلة الكفاءة ، بالقابل يقول : أن سبب قرب انتهاء الفقر في بعض المناطق كشرق وجنوب أسيا هو ، العمل الجاد من قبل السياسيين في مجال السوق المنفتح وجهود الإصلاحيين السياسيين والاقتصاديين المحليين . في النهاية يقول أن نهاية الفقر لايمكن ان تتحقق إلا بالإصلاحات السياسية والاقتصادية المحلية وليس عبر المساعدات الخارجية" .

([1]) د. ممدوح محمود منصور ، مصدر سابق ، ص ص، 99،100

([2]) تعترف أميركا وغيرها بان العلماء المسلمين كان لهم دور كبير في المجتمع الأميركي وهذا ما ذكره الرئيس الأميركي جورج بوش في تقدير لمساهمات العلماء الباكستانيين في النهضة العلمية الأميركية, إضافة إلى العلماء المصريين العاملين في مجال الفضاء والعلوم من أمثال الدكتور فاروق ألباز ، الدكتور احمد زويل الحائز على جائزة نوبل للعلوم عام 1999. للمزيد راجع د. عبد العزيز التو يجري ، مصدر سابق ، ص ص،104،105.

ومرونتها ، إضافة إلى استخدام التقنيات الجديدة في هذا المجال كالهواتف النقالة والحواسيب ووسائل النقل السريعة جدا كالطائرات والقطارات

لاشك ان اتساع وازدياد حركة الحياة سواء الاجتماعية أو الاقتصادية والتي تتسع وتزداد يوما بعد يوم ساهم ويساهم في اتساع نطاق المصالح المتعارضة بين بني البشر ، وهذا التعارض هو نتيجة حتمية وطبيعية بسبب التنوع في الحاجات والمطالب . والاستعراض السابق لأوضاع العالم في ظل العولمة من انفتاح للحدود وسهولة للتنقل ومرونة في وسائل الاتصالات والمواصلات احدث تطورا واتساعا في هذا التعارض وسبب طغيان الجانب المادي على الحياة المعاصرة وزاد من رغبة الجميع في الحصول على اكبر قدر من مكتسبات الحياة المادية مما ساهم وعزز من ظهر الجريمة وتطورها واتساع نطاقها .

أما موضوع الجريمة فهو موضوع مهم وحيوي ومن الضرورة أن نتحدث وان نجليه ونكشف الجوانب المخفية منة في زمن العولمة ، فالجريمة وحسب المفهوم العالمي تعني : أي عمل ينتهك المحاذير القانونية .([1])

وهي ليست عملية قانونية فحسب ، بل أنها عملية اجتماعية أيضا ، لذلك جزء أصيل من المجتمع ، وقياس الفعل على انه جريمة يختلف من مجتمع إلى أخر وذلك حسب القيم التي يؤمن بها ذلك المجتمع .

وقد كشفت الإحصائيات والسجلات الدولية على ان نسبة الجرائم ازدادت وتطورت أنواعها مع تطور الحضارة وازدياد تعقيداتها ، وهناك أنواع من الجرائم تطورت أكثر من غيرها بهدف تحقيق المنافع الشخصية والمكاسب المادية ، ومن هذه الجرائم :

([1]) منشورات معهد الأمم المتحدة للتنمية الاجتماعية ، مصدر سابق ،ص 115.

- ينصح بالرجوع إلى : د. محمد شلال العاني، عولمة الجريمة، سلسلة كتاب الأمة ،منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، قطر ،العدد 107 ،1426 هجري .

- **تجارة المخدرات :** ([1])

تشير التقارير إلى أن بيع المخدرات والمتاجرة بها قد ازداد في الآونة الأخيرة على مستوى العالم وذلك لسهولة انتقال هذه المواد من بلد إلى أخر بسبب ازدهار التجارة العالمية وقلة مراقبة الحدود إضافة لتوفر وسائل انقل السريعة وسهولة تحويل الأموال عبر الأجهزة الحديثة والمتطورة ن والدول النامية (DCs)في العالم هي مسرح زراعة وإنتاج وتصدير المواد المخدرة إلى إنحاء العالم المختلفة ومن أكثر الدول المنتجة والمتاجرة بهذه المواد هي : أفغانستان([2]) ، بوليفيا ، كمبوديا ، إيران ، باكستان ، البيرو، تايلاند ، وتعتبر الدول الصناعية هي اكبر مستهلك للمخدرات وخاصة الولايات المتحدة وكندا ، إن صناعة الكوكايين في بوليفيا – مثلا – تساوي 20٪ من الناتج المحلي في البلاد ، وتساهم الأموال العائدة من المخدرات في دعم كثير من اقتصاديات الدول المنتجة وسداد ديونها واستقرار اقتصادها ناهيك عن الفائدة الكبيرة التي يجنيها الفقراء من هذه التجارة .([3])

([1])افاد تقرير الأمم المتحدة الذي صدر بتاريخ 26/ 6/ 2006 الخاص بالمخدرات ان جهود مكتب الأمم المتحدة حول المخدرات والإجرام الذي مقرة في فيينا قد أعطت نتائج جيدة وناجحة في السيطرة على مشكلة المخدرات عالميا حيث تم خفض زراعة الخشخاش في منطقة المثلث الذهبي في جنوب شرق أسيا بنسبة 26٪ في بورما و 72٪ في لاوس التي أوشكت ان تكون خالي من زراعة الخشخاش , وف أفغانستان الدولة الأولى في العالم المنتجة للأفيون في العالم سجل تراجع في زراعة الخشخاش للمرة الأولى منذ عام 2001 ، وبحسب اخر إحصائيات 2004 فان 162 مليون شخص يتعاطون الحشيش من أصل 200 مليون يمثلون 5٪ من سكان العالم أعمارهم ما بين 15- 64 عام ويستهلكون المخدرات مرة في السنة على الأقل ، ويشير التقرير إلى زيادة انتشار استهلاك الكوكايين في أوروبا الغربية والتي تستهلك 26٪ من الاستهلاك العالمي .(الرأي العدد 13075، تاريخ 26/ 6/ 2006.)

([2]) ذكرت صحيفة الغارديان ان إقليم (هلمند) الأفغاني سينتج هذا العام (2006) ثلث هيروين العالم وهذا يعكس فشل الجهود المبذولة لمكافحة هذه الآفة والتي كلفت ما يزيد عن ملياري دولار منذ عام 2001 لغاية عام 2006.(صحيفة الغارديان البريطانية ، نقلا عن صحيفة الرأي ، العدد 13048 ، تاريخ 17/ 6/ 2006.)

([3]) المصدر السابق، ص ص ، 135، 136.

-لبيان دور شبكة الانترنت في انتاج المخدرات ومساهمتها في ذلك المساهمة الفعاله يمكن الرجوع إلى : ذياب البداينة ، التحديات الامنية في عصر العولمة ، مجلة الدراسات الامنية ، العدد الأول ، حزيران ، 2004، ص16.

وتعتبر عصابات المخدرات في كثير من دول العالم ذات قوة مادية ومعنوية تفوق بكثير قوة الدولة نفسها ن حيث تمتلك هذه العصابات أنظمة اتصالات معقدة وتستخدم الحاسوب في عملية التوزيع وتحريك الأرباح حول العالم إضافة الى امتلاكها الطائرات العمودية والسفن والأسلحة الحديثة .

أما الفائدة التي تحققها الجماعات والدول من إنتاج وتوزيع المخدرات لا تساوي شيء مقابل الأعباء الكبيرة والثقيلة التي تتحملها الدول من جراء هذه الآفة الخطيرة ، حيث أن انتشار المخدرات في دولة ما وإدمان الشباب عليها يؤدي إلى مشاكل وأضرار اجتماعية تتمثل في : التفكك الأسري ، وانهيار التماسك الاجتماعي ، وضياع طاقات الشباب ، إضافة إلى الأموال الطائلة التي تبذل من علاج المدمنين من أدوية ومراكز علاج وموظفين وأعباء أخرى كثيرة ن ناهيك عن إشغال السلطات سواء من الناحية الأمنية او القضائية إضافة إلى الأضرار التي تقع على الآخرين الذين يكونون ضحايا لهولاء المدمنين ، يضاف لذلك كله الأموال الطائلة التي تنفق على استهلاك المخدرات ، فمثلا في الولايات المتحدة الأميركية وحدها ينفق ما يزيد عن إجمالي الناتج القومي ل (80) بلد من دول العالم النامية مجتمعة على استهلاك المخدرات وهذا بحد ذاته يخلق مشاكل اقتصادية قد تؤدي إلى دمار اقتصاد البلاد إذا لم يتم السيطرة عليها.([1])

وتبذل الدول جهودا مضنية لمنع امتداد ولانتشار هذه الظاهرة الى أراضيها ووضعت لذلك استراتيجيات وطنية ترتكز على أسس كثيرة أهمها : تقوية الوازع الديني وبيان رأي الدين في هذا الموضوع وخاصة في البلاد الإسلامية ، حيث يحرم الإسلام هذه الآفة الخطيرة لما لها من أضرار كثيرة على الفرد والأمة معا ، إضافة الى تشديد الرقابة على المعابر الحدودية وزيادة صلاحيات المفتشين العاملين في هذه المجالات والتشدد في تنفيذ القانون ، يضاف لذلك كله السعي الحثيث لتجفيف المنابع الرئيسية في البيئة التي يخرج منها

([1]) المصدر السابق ، ص 138

المتعاملون في هذه الآفة مثل ،محاربة الجهل والفقر والبطالة والانحلال الأخلاقي وزيادة التماسك الاجتماعي إضافة إلى التركيز على قيمة الأسرة في المجتمع كنواة أساسية في إنشاء الجيل الواعي المؤمن المدرك لمخاطر هذه الآفة ، يضاف لذلك كله تضافر الجهود المؤسسات الرسمية وغير الرسمية في إعطاء المحاضرات وبرامج التوعية والتثقيف والتدريب التي تساهم في حماية المجتمع وجعله نظيفا قويا متماسكا رغم كل ما يهب علية من رياح العولمة .([1])

- **تزايد النشاط الإجرامي على مستوى العالم .**

شهدت سنوات الانفتاح العالمي وتحول العالم إلى قرية صغيرة تعج بالنشاطات التكنولوجية المتطورة تطورا كبيرا في النشاط الإجرامي وتنوع الجرائم واختلاف مسمياتها التي تمارس من قبل عصابات قوية متمرسة في الإجرام اتخذت من العالم كله مسرحا لجرائمها ولم تقتصر على دولة واحدة ، حيث أخذت هذه الجرائم طابع (الجريمة المعولمة) التي يمتد مداها ليشمل العالم كله ، والذي سهل ذلك كله هو التكنولوجيا الحديثة كما أسلفنا ، إضافة إلى تطور وسائل الاتصال والمواصلات .([2])

([1]) هناك دراسات كثيرة تحدثت عن دور التربية الأخلاقية في تكوين الشخصية المستقيمة للفرد والمجتمع يمكن الرجوع إليها .
- د . محمد شلال العاني ،مصدر سابق ،ص 67- 77.

([2]) لقد أفرزت التكنولوجيا الحديثة وانتشار الانترنت نوعا جديدا من الإرهاب يسميه المختصون (الإرهاب الالكتروني) حيث يتم استغلال هذه الشبكة من خلال بناء مواقع مختلفة للجماعات الإرهابية تبث من خلاله أفكارها وتتراسل فيما بينها مما يوسع من نشاطاتها ويعطيها قدرا كبيرا من المرونة وسرعة الحركة والاتصال إضافة الى استخدام البطاقات الالكترونية المسروقة للهيمنة على حسابات بنكية كبيرة قد تستخدمها هذه الشبكات في تمويل عملياتها ودعمها لوجستيا .
- يقول (روبرت موللر) مدير مكتب التحقيقات الفيدرالية المركزية الأميركية في معرض حديثة عن تمازج العولمة والتكنولوجيا ودورهما في خلق سلالة جديدة من الإرهاب :"هناك ما يتراوح مابين 5 إلى 6 آلاف موقع على الانترنت تشجع المتطرفين على بث أفكارهم وإقامة علاقات مع من يشاركونهم هذه الأفكار ، وأضاف" ان الانترنت تلعب دورا رئيسيا يسمح للإرهابيين المحتملين بالحصول على المعلومات او تمريرها بسرية نسبية" وتعمل الولايات المتحدة على قاعدة بيانات تضم 200 ألف إرهابي او مشتبه بانتمائه للإرهابيين . (الرأي العدد 13057 تاريخ 26/ 6/ 2006) =

أصبحت بعض هذه العصابات ذات قوة ونفوذ يتهدد الحكومات والدول نفسها ، بل ان بعضها أصبح له تأثير في تحديد مجريات الحياة السياسية والاقتصادية لبعض الدول ، وبالتالي كان لابد للمجتمع الدولي من تكثيف جهوده وتعاونه من اجل الحد من تفاقم ظاهرة الجريمة وامتدادها واتساع نطاقها ، وأكثر الدول معاناة من الجريمة هي الدول الصناعية الرأسمالية حيث ازدياد معدلات البطالة ووجود فوارق طبقية في المجتمع الواحد وشعور الكثير من الناس بالغبن والظلم ، وفي أطراف أخرى من العالم نجد ان سبب الجريمة المباشر هو الفقر والحرمان مقارنة مع الإطراف الأخرى الغنية والثرية مما ولد حقدا من الفئة المحرومة تجاه الفئة الغنية الثرية فأنتج ذلك الجريمة وزاد من حدتها مما استنزف الكثير من الطاقات والأموال من اجل تخفيف حدة هذه الظاهرة ، فمثلا في ولاية كاليفورنيا ينفق على السجون أكثر مما ينفق على التعليم ([1])

- تقوم بعض الجهات باستغلال شبكة الانترنت للقرصنة والإجرام حيث بلغت إرباح جرائم الانترنت عام 2005 (105) مليار دولار وتجاوزت بذلك أرباح تجارة المخدرات ومن ضمن هذه الجرائم هي عمليات تجارة الجنس بالأطفال واستغلال البورصة وسرقة البرامج الالكترونية والابتزاز ويتوقع خبراء الأمن ان تتزايد تلك النشاطات ارتباطا بالانتشار السريع للتكنولوجيا في الدول النامية ، يضاف لذلك استخدام الوسائل المحمولة كأدوات نافعة بالنسبة لمرتكبي الجرائم على الانترنت وفقا لتقرير أعدة مركز التعليم والبحث في المعلومات والأمن بجامعة بيرديو الذي أعدة الدكتور ماركوس روجرز إلى أن العنصر الإجرامي يجد استخدامات بديلة للوسائل الشائعة حيث يتم استخدام الهواتف المحمولة ووسائل أخرى لنقل صور أطفال مستغلين جنسيا .(الرأي الأردنية ، العدد 13053، تاريخ22/ 6/ 2006).

([1]) د. ممدوح محمود منصور، مصدر سابق ، ص 103.

- تشير الدراسات الى ان ما يقارب 1/ 3 السكان في الدول النامية يعيشون في حالة فقر مطلق إضافة الى ان 3،1 بليون إنسان في الدول النامية محرومون من الحد الأدنى لمياه الشرب ، وان 23 مليون شخص لاجئون وان 100 مليون شاب بدون مأوى او مشردين (معهد دراسات التنمية في الأمم المتحدة ، ص39).
- أكثر من (8،1) مليون طفل عام 2005 ماتوا بسبب الجفاف الناتج عن الأمراض المرتبطة بالإسهال (وليام ايسترلي) لوس انجلس تايمز ، أيار 2005 .
- يوجد في روسيا وحدها أكثر من (150) ألف طفل مشردين بدون ماؤى حيث يشكلون مرتعا خصبا لنمو الجريمة . (نقلا عن فضائية العربية ، برنامج محطات) 3 حزيران 2006.

أما بلادنا العربية والإسلامية فإنها لم تسلم من رياح الجريمة بأنواعها المختلفة التي هبت متزامنة مع رياح العولمة ، حيث بدأت تظهر على السطح ظاهرة الجريمة الأخلاقية في مجتمعاتنا حيث انحرف الجيل الجديد عن الطريق المستقيم لعوامل كثيرة ساهمت فيها المدنية الحديثة التي أخذتها الدول والحكومات على علاتها دون تمييز بين ما يصلح لنا ومالا يصلح ألا لغيرنا ، إلا أن الحل موجود بين أيدينا كمسلمين ألا وهو النظام الأخلاقي الشمولي في الإسلام الذي يصلح لكل زمان ومكان رغم تطور الحضارات والمدنيات والذي يتقبله العقل والمنطق وينسجم مع فطرة الإنسان التي فطر عليها ويلبي للنفس رغباتها ضمن منطق العقل المستقيم والذي وضح للإنسان طريق الخير وحضه عليها وبين لة طريق الشر ونهاة عنها .([1])

• ومن الجرائم التي تمارس على نطاق واسع في عالم اليوم : جرائم غسيل الأموال وجرائم الدعارة التي يستخدم فيها الأطفال والنساء بالإضافة إلى جرائم الاتجار بالرقيق من النساء والأطفال :

أما جرائم غسيل الأموال فإنها تعرف " بأنها العمليات التي يسعى من خلالها مرتكبوها إلى إخفاء حقيقة هذه الأموال ومصادرها والناتجة عن مصادر غير مشروعة ، وطمس هويتها بحيث يصعب التعرف عليها ما اذا كانت هذه الأموال ناتجة عن أعمال مشروعة ام لا " .([2])

حيث أشارت بعض التقديرات إلى أن حجم غسيل الأموال يصل إلى 1،5 تريليون دولار سنويا ، أي حوالي 8٪ من إجمالي التجارة العالمية ، والذي عزز من هذه الجريمة هو سهولة التنقل بين الحدود وما صاحب ذلك من تطور في سهولة عمليات تحويل الأموال وتحريكها عبر الوسائل الحاسوبية المتطورة .([3])

([1]) يمكن مراجعة المنهج الأخلاقي للشريعة في الوقاية من الجريمة ، في : محمد شلال العاني ، مصدر سابق ، ص40 – 50.

– ايضا يمكن مراجعة : د. المأمون علي جبر المحامي ،مصدر سابق ،ص75 – 99.

([2]) ممدوح منصور محمود ، مصدر سابق ، ص104 .

([3]) المصدر السابق , ص 105 .

-غسيل الاموال:

يضاف لذلك الجرائم الواقعة على الأطفال وخصوصا في الدول الفقيرة والتي تعاني من أزمات مالية وتفشي البطالة وانتشار ما يعرف ب 0(ظاهرة أطفال الشوارع) حيث يصبح هؤلاء الأطفال فريسة سهلة لممارسة الجريمة بأنواعها المختلفة مثل : الدعارة ، والاتجار غير المشروع بهم ، حيث ذكرت معلومات صادرة عن الأمم المتحدة بأنة قد تم بيع حوالي عشرين مليون طفل خلال السنوات العشرة الأخيرة بالإضافة إلى أنة وحسب تقديرات منظمة اليونيسيف يتم تصدير حوالي (90) ألف طفل سنويا من دول أميركا اللاتينية واسيا وشرق أوروبا الى الدول الغنية ، وان الدول الصناعية تستورد (5) ملايين طفل سنويا .([1])

4. تحريك الو لاءات والانتماءات العرقية والطائفية والقبلية :

وهي من الآثار السلبية السيئة التي أفرزتها العولمة ، رغم ان هدف العولمة المعلن هو تحويل العالم كله إلى مجتمع واحد مترابط متآخي متكامل ، الا ان النتيجة التي توصل لها العالم هو العكس ، حيث برزت دعوات هنا وهناك تنادي بالتقوقع القومي والعرقي والاثني والطائفي والمذهبي والفئوي الضيق وذلك لخوف هذه الجماعات والطوائف والأعراق من ان تذوب هويتها وان تنطمس شخصيتها فعمدت الى التشبث بالقومية والطائفية ..... وذلك حفاظا على أصالتها وثقافتها وبالتالي هويتها المميزة لها عن غيرها وخاصة ان العولمة قد قلصت من دور الدولة القومية وأضعفت من سلطتها .

كل ذلك افرز مشكلات اجتماعية في العالم العربي والإسلامي بداءت تؤرق الدول والحكومات والأنظمة السياسية وتقض مضاجعها ، حيث بداءت

يعني تنظيف الأموال المتأتيه عن طريق الجريمة من خلال القيام بمشاريع مقبوله اجتماعياً ودمجها في مشروعات قانونية انظر: ذياب البداينة ، التحديات الامنية في عصر العولمة ، مجلة الدراسات الامنية ، العدد الأول ، حزيران 2004، ص104.

([1]) المصدر السابق ، ص 104 .

- وهنا لابد ان يبرز دور منظمات حقوق الإنسان على مستوى العالم .
- سنفرد فصلاً خاصاً يتحدث عن اثار العولمة على حقوق الإنسان من جميع النواحي.

هذة الانتماءات الضيقة بالنمو والتزايد والتطور فساهم ذلك في وقوع الخلافات والمشكلات بل الحروب الطاحنة الناتجة عن الاحتماء خلف متاريس الهوية الثقافية التي تدافع عنها هذه الجماعة او تلك نظرا لشعورها بالغبن أو الظلم أو هضم الحقوق او انتقاصها مما اشغل الأمة بقضايا جانبية ضيقة وأبعدها عن مشروعها الحضاري والإنساني ورسالتها الخالدة للبشرية جمعاء التي تدعوا للتآخي والتسامح بغض النظر عن الأعراق والأجناس والطوائف والمذاهب والاثنيات الضيقة ولنا في سلفنا الصالح – رضوان الله عليهم – خير قدوة ومثل حيث فتحوا شرق الدنيا وغربها وكان فيهم العربي والعجمي والفارسي والرومي البربري والكردي والعبد والحر والوضيع والشريف والغني والفقير ، كلهم يجمعهم هدف واحد ورسالة واحدة ويدفعهم دافع واحد مما جعل منهم سادة الدنيا وقادتها وجعلهم حكام العالم وملوكه في بضع عشرات من السنيين ، فساد عدل الإسلام وأشرق نورة فوق بقاع الدنيا كلها فعم السلام والإخاء والمحبة والعدالة والحرية ، واختفت الأمراض الاجتماعية التي تعاني منها امتنا في هذا الزمن الضيق مما أغرقها في مستنقعات الجهل والتخلف والتبعية فأصبحت في أخر الركب وذيل القائمة ، والحل لكل هذا هو بعودة الأمة لحمل رسالتها العالمية الخالدة التي جاء بها محمد (ص) إلى الناس كافة بشيرا ونذيرا دون تمييز وتركها أمانة في أعناقنا نسل عنها يوم الدين .

قد تكون الآثار الاجتماعية السلبية الناتجة عن العولمة أكثر مما ذكرناه بكثير ولكن بعضها قد يأخذ أولوية على البعض الأخر ، إلا إننا يجب ان ندرك بان العولمة _ وكما أسلفنا _ سلاح ذو حدين فقد يقابل الآثار السلبية أثار ايجابية قد يستفيد منه المجتمع بأسرة او الأفراد بصفتهم الفردية ويسخرونها لخدمتهم وخدمة مجتمعاتهم وبما يعود بالنفع والفائدة على كل من ابتغى ذلك .

وللإنصاف فأنة من الواجب ان نوضح حلولا مقترحة لتلافي السلبيات وما قد يستجد من تطورات في حياة الإنسان :

1. سياسة السوق الحرة التي أفرزتها العولمة قد تكون حافزا قويا لمن أراد ذلك للعمل والاجتهاد والبذل وتحسين الأداء في الإعمال التي قد يقوم بها الشخص او في المشاريع العامة التي يعمل بها الأفراد وذلك من اجل الحصول على الربح المادي دون اللجوء الى الأعمال غير الشريفة كالربا والسوق السوداء والتهريب والفساد والرشوة ووسائل الربح السري الأخرى المعروفة ، لذلك فهي دافع نحو النشاط والاجتهاد والعطاء اذا أحسن استخدام هذه السياسة والتي قد تساهم أيضا في تقليص الفجوة بين الأغنياء والفقراء ، يضاف لذلك ان هذه السياسة تسمح للدولة بالتدخل وخاصة في الحالات التي يتعلق الأمر فيها بضبط التوازن في المجتمع مما يحافظ على قوة النظام السياسي والاجتماعي والاقتصادي في البلاد.

2. المجتمع الآمن هو المجتمع المنتج المبدع المفكر المتطور ، لان الآمن عنصر هام في حياة الإنسان فهو يحتل المرتبة الثانية في أولويات الإنسان بعد غريزته الأولى وهي تامين الطعام ، لذلك ورغم ما أفرزت العولمة من جرائم وهيمنة وتسلط للقوي على الضعيف الا أننا كمسلمين لدينا حلولا ليست عند غيرنا ، فعندنا قيم الإسلام السمحة ومبادئه العظيمة ن فالجريمة المعلومة نستطيع ان نجعلها حافزا ودافعا لنا للعودة إلى الجذور العودة الى هذا التشريع الرباني المقدس الذي فيه السعادة والطمائنينه للإنسانية جمعاء ، وان لا نلقي باللوم على الزمان والحضارة والتطور دون البحث عن الحلول والتي من أفضلها هو إحياء التربية الأخلاقية الإسلامية ورعايتها في قلوب الناس والعمل على صقل النفوس وتهذيبها وتحصينها ضد الشر والرذيلة والانحراف واجتثاث عناصر الحياة الملائمة والتربة الخصبة والمناخ المناسب لشجرة الانحراف والفساد .

3. العلم سلاح فعال وفتاك فالعولمة والتطور الذي جاءت بة أساسة العلم والمعرفة وهذا العلم كما سخرته بعض الفئات للفتك والدمار والشر نستطيع ان نسخره للخير والسعادة ونجعله أساس التقدم والتحضر المادي والروحي كما كان وكما إرادة ديننا الحنيف ، ولتكن العولمة حافزا ودافعا لنا للعودة الى العلم

والمعرفة وارتياد أفاقهما ن لان العلم الطريق المؤدية الى معرفة الخالق عز وجل ، ومعرفة الخالق توجب الخشية والخوف منة والالتزام بما أمر والابتعاد عما نهى مما يولد في نفس الإنسان نفسا طيبة نقية وضميرا حيا يأمره بحسن الخلق وسمو الروح بعيدان عن النزوات والشهوات والأهواء فتسود في المجتمع الفضيلة والخير والاستقامة وتختفي الجريمة والرذيلة والشرور فتسمو النفس مطبقة القاعدة الذهبية " ان تعفو عمن ظلمك ، وان تصل من قطعك ، وان تعطي من حرمك، وان تحسن الى من أساء إليك " .

وفي هذا المقام يحسن بنا أن نتذاكر معا ما قاله العلامة والمفكر الإسلامي الدكتور عبد العزيز التو يجري في كتابة " العالم الإسلامي في عصر العولمة : " إن التفوق في العلم إنما ينشاء من الارتقاء في التربية والتقدم في التعليم ، والعلم يبدءا من تطويع ملكة الفهم والاستيعاب والتعقل والتبصر وصقلها صقلا يفجر طاقاتها ، والتربية تسبق التعليم في مرحلة ثم يتوازيان فيما يستقبله الإنسان من مراحل التحصيل والتكوين والتأهيل ، ولن يؤدي التعليم وظيفته كاملة وعلى النحو الذي يؤثر ايجابيا وعميقا في المجتمع إذا لم يكن مقرونا بالتربية .... ويتابع قائلا : ان التعليم هو العنصر الأشد حيوية والعامل الأقوى في تطور الأمم والشعوب وارتقاء الدول وامتلاكها لأسباب القوة " ويقول في موضع آخر : فالعلم كما أسلفنا القول هو الذي يصنع الحضارة وهو الذي يصوغ مستقبل البشرية " ([1]).

وبالتالي علينا ونحن مجبرون على التعامل مع العولمة كواقع لا يمكن انكارة ان ندرك ان صناعة المجتمع المسلم القوي هي الأساس المتين الذي يحمينا من الوقوع في براثن العولمة ، وهذا يتطلب منا أن نحدد حياتنا بإصلاحات جذرية شاملة وتصحيح أوضاعنا الثقافية والتربوية والاجتماعية من اجل الوصول الى تنمية شاملة مستدامة بحيث تصبح لدينا القدرة على التمييز بين السلبيات التي يجب أن نرفضها والايجابيات التي يجب ان نتعايش معها ونتقبلها ونطوعها لخدمة

([1]) للمزيد في هذا المجال راجع : د. عبد العزيز التويجري ، مصدر سابق ، ص ص 33 34.

مصلحة امتنا والرقي بها لجعلها في مصاف الأمم والشعوب لتكون قادرة على استعادة دورها الحضاري والريادي في المجتمع الإنساني والقيام بأعباء الرسالة العالمية التي جاءت بها إلى سائر الأمم والشعوب .

قال تعالى :" كنتم خير امة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر" .(1)

رابعا : الجانب السياسي والعسكري .

قد يبدو للباحث في أثار العولمة صعوبة الفصل بين الأبعاد السياسية والعسكرية للعولمة وذلك أنهما مترابطان بطريق تزاوجيه يصعب فصل احدهما عن الأخر لان الجانب العسكري هو نتاج للتفكير السياسية ، فالسياسي يفكر والعسكري ينفذ لذلك ومن هذا المنطلق نجد ان للعولمة تأثيرات بارزة في المجال السياسي والعسكري لاتقل أهمية عن أثارها في المجال الاقتصادي والاجتماعي والثقافي .

ساد العالم ولفترة ليست بالقليلة النسق العالمي الثنائي القطبية بزعامة الولايات المتحدة ممثلة للمعسكر الغربي والاتحاد السوفيتي ممثلا للمعسكر الشرقي ، وساد خلال هذة الفترة ما يسمى (الحرب الباردة) التي كان لها الفضل الكبير في الحفاظ على التوازن بين القوتين العظميين في العالم رغم التنافس الشديد والمحموم بين الطرفين على امتلاك السلاح [2] ، ولكن ومع تطور الأحداث التي استعرضناها فيما مضى والتي كان من أهمها انهيار الاتحاد السوفيتي وسقوط الأيدلوجية الشيوعية وانفراد الولايات المتحدة بزعامة العالم

---

(1) الأية 110 من سورة آل عمران .

(2) يقول باتريك سيل في صحيفة الحياة :" لقد أسهمت الأسلحة النووية في إقامة الاستقرار بين الغرب والاتحاد السوفيتي سابقا وبين الهند والباكستان ، فهل تؤدي إلى نفس النتيجة بين إسرائيل وإيران ....ويتابع :" لقد اثبت التاريخ ان توازن القوى يؤدي الى السلام في حين ان اختلال التوازن في القوى يؤدي الى الحرب باعتبار ان الطرف الأقوى سيسعى الى فرض ارادتة بالقوة ...." نقلا عن الرأي ، العدد 13048، تاريخ 17/ 6/ 2002)

بالإضافة الى مجموعة الدول الصناعية الكبرى التي تدور في فلكها والتي تمثل الشمال الغني.بينما تمثل دول الجنوب مجموعة الدول الفقيرة اقتصاديا .([1])

ومن أهم الآثار السلبية للعولمة في المجال السياسي مايلي :

1. **تآكل وتقلص دور الدولة القومية وضعف سيادتها الوطنية .**

جاءت النظريات الكثيرة في مجال الدولة وسيادتها ودورها في فرض سلطانها وبسط هيمنتها على إقليمها لتؤكد على أهمية هذا الدور في إبراز دور الدولة كفاعل رئيسي في مجال العلاقات الدولية ولتؤكد على أهمية مفهوم السيادة الذي يعطي للدولة الهيبة والقوة سواء على الصعيد الداخلي او الخارجي، حيث سادت العلاقات الدولية ولفترة طويلة صورة النسق الدولي التقليدية القائمة على مجموعة كبيرة من الدول ذات السيادة .

ولكن مع بروز ظاهرة العولمة والتغيرات الجذرية التي شهدها العالم والتي حولته إلى قرية صغيرة ، وما رافقها من ثورة هائلة في وسائل الاتصال ووسائل الإعلام والمواصلات وخاصة الجوية منها مما أسهم ويساهم بل يفرض واقعا جديدا من التفاعلات بين وحدات المجتمع الدولي أدت الى سهولة تبادل ليس السلع فقط بل المعلومات والأفكار وأصبحت المشاركة الجماعية ضرورة تفرضها الظروف المحيطة ، وهذا معناه صعوبة التقوقع والعزلة والانكفاء لان ذلك أصبح ضربا من ضروب الخيال وما يعزز ذلك ان الفضاء كله أصبح مفتوحا ولا مجال لحدود لتقف حاجزا أمام انسياب الأفكار والمعلومات والثقافات وصعوبة التحكم في تدفقها عبرا لوسائل الاتصالية المختلفة ، هذا كله أدى الى تآكل مفهوم السيادة الوطنية ومدى قدرة الدولة على فرض سيطرتها وبسط هيمنتها ومدى قدرتها على رسم سياستها بالمفهوم التقليدي المعروف وذلك بسبب سهولة التدخل الأجنبي في شؤون الدول وكثرة المبررات التي تساق لهذا التدخل ، فانطلاق الشركات المتعددة الجنسية الى كل بقاع الدنيا وتدخلها في الحياة الاقتصادية

[1] للمزيد انظر : ممدوح منصور محمود ، مصدر سابق ، ص44.

والسياسية لكثير من الدول بسبب إمكانياتها المادية الهائلة وتطويع سياسات هـذه الدول لخدمة مصالحها ومصالح أسيادها مـن الـدول العظمـى والكـبرى وفـق معايير ترسمها تلك الدول . يضاف لذلك كلة هيمنة القطب الواحد على العـالم وسهولة إيجاد مبررات كثيرة للتدخل في شؤون الـدول مثـل : نشـر الديمقراطيـة وحقوق الإنسان وتبني التعددية السياسية وحماية حقوق الأقليات وحمايـة الأمـن العالمي وحماية المصالح القومية والعالمية ...... وغيرها الكـثير ممـا يضـعف هيبـة الدولة وقدرتها على بسـط سـلطانها وسيادتها فـوق إقليمهـا وبالتـالي ضـعف سيادتها الوطنية بل أن السيادة الوطنية ذاتها بات تسير الى التلاشي في كـثير مـن دول العالم وانتقال العالم إلى ما يسمى بمفهوم (ما بعد السيادة).([1])

وفي هذا الإطار نجد أن التغيرات الدولية سـاهمت أيضـا في تغـيير كـبير في مفهوم السيادة حيث لم تعد الـدول تتمتـع بالسـيادة المطلقـة كمـا كـان الأمـر في السابق حيث ان وجود القانون الدولي ووجوب احترامه وتطبيق بنوده من قبـل الدول ، بالإضافة الى الدور الفاعل الذي بداءت تلعبه المنظمات الدولية وخاصة في مجال حقوق الإنسان ، والأمن الجماعي العالمي ومشاريع التنميـة ...... الخ ، كلها جعلت الدولة تمارس سيادتها ضمن إطـار قواعـد القـانون الـدولي وهـذا لايعتبر انتقاصا من سيادتها لأنة أمر عام يشمل كافـة الـدول ، بالإضـافة إلى أن الدولة لوحدها لم تعد قادرة وفي ظل المعطيات الجديدة على حل المشكلات الـتي تواجهها دون تعاون وترابط مع الدول الأخرى وخاصة أن كـثير مـن المفكـرين والباحثين يميلون إلى القول ، أن النظام الدولي لم يعد دوليا بل أصبح عالميـا وان العلاقات الدولية أصبحت أممية ولم يعـد هنـاك منـاص للدولـة مـن أن تتفاعـل وتتعاون مع غيرها من الدول من اجل تحقيق مصالحها وأغراضها .([2])

أما الدولة القومية التي اتضحت معالمها بشكل واضح ومميـز منـذ معاهـدة (وستفاليا) عام 1648م عندما وقعت دول أوروبا هذه المعاهدة بقصد التصالح

([1]) المصدر السابق ، ص46.(بالتصرف)

([2]) للمزيد في هذا الإطار انظر : سعد حقي توفيق ، مصدر سابق ، ص284- 287.

فيما بينها ونهاية الحروب الدمويه التي كانت قائمة وإقرار مبدءا احترام الحدود السياسية بين الدول وعدم التدخل في شؤون الدول الأخرى ، مما رسخ مفهوم الدول القومية الموحدة والتي أدت إلى ظهور المجتمع القومي في منتصف القرن الثامن عشر والذي مثل مرحلة تاريخية متميزة في تاريخ المجتمعات الإنسانية ، حيث ساهمت الدولة القومية وفي خلال المراحل التاريخية المختلفة للمجتمع الإنساني في تنمية شعوبها والسعي لتحقيق الرفاه الاقتصادي والسياسي والاجتماعي لمواطنيها وتحقيق الاستقلال لهم وطي صفحات الاستعمار البغيض والنهوض بمجتمعاتها بما يعود عليهم بالنفع والفائدة ، وهذه الأدوار الهامة التي قامت بها الدولة القومية لا يمكن لأحد إنكارها او تجاهلها ، إلا أن الظروف الدولي المتغيرة والانفراد الأميركي بالهيمنة على العالم بعد انهيار الاتحاد السوفيتي عام 1991 ورغبة هذه القوة بالهيمنة والسيطرة وتطويع العالم كله لخدمة مصالحها وأهدافها وإلغاء كل دور يتقاطع مع ويتعارض مع مخططاتها ومشاريعها أدى إلى تعرض الدولة القومية إلى تصدعات وحصارات في كافة المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعي والثقافية والإنسانية ، بل ان بعض المفكرين والباحثين بما يشبه حالة الاستعمار المباشر ، حيث ان هذه الدول ستواجه صعوبات كثيرة ومتاعب كبيرة في سعيها للمحافظة على خصوصيتها الوطنية وهويتها القومية ([1])، بالإضافة إلى المتطلبات الهائلة والاحتياجات المتزايدة التي تواجهها الدولة في المجالات كافة وعجزها عن تلبية هذه المتطلبات لأنها اكبر من حجمها وإمكانياتها وهذا ما دفع الدول الرأسمالية الغنية التي استفادت من الدولة القومية فائدة عظمى في إيصالها الى مرحلة النضوج والقوة مما دفعها إلى أن تدعو وتساهم في إضعاف دور الدولة القومية وإحلال الشركات

([1]) حميد السعدون ، العولمة وقضايانا ، مصدر سابق ، ص34- 37.

المتعددة الجنسية محلها ، وليكون الاقتصاد هو المهيمن على السياسة واقتصار دور الدولة القومية على الحارس الذي يعمل على رعاية مصالح الرأسمالية العالمية التي تسعى إلى تحقيقها من خلال الأنظمة الليبرالية التي تمارس خصخصة كل شيء بهدف تغييب الدولة بإنهاء ملكيتها وجعل القطاع الخاص هو المسير لشؤون البلاد وهذا بدورة يشجع الطوائف والجماعات العرقية على استغلال غياب دور الدولة والعودة إلى موضوع الانتماءات العرقية والطائفية مما يؤدي إلى شرذمة الدولة الواحدة وتقسيمها إلى دويلات ([1]) .

2. فرض النموذج السياسي الليبرالي الغربي على العالم كله :

والذي عزز من هذه الدعوة كما أسلفنا هو انهيار النموذج الشرقي الاشتراكي الشيوعي في الاتحاد السوفيتي وانفراد النموذج الغربي الليبرالي والترويج لنجاحه في مختلف بقاع العالم وبصور مختلفة والدعوة إلى تبني هذه الأيدلوجية وهذا النظام مع التنديد بغيرة من الأنظمة السياسية ، بل ان الأمر وصل إلى حد فرضه ولو بالقوة وذلك من قبل الولايات المتحدة حفاظا على مصالحها الإستراتيجية وأهدافها بعيدة المدى دون مراعاة لخصوصية الم والشعوب وعدم مراعاة لظروف والأوضاع الاجتماعية والثقافية والدينية لهذه الشعوب على اعتبار ان ما قد ينجح في الغرب قد لا ينجح في الشرق .

إن ما حدث ويحدث في العراق وأفغانستان وفلسطين وبعض الدول والبلاد الإسلامية لهو دليل على الدعوة الغربية المعولمة لإجبار العالم كله على السير وفق نظام سياسي واقتصادي واجتماعي وثقافي واحد يتفق مع أهداف ومصالح الغرب والتي من أهمها تطويع المنطقة كلها بما تحويه من خيرات لمصلحتها وبالتالي جعل الدول العربية والإسلامية تعتمد في كل ما تريد على الولايات المتحدة خصوصا والغرب عموما وفرض سياسة التبعية والاعتمادية على أنظمتها السياسية وجعلها رهينة بيدها وهذا بدا واضحا منذ عام 1990 عندما

([1]) ممدوح منصور محمود ، مصدر سابق ، ص50- 53.

- تم توضيح هذة النقطة بالتفصيل في موضع سابق من هذا الفصل .

استغلت الأحداث التي حصلت في الخليج العربي بحجة الحفاظ على الأمن والسلم الدوليين والحفاظ على الأمن الإقليمي والوطني للدول الصديقة والقضاء على الأنظمة السياسية المتطرفة ونشر الديمقراطية والدفاع عن حقوق الإنسان ..... ، فتدفق على المنطقة مئات الألوف من الجنود المجهزين بأحدث الأسلحة والاليات والبوارج والطائرات ومزودين بأحدث ما توصلت إلية التكنولوجيا الحديثة في مجال السلاح ن واتخذت مت المياه العربية قواعد لها تنطلق منها في اللحظة التي تراها مناسبة لكسر انف من يحاول أن يعارض أو يخالف سياستها واو مرها ، كل ذلك يتم طبعا بعيدا عن الشرعية الدولية وتغييب دور الأمم المتحدة وعدم الاكتراث لقراراتها وضرب عرض الحائط بما يريده المجتمع الدولي ، وهذا الأمر بدا واضحا عندما صوت العالم كله ضد الحرب على العراق إلا أن الولايات المتحدة لم تأبه لهذا القرار وشنت حربها الثانية على العراق بعد حصار دام ما يقارب 13 عاما بهدف القضاء على النظام ألبعثي هناك الذي – وحسب ادعائها – يهدف إلى لامتلاك أسلحة دمار شامل يروع بها العالم ، ولكن وبعد حوالي ثلاث سنوات مضت على احتلال العراق يبدو ان الأهداف ابعد مما أعلن عنة بكثير وهذا بحد ذاته ترسيخ لازدواجية المعايير التي يتعامل بها الغرب وخاصة ان الولايات المتحدة تعلم أن إسرائيل تمتلك ترسانة هائلة من الأسلحة على رأسها السلاح النووي . ([1])

([1]) يقدر الخبراء العسكريون أن إسرائيل تمتلك ما بين 200-300 رأس نووي .

- ثارت ثائرة الولايات المتحدة بعد أن أعلنت إيران عن دخولها نادي الدول النووية في نيسان 2006 وبدأت نشن حرب إعلامية شرسة هدفها تجنيد العالم كله ليقف ضد إيران لمنعها من حقها في تخصيب اليورانيوم واستخدام الطاقة النووية للإغراض السلمية .مما أدى إلى مواجهة بينها وبين الغرب لايعلم عاقبتها إلا الله .
- يقول المعهد الدولي للدراسات الإستراتيجية ان إيران تنتج ما يقرب من إلفي نوع من الأسلحة الدفاعية من الذخيرة والطائرات والزوارق المجهزة بالصواريخ الى الأقمار الصناعية وهي تصدر معدات عسكرية إلى أكثر من ثلاثين بلدا بما فيها سبع دول من أوروبا ، ويضيف أن إيران لديها ترشانة كبيرة جدا من الصواريخ والقذائف يتراوح مداها من 45 إلى 2000 كم ولديها 19 مركز تعمل في مجال الأنشطة الجوية الفضائية يوجد فيها أكثر من 100 الف مهندس (باتريك سيل ، صحيفة الحياة ، نقلا عن ، الرأي ، العدد 13048 ، تاريخ 17/6/2006)

3. **اما على الصعيد العسكري :**

فان اثار العولمة تبدو واضحة للعيان لا يستطيع احد إنكارها حيث ان تربع الولايات المتحدة على عرش العالم جعلها سيدة الموقف العسكري وجعلها تشعر أنها حامية الأمن والسلم في العالم وان دورها هو تحريك قواتها المدججة بأحدث الأسلحة وبوارجها وحاملات الطائرات الى أي مكان في العالم دون ان يسألها او يمنعها احد .

وفي هذا السياق أيضا فان الولايات المتحدة ولكي تحافظ على موقع الزعامة والرياده فإنها تستخدم حلف شمال الأطلسي كأداة رئيسية متقدمة من أدواتها العسكرية ومحاولة توسيع نطاقه وضم اكبر عدد ممكن من الدول إليه وإعادة صياغة دورة رغم اختفاء منافسة وعدوة اللدود – حلف وارسو– وجعل هذا الحلف بمثابة شرطي العالم وهذا يدل دلالة واضحة على ان هناك أهداف ابعد مما قد يتصورها المرء لهذا الحلف المسيس أميركيا والتي قد يكون من أبرزها: الاقتراب من منابع النفط في جمهوريات الاتحاد السوفيتي السابق وإيران والخليج العربي والاقتراب من الصين (العدو الصامت silent enemy) للولايات المتحدة ، إضافة الى تطويق مناطق روسيا وإيران والباكستان وأفغانستان وجعلها رهينة بيد الهيمنة العسكرية الأميركية تفعل بها ما تشاء وفي أي وقت تشاء وهذا الأمر بدا واضحا عندما تدخلت القوات الأميركية في أفغانستان وعملت على تدمير نظام طالبان وتوطيد الوجود العسكري لها في تلك المنطقة وتطويع البلاد وسكانها وفقا لإرادتها .

وقد تم إعادة صياغة كاملة لادوار حلف شمال الأطلسي([1]) بحيث تصبح متلائمة مع متطلبات العصر بما فيه من إرهاب وتعدي على الديمقراطية وحقوق الإنسان وتهديد للأمن والسلم الدوليين ، حيث أباحت الصياغة الجديدة لدور الحلف حق التدخل في الشؤون الداخلية للدول وتصويب الأوضاع التي يراها

([1]) للتوسع في المعلومات عن هذا الموضوع راجع : ممدوح منصور محمود ، مصدر سابق ، ص109-125 .

مخالفة لمبادئه مثل دورة في كوسوفو والقضاء على الاتحاد اليوغسلافي الذي كانت تعتبره أميركا احد حلفاء الاتحاد السوفيتي ، حيث قام الحلف هناك بعمليات عسكرية واسعة النطاق ، إضافة إلى دورة في العراق من خلال قوات التحالف التي أرسلت الى هناك بزعامة الولايات المتحدة ، والمدقق في هذه النظرة الجديدة للحلف وأدواره يرى أنها تهدف إلى تامين السيطرة على مناطق هامة ورئيسية في العالم قد تكون : طرق مواصلات او حلقات وصل بين القارات او منابع نفط ومصادر طاقة او موانئ دافئة وأجواء صافية بهدف وضع القواعد العسكرية فيها وجعلها سهلة المنال .

ومن جانب أخر ومن اجل استعراض القوة العسكرية الأميركية وتجربة احدث ما أنتجته المصانع الغربية من السلاح ومعرفة مدى قدراته وإمكانياته ، جاءت "عاصفة الصحراء" في الخليج العربي لتعزز ما ذكرناه أعلاه من حيث الوجود العسكري المتقدم للولايات المتحدة وحلفائها . ([1]) بهدف تامين منابع النفط في الخليج العربي والعراق الذي يمتلك ثاني اكبر احتياطي للنفط في العالم والسيطرة على خيرات المنطقة وتعزيز وجودها العسكري هناك بإقامة القواعد العسكرية الضخمة وتوقيع الاتفاقيات الدفاعية مع دول الخليج العربي لمدد طويلة ، كل ذلك ساهم ويساهم في تعزيز الهيمنة العسكري للقطب الواحد خدمة للمصالح والأهداف الإستراتيجية بعيدة المدى للغرب عموما وللولايات المتحدة خصوصا والتي من أبرزها هو تحويل المنطقة وخاصة دول الخليج العربي

([1]) ذكر معهد ستوكهولم لأبحاث السلاح في تقريره لشهر حزيران 2006 ان الولايات المتحدة مسئولة عن 48٪ من إنفاق العالم من السلاح يأتي بعدها بريطانيا ثم فرنسا ثم اليابان ثم الصين ، وقال التقرير ان حرب أميركا على أفغانستان والعراق ساعد وساهم في رفع الإنفاق العسكري العالمي عام 2005 بنسبة 3,5 ٪ ليصل حجم الإنفاق العالمي الى 1,12 تريليون دولار وقال المعهد ان الإنفاق الأميركي بشكل عام على الأسلحة مسئول عن 80٪من الزيادة عام 2005 ، ويمثل الإنفاق على السلاح ما نسبته 2،5٪ من إجمالي الناتج المحلي العالمي أي ما يعادل 173 دولار للفرد الواحد ، وهذا الارتفاع ساهم في رفع أسعار المعادن والمواد الخام ، وأكثر الدول استفادة من هذا الارتفاع هي روسيا . (صحيفة الرأي العدد 13044 تاريخ 13/ 6/ 2006)

إلى اكبر سوق فعلية لبيع السلاح الأميركي والغربي ، ويذكر هنا بان أميركا وبريطانيا صدرت في عام 1997 ما قيمته (30) مليار دولار من الأسلحة كان أكثر من ثلثها إلى الدول العربية وخاصة النفطية ، وهذا بحد ذاته يتيح لأميركا وغيرها من الدول الغربية سيلا متدفقا من الأموال الباهظة وفرص عمل كثيرة لعمالها ومواطنيها إضافة إلى استمرارية مصانعها في الإنتاج وزيادة نمو هذا الإنتاج وهذا كله يشكل في النهاية دعما قويا لاقتصادها وخاصة إذا ما علمنا أيضا أن الدول النامية أنفقت عام 97 أكثر من 83٪ من إنفاقها على التسلح والإنفاق العسكري حيث بلغ مجمل إنفاق دول العالم على شراء الأسلحة التقليدية عام 97 (256) مليار دولار .([1])

ومن المظاهر العسكرية للعولمة المعاصرة التي نلمسها يوميا والذي يشكل تحديا امنيا وسياسيا للعرب والمسلمين هو دعم القوة العسكرية لإسرائيل حيث تسعى الولايات المتحدة لإبقاء إسرائيل متفوقة عسكريا([2]) وتمتلك ترسانة هائلة من الأسلحة على رأسها السلاح النووي مما يجعل التوازن العسكري في المنطقة غير متكافئ ويبقي المنطقة في حالة من التوتر والصراع الدائم ، وخاصة بعد القضاء على قوة العراق التكنولوجية والعسكرية وإعادته إلى عصور ما قبل التاريخ ، حيث أصبح من الصعب علية بل من المستحيل إعادة بناء قاعدته العلمية والتكنولوجية كما كانت سابقا ، في ظل هذه الأوضاع التي يعيشها والتي يفتقر فيها المواطن العادي إلى ابسط الخدمات من ماء وكهرباء وبنية تحتية للتعليم والصحة والإسكان والنقل رغم أنة يمتلك من الخيرات ما لا تمتلكه عشرات من الدول المتقدمة .

وأثار العولمة العسكرية واسعة ومتنوعة لأننا نشاهدها كل يوم ونلمس أثارها كل لحظة ، وخاصة في ظل نظام عالمي ينعدم فيه الأمن والاستقرار

([1]) حميد السعدون ، العولمة وقضايانا ، مصدر سابق ، ص67-69.

([2]) وفي هذا السياق صرح يهود اولمرت رئيس وزراء إسرائيل خلال زيارته لبريطانيا بتاريخ 12/ 6/ 2006 بان" إسرائيل لن تسمح لإيران باجتياز العتبة النووية" محذرا من أن امتلاك إيران للأسلحة النووية يشك خطرا حقيقيا على العالم بأسرة (صحيفة الحياة المصدر السابق)

ويضربه الإرهاب والتطرف في كل لحظة ، وخاصة أن العولمة العسكرية أصبحت كالإخطبوط الذي تمتد اذرعه الكثيرة لتطال كل بقعة من بقاع العالم وفي أي وقت تقررها سيدة العالم التي تمتلك أكثر من مليون ونصف المليون جندي وتنفق مئات المليارات سنويا على القوة العسكرية وحدها .

ويمكننا في هذا المقام أن نتلمس بعضا من الآثار المباشرة على مجتمعاتنا العربية الإسلامية للعولمة العسكرية والتي من أهمها :

1. جعل الدول العربية ضعيفة وتابعة عسكريا من خلال تقييدها بالمعاهدات والاتفاقيات الطويلة المدى([1]) والتي تتيح لأميركا خصوصا ودول التحالف عموما إبقاء قواتها وقواعدها وبوارجها وجنودها في المنطقة مما يحدث ومع مرور الزمن أثارا اجتماعية ونفسية وثقافية سيئة لدى المواطن العربي الذي سيشعر بالضعف والقهر والإذلال والاستعمار – بصورة الحديثة – تنعكس أثارها على نفسيته وبالتالي نفسية أبناءة وطلابه والمجتمع ككل مما يترتب علية أثارا سيئة على النظام الاجتماعي عموما والنظام السياسي خصوصا .
2. استنزاف الأموال العربية وجعلها كالسيل المتدفق إلى خزائن الغرب وذلك من خلال بيع الأسلحة والمعدات العسكرية إلى الدول العربية وإشعارها بأنها في حالة خطر دائم يستوجب عليها التزود المستمر بالسلاح والعتاد ، وهذا الأمر من شانه أن يجعل الاقتصاديات العربية موجهة للإنفاق العسكري فقط وإهمال الجوانب الأخرى في حياة المجتمعات مما ينعكس سلبا على أوضاع المواطن العربي الحياتية والمعيشية .
3. إن زوال المنافس العسكري للغرب – الاتحاد السوفيتي – ومعسكرة بقيادة حلف وارسو يجعل الغرب عموما وأميركا خصوصا تبحث عن منافس لها يدفعها دائما إلى التطور والعلو حيث صورت وسائل الإعلام الغربية – وخاصة بعد أحداث 11 سبتمبر – ان العالم الإسلامي عموما قد يكون هو العدو المنافس

([1]) وخاصة بعد أزمة الخليج عام (1991) وإشعار دول المنطقة بحاجتها الماسة لمن يساعدها ويدافع عنها ضد الأعداء !!

للغرب وهذا ما أعلن عنة صراحة(صموئيل هنتنغتون) في كتابة صدام الحضارات وهذا الطرح من شانه أن يجعل دول العولمة الرئيسية بقيادة أميركا تضع العرب والمسلمين دائما تحت المجهر وتراقب تحركاتهم أفرادا ودولا على كافة الصعد السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعسكرية ، وهذا الأمر بحد ذاته يعد عائقا أمام التقدم والرقي والازدهار وخاصة بعد موجات الإرهاب المتنامية في العالم والزخم الإعلامي المرافق لها والذي يتهم الإسلام ويصفه بالتطرف والإرهاب والأصولية وهذا من شانه أن يحيط العالم الإسلامي بسياج لا يمكن اختراقه من أجهزة المراقبة والتصنت والمتابعة والاستنزاف والمعاقبة كرد فعل على أي عمل إرهابي يحدث في العالم حتى ولو كان الفاعل غير عربي او مسلم .([1])

4. جعل الأمن الإقليمي العربي هشا ضعيفا ممزقا متصدعا وذلك من خلال دعم إسرائيل ماديا ومعنويا وخاصة في المجال العسكري والحفاظ على تفوقها وبجدارة على الدول العربية وترجيح كفتها وذلك من خلال تزويدها بأحدث تكنولوجيا السلاح وغض الطرف عن امتلاكها ترسانة هائلة من السلاح النووي وأسلحة الدمار الشامل الأخرى وغض النظر أيضا عن انتهاكاتها لحقوق المواطنين العرب واضطهادهم ، وبالقابل إبقاء الدول العربية سوقا للأسلحة التقليدية ذات التكنولوجيا القديمة .

5. طرح مشاريع جديدة تستهدف تذويب الشخصية القومية العربية في المنطقة مثل مشروع (الشرق الأوسط الكبير) الذي يهدف إلى دمج إسرائيل في المحيط العربي وإخراجها من عزلتها وتوفير الحضور الدائم لها في المنطقة وزيادة نفوذها السياسي والاقتصادي والعسكري وذلك خدمة لمصالح أميركا والغرب ذات البعد الاستراتيجي في المنطقة .

([1]) يقول (جورج براون) عام 1994 :" لقد كنا نخاف شعوبا متخلفة ، لكن بعد الاختبار لم نجد مبررا لهذا الخوف ، بيد أن الخطر الحقيقي كامن في نظام الإسلام وفي قدرتة على التوسع وقوته على الإخضاع وحيويته في الانتشار ، انه الجدار الوحيد في وجه الاستعمار الأوروبي" نقلا عن : محمد مرهف حسين أسد ، مصدر سابق ، ص35.

العولمة السياسية والعسكرية تبدو أثارها واضحة في مجتمعاتنا العربية والإسلامية وذلك بسبب التغير المستمر في الأحداث العالمية التي تحصل كل يوم ويتأثر بها العالم كله بسب التطور الهائل في وسائل الإعلام المختلفة ووسائل الاتصالات والمواصلات والتقنيات العالية والحديثة وانعكاس ذلك سلبا على مجتمعات الغير مستعدة للعولمة لتلقي أحمال العولمة الثقيلة ، وبما ان منطقتنا العربية والإسلامية تتمتع بأهمية كبيرة بما تمتلكه من خيرات وثروات هائلة وموقع استراتيجي متوسط وأجواء صافية ومياه دافئة فأنها كانت على مر العصور محط أنظار الطامعين والطامحين إلى مجد الشهرة والسيادة مما جعلها غير مستقرة سياسيا باستمرار وجعل المواطن العربي فيها رهينا للظروف السياسية والاقتصادية والعسكرية في العالم.

من خلال ما سبق في هذا الفصل قدمنا سردا بسيطا للآثار التي قد تنتج بسبب العولمة في المجالات السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية وتقديم بعض التصورات والاقتراحات المتواضعة التي قد تكون أساسا لأبنية كبيرة فيها الحل لما تعاني مجتمعاتنا العربية والإسلامية من اثار سلبية وبغيضة للعولمة ، ولكن علينا أن ندرك ونعي بان العولمة هي ظاهرة حتمية لا مجال لإنكارها ولا يجب أن ندير لها ظهورنا متهمين إياها وما يأتي معها بالسلبية لان ذلك يعد انكفاء على الذات وتقوقع على النفس يسبب تأخرا وتخلفا عن الركب ويجعل بلادنا وشعوبنا من أكثر المتضررين بالعولمة وأثارها . لذلك فعلينا ومن خلال المؤسسات الرسمية والخاصة أن نتعاون لتأسيس قواعد متينة اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا وثقافيا ..... الخ ، والتسلح بالإمكانيات الهائلة التي تمتلكها بلادنا استعدادا لتلقي ما تحمله رياح العولمة معها ، عندها نستطيع ان نفرز السلبيات من الايجابيات وان نميز بين الغث والسمين واخذ ما يناسبنا من ايجابيات وفوائد وخيرات والاستفادة من التطورات الهائلة في المجالات المختلفة التي تعود بالنفع على بلادنا وشعوبنا وطرح مالا يناسب حضارتنا وديننا وعاداتنا وقيمنا وأخلاقنا جانبا ، وذلك حتى نستطيع أن نستعيد دورنا الحضاري

والإنساني كأمة إسلامية ذات رسالة عالمية خالـدة جـاءت للنـاس كافـة لـتملا الدنيا عدلا وسماحة ورحمة ومدنية ووصولا إلى المجتمع الأخلاقي الفاضل الذي تسوده المحبة والرحمة .

الفصل الرابع

المسلمون في ظل العولمة

- الواقع الحالي للمسلمين
- حضارة الإسلام وعالميته السمحة

الفصل الرابع

المسلمون في ظل العولمة

المبحث الأول

الواقع الحالي للمسلمين

قد لا يكون خافيا على احد بان أوضاع المسلمين اليوم وفي أرجاء المعمورة أو بلاد الغربة بأنها أوضاع لا يحسدون عليها ، فهم يعيشون واقعا مؤلما مأساويا، فهاهي الحروب الطاحنة مشتعلة في بلادهم شرقاً وغرباً من كشمير الى الشيشان إلى العراق وأفغانستان وفلسطين وفي كل مكان ، هاهي الفتن والمحن الطائفية والمذهبية والعرقية تدب قي أوصال ديارهم لتشغلهم عن التفكير بغير رغيف الخبز والنوم الأمن لهم ولأطفالهم وعوائلهم ، وها هو الاستعمار بثوبه الجميل وشكله الحديث يعود إليهم فيجثم على بوابات عالمهم ، حيث مئات الألوف من الجنود المدججين بأحدث ما أنتجته الآلة العسكرية الحربية الأميركية من السلاح والعتاد ، وها هي بوارجهم تجوب مياه المحيطات العربية شرقا وغربا طولا وعرضا مذكرة إياهم بأنواع الحصار المختلفة التي عرفها التاريخ على مر العصور ، وها هي دول العولمة المتحضرة توجه وتشير بأصابع الاتهام إليهم بأنهم هم الراغبين في تدمير الحضارة الإنسانية ومنعها من التطور والتقدم وإعادتها إلى الوراء مئات من السنين ، فهي تشير إليهم بالإرهاب والتطرف والأصولية والعنصرية والعنجهية والهمجية وذلك كلما أصاب الغرب مصيبة أو حلت بة أية كارثة (حتى ولو كانت من فعل الطبيعة) أو كلما وقع حادث في لندن أو نيويورك أو باريس أو روما زج بة الإسلام والمسلمين ووضعوا موضع الاتهام والشك والريبة حتى ولو كانت الدلائل تشير إلى أن الفاعل غير مسلم.([1])

([1]) هنا إشارة إلى التفجيرات التي وقعت في لندن في 7 تموز 2005 والتي أشارت أصابع الاتهام الغربية إلى ضلوع المسلمين فيها ولكن تبين أن الفاعل بعد ذلك ليس مسلم .

والسؤال المهم هنا ، ما الذي جعل المسلمين يصلون إلى هذه المرحلة من الهزيمة النفسية والفكرية ، وما الذي وصل بهم إلى درجة الخور والضعف والتردي ؟

ما زال المسلمون يتغنون بأمجاد الماضي العريق ويرقصون على أنغام ما فات من الإرث الذي صنعة أجدادهم ولم يحافظوا علية ، ونحن نقول : إن من حق الأمم والشعوب أن تفخر بماضيها وبأمجادها وان تعتز بما صنعة الأوائل من بني قومها ، ولكن الأفضل من ذلك ان تحافظ الأمم على الميراث الذي تركة من كان قبلهم وان تجعله أساسا تبني علية وتعظم شانه وتجعله قاعدة ارتكاز تنطلق منها لصنع حضارة جديدة تواكب العلم والمعرفة والتغيرات السريعة المتسارعه في مجال العلم والتكنولوجيا مع المحافظة على خصوصيتها وهويتها وقوميتها ، ولكن واقع المسلمين اليوم هو التباكي على ما صنعة الآباء والأجداد فقط دون أن يقوموا بواجبهم تجاه هذا الإرث العظيم ، " فليس الفتى من قال كان أبي إنما الفتى هو الذي يشمر عن ساعديه ويحترم ارث والدة ويحافظ علي ويبني علية مجدا خاصا بة .

ولا شك أن الذي أوصل الأمة هذه الدرجة من الاضطراب والتأزم والتراجع هي عوامل كثيرة ومختلفة لابد من معرفتها حتى نستطيع أن نشخص الداء ونتعرف على الدواء المناسب لة ، إننا نعرف ان حضارتنا العربية والإسلامية هي حضارة ديناميكية فاعلة شاملة مرتكزة على قواعد قوية لا يأتيها الباطل من يديها ولا من خلفها وقد نستطيع أن نجمل بعضا من أسباب التردي فيما يلي :

1. "الاتحاد قوة والتفرق ضعف" فعندما وقعت الأمة فريسة لقاعدة الغرب الشهيرة (فرق تسد) ضعفت وتشرذمت وتقطعت أوصالها ودب فيها التمزق والوهن ، فتفرق الأمة فيه انتصار لأعدائها عليها واتحادها يعني قوتها وانتصارها وما على الحكماء والعقلاء وأهل السياسة والرياسة فيها إلا أن يعلنوها وبقوة ،

امة واحدة ذات أصل واحد ودين واحد ومرجع واحد ودستور واحد وهدف واحد ، عندها تصبح الأمة ذات شان وهيبة ويحسب لها ألف حساب .

2. الاستعمار بأشكاله المختلفة وصورة المتلونة هو سبب رئيسي ومباشر من أسباب تردي حال الأمة وتراجعها ، فالاستعمار القديم أو الحديث هو عامل هام من عوامل تفريق الأمة وضعفها وهو الذي وضع الحواجز والقيود بين أبناء الوطن الواحد والبلد الواحد والأمة الواحدة ، لذا يجب التخلص منة وإنهاء حالة التبعية التي تعيشها مجتمعاتنا العربية والإسلامية .

3. إن ترك الأمة لرسالة العلم والمعرفة وتخليها عن دورها الإنساني في هذا المجال أدى إلى تراجعها علميا ومعرفيا وثقافيا وركونها إلى الجهل والتخلف والتراجع ، مما جعل العالم يتطور علميا وتكنولوجيا بسرعة هائلة ونحن ما زلنا نقف في أماكننا ننتظر ان يدفعنا العالم بل يسحبنا إلى فضاء العلم والمعرفة على الرغم من ان امتنا هي مصدر العلوم والمعرف التي يتبجح بها الغرب والشرق اليوم .

قد تكون هذه الأسباب هي الرئيسية التي أوصلت الامه إلى حالة التردي التي تعيشها ، ولكن قد تكون هناك أسباب أخرى غير مباشرة لعبت دورا لا يستهان بة في تراجع الأمة ومنحها سمعة ليست مرغوبة .

أما الظروف التي دفعت بالغرب إلى اعتبار الإسلام هو العدو القادم لها فقد يكون من أبرزها انهيار الاتحاد السوفيتي وانتهاء المعسكر الشرقي وبروز حقبة جديدة من التاريخ الإنساني بداءت في نهايات القرن الماضي وعززها ما حصل في الولايات المتحدة في 11 سبتمبر 2001 من أحداث كبيرة اعتبرها العالم اخطر شرخ أصاب المدنية الحديثة في عقر دارها ، مما جعل العالم يعيش في فوضى بالغة التعقيد حيث بدأت فيه حبا لا هوادة فيها ضد ما يسمى "الإرهاب" "والأصولية" و" التطرف" حيث كان أهم وقود لهذه الحرب هو المسلمون أينما كانوا وحيثما حلوا مما شكل تحديا ليس لة مثيل أمام المسلمين الذين من واجبهم (الان) أن يثبتوا للعالم كله أنهم أصحاب رسالة إنسانية ترفض التطرف والقتل والإيذاء

وان دينهم هو دين الرحمة والتسامح والإخاء والسلام والمحبة والحوار وليس الصدام .

كان لهذه الأحداث الخطيرة اثر كبير في بروز ما سمي ب (صدام الحضارات) (Civilization Clash) الذي نادى بة كثير من المفكرين والفلاسفة في الغرب معتبرين ان هذا الصراع هو صراع حتمي بين الحضارة المتطورة والمتقدمة في الغرب وبين غيرها من الحضارات الرجعية المتخلفة([1]) ، بل ان بعض المفكرين اعتبر هذه المرحلة هي نهاية التاريخ([2]) حيث وصل الفكر الإنساني إلى أقصى مراحل تفكيره المتقدمة وهي في نظرهم مرحلة يجب أن ينتهي فيها الصراع التقليدي المرير ويميل التاريخ بعدها إلى الاستقرار عند الرأسمالية التي اعتبرت في نظر هولاء المفكرين هي النظام الديمقراطي الليبرالي العالمي الأمثل الذي يجب أن يسود العالم كله كنظام سياسي واجتماعي .([3])

([1]) يتنادى الحكماء والعقلاء والمفكرون في هذا العالم من خلال المؤتمرات والندوات والحوارات الى إنهاء مفهوم صراع الحضارات وحرب الأديان والتركيز على الحوار العادل والمساواة ، وهذا ما ورد في التوصيات الأولية لمجلس الحكماء العالمي الذي عقد في الأردن في شهر ايار 2006 حيث طالب المؤتمرون في كلماتهم الى ضرورة ان يتفهم الغرب الكثير من المعاني لدى العالم الإسلامي من اجل إيقاف دائرة العنف وضرورة توفير الاحترام المتبادل بين الأمم من اجل نشر السلام حيث ورد هذا المعنى في كلمة رئيس الوزراء السويدي السابق (ايجنفار كارلسون) ، اما البروفسور (هانز كوخ) فقد أكد على أهمية الحوار بين الثقافات وبين الغرب والعالم الإسلامي ، طالب ان يتوقف الغرب عن الإشارة إلى الإسلام فيما يتعلق بالحركات الإرهابية ، وجاء في التوصيات الأولية للمؤتمر : بان على الغرب فهم ان العولمة لن تتحقق بدون احترام الدين الإسلامي والثقافة الإسلامية ، وضرورة الحوار بين الجانبين لأنة يساهم في حل الأزمات الدولية وجاء في التوصيات أيضا : "ان الهدف الأسمى بالنسبة للحضارات هو تحقيق العدالة والمساواة لينعم الجميع بعالم تسوده الوحدة والإنسانية.

([2]) هنا إشارة الى كتاب (صموئيل هنتنغتون) المشهور (صدام الحضارات وإعادة صنع النظام العالمي) الصادر عام 1996 .

- وأيضا كتاب (فرانسيس فوكوياما) نهاية التاريخ والرجل الأخير) المستشار الاستراتيجي والمخطط للسياسة الخارجية الأميركية .

([3]) يجب الإشارة هنا إلى ان الصحافة في الغرب تكتب حول هذا الموضوع حيث كتب (الآن جيرارد سلامة) في صحيفة (لوفيقارو) الفرنسية مقالة بعنوان (الفرق بين أفكار الإسلام وأفكار الإرهاب) قال فيها "بان حرب الإرهاب هي حرب الأمم ، وهي ليست حرب حضارات وليست مواجهة بين الأديان او الأعراق ، إنها حرب الأيدلوجية ، نعم إنها حرب الأفكار والمفاهيم والقيم =

ولا شك أن هذه الأحداث والظروف الدولية العاصفة قد ألقت بظلالها وثقلها على المسلمين ودفعت بالعالم عموما والعالم الغربي خصوصا الى شن حملات مغرضة تجاه الإسلام والمسلمين وهذا يد دلالة واضحة على أن هنالك فهم مغلوط يطرحه الإعلام الغربي للإسلام والمسلمين يؤدي إلى تأليب الرأي العام والرأي الرسمي ضد المسلمين وقضاياهم ، وإزاء هذه التحديات التي تتزايد يوما بعد يوم تكبر المسؤولية وتتعاظم أثقالها على كاهل المسلمين ، مؤسسات وأفراد دولا وحكومات من اجل استخدام كافة السبل والوسائل الممكنة – وخاصة الإعلام – وبذل المزيد من الجهود للتعريف بحقيقة الإسلام وجوهرة والتعريف بقضايا المسلمين وخاصة للشارع الغربي الذي يحجب عنة الإعلام الحقائق ويمنعه من الاطلاع على الواقع الصحيح ، وذلك وصولا إلى مفهوم الحوار مع الأخر والمجادلة بالتي هي أحسن بدلا من الصدام والصراع

وتعريف الصح من الخطاء .... ويتابع قائلا: "ان الأفكار التي يؤمن بها المتطرفون اقرب الى ماركس ولينين وهتلر وماتسي تونغ من ان تكون جزاء من فكر نبي الإسلام محمد ، فمن محمد فقط تأخذ الفكر الجهادي وموالاة الخليفة وتأخذ كل ماتبقى من النماذج الأخرى ، فهدم الحكومات وضرب الديمقراطيات هو ليس من الإسلام في شيء".(نقلا عن صحيفة الدستور الأردنية العدد 13699 ، تاريخ6/ 9/ 2005) .

-" لقد نشاء الفكر الليبرالي (Libralisme) في بيئة غير بيئتنا .... واستهدف علاج إمراضا لم تعاني منها مجتمعاتنا ... حيث نشاء عن فلسفة سياسية واقتصادية أفرزت قناعات ثقافية وممارسات اجتماعية حاولت ان تتحول الى منطلقات لحرية دينية تؤول إلى (اللادين) وهي في تعاريفها كافة تركز على ان الحرية هي المبداء والمنتهى في حياة الإنسان ... فهي حرية بلا قيود بحيث لايكون هناك مانع او رادع من فرد اوجماعة او أسرة او دولة اودين او تقاليد بل يتصرف المرء وفق ما تملية النفس وتسوقه الرغبات على الا يتعدى على حرية الآخرين ولن معظم التعاريف تتفق على تعريف موسوعة (لالاند) بأنها الانفلات المطلق بالترفع فوق كل طبيعة" وعرفها المفكر اليهودي (هاليفي) :" الاستقلال عن العلل الخارجية" وعرفها (جان جاك روسو) :" الحرية الحقة في ان نطبق القوانين التي اشتر عناها" وعرفها (هوبز) : غياب العوائق الخارجية التي تحد من قدرة الإنسان أن يفعل ما يشاء" وعرفها الفيلسوف الفرنسي (لاشيية)" بأنها الانفلات المطلق" نقلا عن د. عبد العزيز كامل ، دعة اللبرلة ، عقول محتلة ام ولاءات مختلة ، مجلة البيان ، العدد219 تاريخ ديسمبر 2005 ، ص44-50.

-سيكون هناك مبحث خاص في هذا الكتاب عن مفردات الخطاب الإسلامي المعاصر في ظل العولمة وتحدياتها

الذي لآياتي إلا بالمزيد من الويلات وطرح قيم التسامح والتعايش بين الأديان والثقافات وذلك تصديا للدعوات الحاقدة التي تدعوا إلى نشر الكراهية والحقد والخوف بين الناس ، ويجب أن ندرك ان هذه الدعوات نتيجتها هي الصراع الديني الحضاري الذي يؤدي إلى دمار وفوضى تهدد استقرار المجتمع الإنساني بأسرة . ([1])

([1]) للمزيد عن هذا الموضوع راجع : عبد العزيز التويجري ، مصدر سابق ن ص85-88.
-ايضاً انظر الفصل الخاص الذي يتحدث عن وا قع الخطاب العربي والإسلامي في هذا الكتاب.

المبحث الثاني

حضارة الإسلام وعالميته السمحة

جاء الإسلام برسالته العظيمة الخالدة ليكون للناس كافة ، صغيرهم وكبيرهم ، عبدهم وسيدهم ، فقيرهم وغنيهم ، ليس مقصورا على امة من الأمم او جنس من الأجناس أو لون من الألوان ، فهو للعربي كما هو للعجمي، وللفارسي كما هو للرومي ، رسالة عامة ، إنسانية ، شاملة ، ديناميكية فاعلة لها القدرة على استيعاب الحياة وقيادتها وريادتها بكل نجاح واقتدار .

وامتازت الرسالة العظيمة بميزات ليست في سابقها من الأديان ، ومن اخص وأعظم هذه الخصائص هي سمة " العالمية " عالمية الأفق والرسالة حيث أعلن القران الكريم وحدة النوع الإنساني أينما ووجد وحيثما حل ، قال تعالى :" وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا "([1]) فهو لكل الناس كافة دون استثناء ، وجاءت تعاليمه لتستوعب الحياة ومشاكلها المتجددة في كل زمان ومكان وبالتالي قدرته على تنظيم شؤون الحياة في أي بقعة بقاع الأرض ، وبالتالي فان عالمية المنهج الإسلامي تعود لكونه المنهج الذي أريد له أن يكون منهج البشرية جمعاء في مختلف ديارها وأقطارها خاصة ان المجتمع المسلم مجتمع لا يؤمن بالعنصرية او الحدود الجغرافية فهو مفتوح ومتاح للجميع بغض النظر عن اللون أو الجنس أو العرق أو اللغة ، وكل ذلك سببه أن مصدر هذه الرسالة ليس من صنع البشر بل هو الهي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وهذا المصدر أرسى في قواعده وأصوله سعة في الأفق وإحاطة شاملة كلية مما جعله عالميا قادرا على الحياة والاستمرارية والإنتاج والإبداع في كل وقت وحين ([2]).

أما مفهوم " العالمية" (Universality) فهو يعني في جملة ما يعنيه : التفتح على الثقافات الأخرى من العالم مع الاحتفاظ بالخلاف الأيدلوجي وهي طموح

([1]) سورة سبا الآية 28

([2]) يمكن مراجعة : محمد علي سميران وآخرون ، *تنظيم الأسرة والمجتمع* ، دار المسار ، المفرق ، الأردن ،ص25- 36.

للارتفاع بالخصوصية إلى مستوى عالي ، وهي تلاقح الخصوصيات للارتفاع بها إلى ما هو عالمي وكوني "([1]) ولذلك فقد يدخل في معنى العالمية "عملية تبني القضايا والهموم المشتركة للبشر جميعا والسعي لتسخير إمكانيات العالم لصالح الإنسانية جمعاء باعتبار أن البشر شركاء في هذا العالم ، لذا فهي دعوة أخلاقية تسعى لجلب الخير للناس جميعا وتجنيبهم الشر والمخاطر "([2]) وهذا التعريف عن الإطار العالمي لرسالة الإسلام فهي دعوة أخلاقية تهدف إلى تعميم الخير ونبذ الشر وتوحيد جهود العالم بأبنائه الخيرين والمصلحين والحكماء والعقلاء لتبني قيم المحبة والسلام والخير وزرعها في المجتمعات التي يعيشون فيها وصولا إلى خير عميم يصيب البشرية جمعاء دون تفريق بين ابيض واسود او غني وفقير او ذكر وأنثى أو صغير وكبير .

لأجل ذلك كله جاءت الدعوة الإسلامية لتصنع حضارة خالدة عملت او ما عملت على تحرير الإنسان من قيود الجهل والتخلف والتبعية وإنقاذهم من القهر والإذلال والضلال والاستبداد والقلق والحيرة والخوف والضياع ، وقد لاقت هذه الدعوة ترحيبا واحتراما ليس لة مثيل ، فشهد لها الأعداء قبل الأصدقاء ، وهنا ومن قبيل الإنصاف يجدر بنا أن نبين أهم خصائص هذه الدعوة وهذه الرسالة ([3]) .

1. الربانية :

إن هذا الدين ليس من صنع البشر بل هو من عند الله الخالق القادر على كل شيء لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وهذا ما أعطاه مميزات الكمال والدقة والحماية من النقص ، وهذا ما يؤكد قابليته لحياه ومقدرته على استيعاب المتغيرات الكثيرة المتسارعة والمتجددة والمتطورة وذلك لأنة صادر عن

([1]) حميد السعدون ، *العولمة وقضايانا* ، مصدر سابق ، ص42.

([2]) عبد الرشيد عبد الحافظ ، مصدر سابق ، ص12.

([3]) للمزيد يمكن مراجعة : فتحي يكن ، *كيف ندعوا للإسلام*، مؤسسة الرسالة بيروت ، 1980، ص103-106.

- أيضا : محمد قطب ، **شبهات حول الإسلام** ، دار الشروق ، بيروت ، 1983.

القدرة الإلهية التي أحاطت بكل شيء ، ومن يقرءا كتاب الله وسنة نبيه الكريم يجد أنها احتوت على كل شيء ، الجوانب المادية والروحية ، فهي تتحدث عن العبادات الى جانب حديثها عن المعاملات ، وبالتالي فهو دين يراعي مصلحة الفرد كما يراعي مصلحة الجماعة دون تغليب لأحدهما عن الأخر ، وهذا ما أدى إلى فشل النظريات الفردية التي أعطت الفرد حقوقا على حساب الجماعة وحقوقها وقدمته عليها مما أدى إلى استبداد الفرد وطغيانه واستئثاره بالسلطة السياسية والاقتصادية والاجتماعية وتمرده على الجماعة وتفضيل مصلحته على مصلحتها .وكذلك فشلت المذاهب الاجتماعية التي قدمت مصلحة الجماعة على مصلحة الفرد وأعلت من شانها وأهملت الفرد مما أدى إلى نتائج سيئة على المجتمعات الإنسانية ، أما الإسلام الحنيف فقد وازن بين مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة وراعى الحاجات النفسية والجسمية والفطرية لكل طرف من الأطراف .

2. الشمولية:

سبق أن قلنا أن الإسلام جاء شاملا لكافة نواحي الحياة فهو يبحث في الفرد وحاجاته وعلاقته مع غيرة من الأفراد إضافة الى علاقته مع محيطة ومجتمعة الذي يعيش فيه ، وأيضا علاقته مع خالقة وكيفية أدائه لعباداته ومعاملاته ، وهذا كله جاء متوافقا مع فطرته التي فطرة الله عليها ، فليس الإسلام شيء ينافي الفطرة او يعارضها وبالتالي يندفع الإنسان بسليقته للقيام بواجباته وأداء رسالته، إضافة إلى معالجة الإسلام لكافة شؤون الحياة بداءً من شؤون الأسرة والمجتمع والأمة إضافة إلى العلاقات الدولية التي تربط المجتمع الإنساني ببعضه البعض .

والإسلام بهذه الخاصية يختلف عن غيرة من الأديان التي بعضها عالج حاجات الروح فقط وقدمها على حاجات الجسد وجعل السمو الروحي هو الأساس في حياة الإنسان ، ومنها ما قام على المادة وأهمل الروح وأنكرها وهذا أمر يؤدي إلى خلل في الحضارة الإنسانية ، اذ لا يقل ان يكون هناك عمران وحضارة دون سمو روحي ، لذلك فهو منهج شامل متكامل.

3. الاستمرارية :

أثبتت الأيام وحقائق التاريخ فشل كثير من الأنظمة التي جاءت لتعالج قضايا المجتمع الإنساني ، إضافة إلى قصورها عن شمول كافة نواحي حياة الإنسان ، فمنها ما عالج الجانب الاقتصادي كالاشتراكية والرأسمالية ، ومنها ما عالج الجوانب الاجتماعية كالنظريات الفردية والمذاهب الاجتماعية ، ومنها ما عالج الأوضاع السياسية ، ولكنها عجزت جميعها عن الاستمرار وذلك لقصور او عيب يظهر هنا او هناك بعد فترة من التطبيق فيثبت فشلها او عدم قدرتها على الاستمرار ن ولكن الإسلام بقدرته على استيعاب كافة شؤون الحياة وأحوالها من سياسية واقتصادية واجتماعية وقيامة على فكرة التوازن والاعتدال والوسطية في كل شيء إضافة إلى حمايته ورعايته من الله جل وعلاء الذي تعهد كتابة العزيز بالحفظ والحماية وذلك بقولة تعالى : (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)([1]) حيث أنة احتوى على مقومات الاستمرار وخصائص المرونة والديناميكية الفاعلة مما جعله صالحا لكل الناس وفي كل عصر وزمان .

4. العمومية والعالمية :

كما أسلفنا فان رسالة الإسلام جاءت عامة عالمية في افقها وامتدادها وشاملة للبشرية جمعاء لتنقذها من الضياع والهلاك وتصلح وشؤونها ، حيث جاء الإسلام في فترة بداء فيها العقل البشري بالتفتح والنضوج ن وزمان تشابكت فيه الحاجات والمصالح وازداد اتصال الناس بعضهم ببعض ، وبداءت حياتهم بالتعقيد والتداخل ، حيث ظهر الإسلام برسالته للناس عامة دون أن يخص فيه قوم او فئة حيث كان فيها معالجة لقضاياهم بقدر كبير من الموضوعية وحضارية وعلى جانب عظيم من الرقي والتقدم ، والعمومية في الإسلام ظاهرة واضحة حيث نجدة لايتحدث عن قوم دون قوم اوعن زمان دون زمان ، وهو كذلك لم يرتبط بإقليم جغرافي دون أخر ولا بمرحلة تاريخية محددة بل أنة جاء ليستوعب

([1]) سورة الحجر، الآية 9.

كل الشعوب والأمم ، بالإضافة إلى سهولة تطبيقه وانسجام تعاليمه مع الفطرة الإنسانية وعدم تعارضها مع بديهيات السلوك البشري وهذا ما أثبتته الأيام بعد الفتوحات الكثيرة المتلاحقة ، بالإضافة إلى احتوائه لحلول ومشاكل متنوعة ومختلفة ومتلونة .([1])

والإسلام لا تستطيع أن تجد فيه ما يدل على التحيز أو العنصرية لقوم او لون او عرق فالكل سواء لان أكرمهم عند الله اتقاهم وهذا المبدءا يتسع للناس كافة ويشمله أجمعين ، قال تعالى :(قل يا أيها الناس أني رسول الله إليكم جميعا)([2]) وقال أيضا : (**إنا أرسلناك للناس كافة بشيرا ونذيرا**) وقال تعالى في موضع أخر : (**وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين**) . صدق الله العظيم .

خصائص الإسلام كثيرة ومتنوعة لا تحصيها عجالة كهذه فهو دين سهل واقعي ممكن التطبيق ، أحكامه سهلة وميسرة تتناغم مع فطرة الإنسان ، إضافة إلى انه دين ينسجم مع طبيعة العقل الإنساني فهو يخلو من الخرافة والخيال واللامعقول أو ما يناقض الواقع ، بل أنة ينسجم مع عقل الإنسان وتفكيره .

هذا كله وغيرة من الخصائص والمميزات جعل الإسلام يحظى بالاعتراف والاحترام والتقدير والقبول من قبل الأعداء قبل الأصدقاء حيث يقول احدهم في الغرب :" ما من ناحية من نواحي تقدم الغرب إلا وللحضارة الإسلامية فيها فضل كبير واثأر حاسمة " ويقول أخر :" لولا حضارة العرب والمسلمين لتأخرت حضارة أوروبا عدة قرون "([3]).وفي هذا المقام يقول المفكر العربي د. محمد عبد العزيز ربيع :" إن قيام النهضة الأوروبية في مواجهة التحدي الديني الكاثوليكي وصولا إلى تحرير العقل والفكر والعلم والاقتصاد ن لم يكن بالإمكان حدوثه في

([1]) وفي هذا الاطار يقول سيد قطب: (المجتمع الإسلامي مجتمع عالمي ، بمعنى انه مجتمع غير عنصري ولا قومي ولا قائم على الحدود الجغرافية ، فهو مجتمع مفتوح لجميع بني الإنسان ، دون النظر الى جنس او لون او لغة ، بل دون نظر الى دين او عقيدة) . انظر :الموقع الالكتروني : شهاب الدمشقي ، الأسس الفكرية للخطاب الإسلامي، ***www. Rezgar.com***

([2]) سورة الأعراف ، الآية 158.

([3]) للمزيد راجع كتاب : ***محاضرات في الثقافة الإسلامية*** ، منشورات مديرية الإفتاء في القوات المسلحة الأردنية ، ب،ت.

حينه لولا الانجازات العربية والإسلامية ، خاصة في مجال علوم الرياضيات والكيمياء والقانون والفلسفة ، لكن بينما كانت أوروبا تنهل من روافد العلوم العربية وتؤسس عليها صرح نهضتها كان العرب يدخلون نفق الخلافات السياسية ويغرقون في بحر الخرافات والشعوذة باسم الدين ويبتعدون عن حكمة العقل ورأي العلم وأصول التعامل مع الأشياء والأحداث بعقلانية ، وهذا يعني انه بينما كانت الشعوب الأوروبية تتقدم بثبات وعزيمة نحو الأمام وتقوم بالاستيلاء تدريجيا على عملية صنع التاريخ الحضاري للإنسانية كانت شعوب العربية والإسلامية عامة تتخلى عن قيادة حركة التاريخ وتخرج منة طوعا لتعيش على هامشه قرونا عدة لم تنته بعد" ([1])

ولكن نعقب فنقول أن هذه الرسالة التي تتميز بالخصائص المذكورة أنفا ستفضي يوما إلى حضارة واسعة شاملة "حضارة معطاءة أخذت واقتبست من الحضارات والثقافات الإنسانية وأعطت عطاً زاخرا بالعلم والمعرفة والفن الإنساني الراقي وبقيم الخير والعدل والمساواة والفضيلة والجمال وكان عطاؤها للإنسانية جمعاء لا فرق بين عربي وعجمي او ابيض واسود بل لا فرق بين مسلم وغير مسلم ممن كانوا يعيشون في ظل الإسلام وحضارته ([2])" كم كانت عظيمة الحضارة الإسلامية الأولى التي شملت كافة جوانب النشاط الإنساني والاعتقادي والتشريعي والفكري والاجتماعي والسياسي واقتصادي إلى جانب اهتمامها بالعلوم الطبيعية التي نقلها العرب والمسلمون الفاتحين الى أوروبا غربا والى الصين شرقا ونشروها في مشارق الأرض ومغاربها ، حيث كان لها الأثر الواضح في رقي هذه الأمم وهذه الشعوب واخارجها من دياجير الظلم والظلام والصراع والخصام إلى نور العلم والمعرفة وميادين الحركة العلمية والمعرفية وانطلاق العقل البشري من سجن الجهل والخرافة والخيال الى ميدان العلم

([1]) محمد عبد العزيز ربيع ، *دور الدين في إصلاح الثقافة* ، جريدة *الدستور الأردنية* ، العدد 13699 تاريخ 5/ 9/ 2005.

([2]) عبد العزيز التو يجري ، مصدر سابق ، ص138.

والمعرفة مما احدث ثـورة علميـة هائلـة في أوروبـا شملـت كافـة نـواحي العلـم وفروعه كالطب والكيمياء والرياضيات والفلك والجغرافيا وعلم الطيران حيث قدم المسلمون بمـا حملـوه مـن كتـب ومعـارف إلى أوروبـا أساسـا لهـذه العلـوم والمعارف ولكـن يجـب أن لا يغيـب عـن البـال "بـان الإسـلام اقـترن بالعروبـة والعروبة اقترنت بالإسلام اقترانا جوهريا وليس اقترانا ظرفيا لان يقظـة العـرب القومية اقترنت برسالة دينية ، بل أن هذه الرسالة كانت معبرا عن تلـك اليقظـة وان المسلمين لم يفتحوا البلاد ويحكموها استنادا إلى حاجـة اقتصـادية مجـردة أو ذريعة عنصرية أو شهوة للسيطرة والاستعباد ، بل ليؤدوا واجبا دينيا كلـه حـق وهداية ورحمة وبذل وأراقوا من أجلة دماءهم .

غير أن هذا لم يكن يعني أن الإسلام وجـد ليكـون مقصـورا علـى العـرب وحدهم ، لقد اكتفى العرب انه عبر عن ثورة الأمة العربية ودورهـا الإنسـاني ، امة تنـزع في تكوينهـا إلى القـيم الشـاملة ، فالإسـلام في نزوعـه الكـوني أعطـى للعروبة بعدا إنسانيا واقتران العروبة بالإسلام قاد بالضرورة إلى اقـتران العروبـة بالإنسانية حتى أصبحت يقظة العرب القومية يقظة تتجاوز حدود الذات القومية المخاض القومي عند الأمة العظيمة هو الذي يبدءا بـالتكون استجابة لمتطلبـات تتجاوز الأفق القومي إلى أنسـاني أرحـب" ([1])ولكـن لا نسـتطيع أن ننكـر بـان الحضارة الغربية التي صنعت على أساس الحضـارة العربيـة الإسـلامية كـان لهـا جوانب ايجابية هامة في حياة الإنسانية ([2]) فالابتكارات والاختراعات التي قمتها الحضارة الغربية لا يستطيع احد إنكارها وإنكار أثارها الايجابية في حيـاة النـاس فقد تطورت الصناعات علـى كافـة الصـعد وفي كافـة المجـالات وصـولا إلى مـا نشاهده اليوم من ثورة علمية وتكنولوجية في مجـال الفضـاء والأقمـار الصـناعية وثورة الحواسيب والصناعات الالكترونية ووسائل الاتصـالات المرنـة والسـهلة

([1]) نزار عبد اللطيف الحديثي ، *محاضرات في التاريخ العربي* ، مطبعة جامعة بغداد ، بغداد ، 1979، ص 177.

([2]) للمزيد في هذا المجال راجع : احمد إبراهيم العتوم ، *فكر النهضة الإسلامي في ضوء تجربة الأنوار والحداثة الأوروبية* ، مقالة في صحيفة الرأي الأردنية ، العدد 12991، تاريخ21/ 4/ 2006.

والسريعة كالهواتف النقالة والانترنت والفضائيات ، إضافة إلى وسائل المواصلات كالطائرات النفاثة ذات السرعات العالية التي تفوق سرعة الصوت والتي قربت العالم وجعلته كالقرية الصغيرة ، ناهيك عن التطور الهائل في سرعة تبادل المعلومات والمعارف المختلفة مما سهل على الإنسان حياته ويسرها له مما فتح لعقلة أفاقا جديدة ساعدته على الإبداع والتطور وحررته من الجهل والتخلف .

ولكن الذي يجدر ذكره هنا هو ان الحضارة الغربية اهتمت بالجوانب المادية بعيدا عن الروح والقيم الأخلاقية السامية والمبادئ الإنسانية الرفيعة التي ترتفع بالإنسان عن مستوى غيرة من المخلوقات ، وهذا بحد ذاته كان عاملا هاما ورئيسيا في ان تحولت الثورة العلمية الهائلة إلى شر مستطير ووبال عميم ساهم في تقوية نوازع الشر عند الإنسان وأذكى الصراع بين بني البشر فافسد حياتهم وهدد أركان حضارتهم لأنهم سخروا طاقاتهم وإبداعاتهم في مجال الشر بدلا من الخير ، وللإنصاف نقول أنة لابد من استخدام المقارنة كدليل على تفوق الحضارة الإسلامية ذات الرسالة الإنسانية السمحة بالحضارة الغربية الحديثة ذات الرسالة المادية البحتة ، واهم أوجه المقارنة هي :

1. الحضارة الإسلامية إنسانية الهدف عالمية القصد والرسالة ليست محددة بإقليم جغرافي أو مقتصرة على جنس بشري أو حقبة زمنية معينة من حقب التاريخ ، جاءت للناس كافة تعمل على تسخير جميع النشاطات الإنسانية من اجل إسعاد الإنسان ورفاهيته ، وتتجلى عالمية هذه الحضارة بأنها نتاج إسهامات وعبقريات أمم وشعوب كثيرة اجتمعت تحت الراية الإسلامية ربطتهم أقوى الروابط ألا وهي رابطة العقيدة واستندوا جميعا إلى مبدءا واحد وهو الإسلام.

وعلى الجانب الأخر نجد أن الحضارة الغربية تهدف لخير أصحابها وصناعها فقط وترفض الأخر وتختصره إلى الصفر ، نجدها سخرت الإمكانيات والطاقات المتوفرة لديها للشر والطغيان والاستبداد والاستعمار ، فها هي الحروب الصليبية وها هو الاستعمار والحروب العالمية والقنبلة الذرية التي

استخدمت لهلاك البشرية ، لذا فهي حضارة لا تعرف السلام والطمائنينه بل أنها قائمة على الصراع بين الإنسان ونفسه والإنسان والطبيعة وصراع الإنسان مع أخيه الإنسان.([1]) وهذا يدل دلالة واضحة على ان الإسلام ودعوته كانت " عولمة " من نوع خاص نستطيع ان نطلق علية " العولمة الإسلامية" القائمة على توفير الخير والسعادة للإنسان أينما كان وحيثما حل ، وفي هذا المقام يبرز دور هام وحيوي يقع على عاتق العلماء والحكماء والمفكرين والإعلام في دنيا العرب والمسلمين وهو توضيح مفهوم العولمة الإسلامية الإنسانية ، أهدافها وغاياتها ، وهنا يجب ان لا نغفل بان هناك أصوات هامة ورئيسية عظيمة وحكيمة في العالم الإسلامي تنهض بهذا الدور وتنادي بة فهاهو المفكر العربي المسلم سمو الأمير الحسن بن طلال ينادي بمفهوم "العولمة المؤنسنة " الذي يركز على البعد الإنساني والاجتماعي للعولمة والذي من شانه أن يضمن عولمة أكثر عدالة وان يسهم في زيادة فوائدها والتقليل من مضارها لان إتباع سياسة التهميش والإقصاء يشكل خطرا على الاستقرار ، والمناداة بعولمة ذات مضمون أنساني واجتماعي يستند الى القيم العالمية التي يشترك فيها جميع البشر وتخدم أفراد الأسرة البشرية بلا تمييز، ويبين سمو الأمير الحسن : بان التعاون العالمي والإقليمي والقطري هو الأساس الذي يساعد على مجابهة هذه التحديات ، ويطالب سموه في أعادة توجيه مسارات التنمية التكنولوجية والاقتصادية وفق نهج علمي يخدم مصلحة كل البشر حتى يصبح بالإمكان تضييق الفجوة الرقمية والإسهام في مجتمع المعرفة المستقبلي لان الفجوة الرقمية هي أيضا فجوة تنموية بين الدول الفقيرة والدول الغنية ، وهي بالنهاية تؤدي إلى تفاقم حالة عدم المساواة الاقتصادية والاجتماعية بين أفراد الدول والمجتمعات ، وصولا إلى " العالمية" التي يجب أن تسهم فيها جميع الشعوب والثقافات من اجل صوغ أجندة عالمية بحيث تعكس مصالح واهتمامات المجتمع الإنساني كله "([2])

([1]) عبد العزيز التو يجري ، مصدر سابق ، ص، ص138، 142.(بالتصرف)

([2]) نقلا عن جريدة الدستور الأردنية العدد 13693، تاريخ 30/ 8/ 2005.

2. أنها حضارة أخلاقية تقوم على الأخـلاق ، تـرتبط أخلاقهـا ارتباطـا مباشـرا بالعقيدة الربانية لذلك فهي حضارة إيمانية توحيديـة ، اختلاقهـا نابعـة مـن هـذا الإيمان وهذا التوحيد وتجلت أخلاقياتها في كل شيء في الحكم والعلم والتشـريع والسلم والحرب وفي هذا الصدد نستشهد بقول رسولنا الكريم حيث يقول :"إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق"([1]) وقالت عنة ام المؤمنين عائشة رضي الله عنها :" كان خلقة القران" ([2]).

وقد اهتم الإسلام اهتماما عظيما بالتربية الأخلاقية للإنسان المسلم لان من شانها ان تنقي قلبه وتطهره من الشـر والباطـل وبالتـالي تنشـى وتربـي مجتمعـا فاضلا متكاملا متعاضدا تختفي فيه الجريمة ويستحقرها الناس وتسود فيه الفضيلة والعفة ، ولنا في سلفنا الصالح خير قدوة ، حيث صنعوا مجتمعا عظيما بني علـى الأخلاق الفاضلة ، وبأخلاقهم لا بسيوفهم اسـتطاعوا أن يفتحـوا الـدنيا شـرقا وغربا وان ينشروا فيها نور الإسلام وضياءه .

بينما لو أمعنا النظـر في الحضـارة الغربيـة نجـدها تجعـل الأخـلاق في أخـر أولوياتها وتهتم بالمصالح والغايات المادية للإنسان اعتمادا على مبدءا " ميكافلي " الغاية تبرر الوسيلة " وهذه القاعدة دفعت بالمجتمعات إلى تحقيق أهدافها والوصول

- للمزيد الرجوع الى مجلة *المنتدى* " الصادرة عن منتدى الفكر العربي في ، آب 2005.
- هذة الدعوة الكريمة من سموه لصنع مجتمع عـالمي تسـوده المحبـة والسـلام والعدالـة الاجتماعيـة ، سبقها دعوات كثيرة من سموه في محافل دولية كثيرة ومن ضمنها كلمة سموه التي ألقاهـا في اجتمـاع الهيئة المستقلة لقضايا الإنسانية الدولية المنعقد في ستكهولم في 5 ايـار 1986 حيـث اكـد سمـوه " ان انعدام العدالة الاجتماعية وانتهاك حقوق الإنسان والفجـوة الاجتماعيـة والاقتصـادية بـين الأغنيـاء والفقراء تشكل في مجموعها تهديدا متزايدا للسلام ، اضافة إلى أنهـا تشـكل اهانـة وتحـديا لإنسـانيتنا جميعا ، وأضاف ان واجبنا الجماعي يحتم علينا تحدي جذور النزاع واقتلاعها بخلق الأوضـاع الملائمـة لحل سلمي للنزاعات الداخلية بتطوير التكامل الاقتصادي والسياسي الكفيلين بخلق نظـام اجتمـاعي جديد ، وطالب سموه بتوحيد الجهود لبناء عالم تسوده مبادئ العدل والسلام على أساس من توافـق الأفكار والاحترام المتبادل " نقلا عن محمد الدجاني ومنذر الدجاني ، ***السياسة نظريات ومفاهيم*** ، ص175، عمان ، 1986.

([1]) ***صحيح الجامع الصغير*** ، تخريج محمد ناصر الدين الألباني مجلد / 2 حديث رقم 2345 حديث صحيح رواة أبو هريرة .

([2]) اخرجة الإمام احمد.

إلى غاياتها بعيدا عن الطرق الأخلاقية المشروعة ، فسادت قيم الفساد والرذيلة في المجتمعات ، فكثر التعامل بالربا والزنا والعنف والقتل والإيذاء والانتحار والحقد والظلم والفساد والرشوة والضلال والشذوذ .... ، فأصبحت المجتمعات تعاني من ويلات القلق والاضطراب وعدم الراحة وتبحث عن مخلص لها رغم تطورها العلمي والتكنولوجي الهائل ورغم توفر كل وسائل الراحة للإنسان فيها ، ولكنها غفلت عن الأخلاق التي هي أساس الحضارة واسها ، فأي حضارة تنعدم منها الأخلاق مصيرها إلى الهلاك والدمار مهما بلغت من القي والتقدم ، فشتان ما بين حضارة الإسلام الأخلاقية الأصل و المنشاء وبين حضارة المادة والشهوة والآلة الصماء ، فما أحوج العالم اليوم إلى الروح ، تلك الروح التي تحرر الإنسان من الحيرة والضياع ، لان الشهوة كما يقول محمد قطب : "لاتشبع بزيادة الانكباب عليها ولكنها تزداد تفتحا واستعارا وتصبح الشغل الشاغل لمن تملكت فلا يستطيع التخلص من ضغطها علية ، فضلا عن التفاهة التي يهبط إليها حين يصير همة كله أن تستجيب لصياح الشهوات ، والحياة لا يمكن أن تتقدم ، والبشرية لا يمكن أن ترتفع إلا حين تتخلص من ضغط الضرورة لتعمل في الميدان الطليق سواء كان عملها ييسر الحياة أو فنا يجملها أو عقيدة ترتفع بها إلى آفاق المشاعر العليا" .([1])

3. أنها حضارة فاعلة وديناميكية ، تعطي وتأخذ ، حضارة متجددة تساير التغيرات وتتكيف مع التطورات وتنفتح على الحضارات الإنسانية جمعاء ، فالتاريخ الإنساني هو سلسلة من الحضارات المتعاقبة تأتي كل حضارة فتستفيد ممن سبقها فتبني علية وتصنع لنفسها ما يميزها عمن سبقها ، وهذا أمر لا يمكن إنكاره ، فالحضارة العربية الإسلامية استفادت من الحضارات التي سبقتها ، حيث أحيا المسلمون العلوم القديمة ودرسوا المدنيات السابقة ورتبوها وزادوا عليها ، ثم نقلوها وترجموها إلى العربية من مصادرها الأصلية فحافظوا عليها من الضياع ، وقاموا بنهضة علمية عظيمة أخذتها أوروبا عنهم واعترف بها كثير من

([1]) محمد قطب ، *شبهات حول الإسلام* ، مصدر سابق ، ص 23.

مفكريهم حيث يقول احدهم : "أن الكنوز الأدبية العظيمة التي أوجدها المسلمون في ذلك العصر ونتاج نبوغهم العلمي واختراعاتهم الثمينة لتنهض دليلا على نشاطهم الفكري وتؤيد الرأي القائل بان المسلمين هم أساتذتنا في كل شيء ، إذ أنهم زودونا بمواد جليلة القيمة في العصور الوسطى وبأسفار مجيدة وتركوا لنا صناعة لا مثيل لها وفنا معماريا آية في الروعة والجمال واكتشافات هامة في الفنون والصناعات ".([1])

بينما نجد حضارة الغرب الحديثة حضارة تحتكر العلم والمعرفة وتحجر على العلماء وتقيد عقولهم وتقدم لهم كافة وسائل الإغراء لئلا يفشوا إسرار المعرفة والعلم إلى خارج الحدود وهذه نزعة استعلائية أنانية ينبذها الإسلام ويحتقرها ، لان نهايتها هي احتكار العالم واختصار التفاعل والحركية وعدم الاستفادة من معطيات هذه الحضارة إلا لفئة محدودة وضمن إطار جغرافي محدد مما ينشئ في النهاية غبنا وقهرا لدى شعوب الأرض يفضي بالنهاية إلى صدام وصراع ، وهذا ما أفرزته المدنية الحديثة من صراعات وصدامات تقض مضاجع الإنسانية جمعاء، على عكس الحضارة الإسلامية التي تدعوا إلى الحوار والتفاعل وتبادل العلوم والعارف ونشرها ما استطاع الإنسان إلى ذلك سبيلا لكي يعم خيرها الإنسانية جمعاء .

4. أنها حضارة معتدلة متوازنة ، فهي لم تقدم الروح لتطغى على الجسد ولم تعطي الجسد أهمية يطغى فيها على الروح ، بل عمل الإسلام على المزج بين الروح والمادة باعتدال ووسطية لتتناسب مع فطرة الإنسان وميوله ، فقد جاء الإسلام بأنظمة عظيمة تراعي مصالح الفرد وحاجات ، وانظمه تراعي مصالح الجماعة وحاجاتها فلا تطغى واحدة على أخرى وهذا يتجلى في الناظمة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والمالية ... الخ. بينما لو نظرنا إلى المدنية الحديثة لوجدنا فيها الكثير من النظريات والمذاهب التي تقدم مصلحة الفرد على المجتمع الذي يعتبر الأساس والذي لايجوز للمجتمع ان يقف في طريقة حتى لو

([1]) محاضرات في الثقافة الإسلامية ، مصدر سابق ، ص ص، 209 ، 210.

استغل غيرة من الأفراد او اعتدى على حق المجتمع ، وفي الجانب الآخر هناك مذاهب ونظريات قدمت المجتمع على الفرد وجعلته الأساس ولم تق للفرد وزنا لان المجتمع هو صاحب السلطان والسيادة ، والنظام الأفضل هو النظام الشامل الذي يستجيب لمطالب الجسد ومطالب الروح في اتزان وتناسق .

5. أنها حضارة مرنة(Flexibility): لها القدرة وبكفاءة على استيعاب الأخر والحوار معه والجدال بالتي هي أحسن وصولا إلى تلاقح الأفكار الذي ينتج أفكارا ورؤى جديدة تعود منفعتها وفائدتها على الأطراف المتحاورة بعيدا عن الصدام والحدة والعنف ، لان الدعوة إلى الله لأتكون إلا بالأسلوب الطيب والكلام اللطيف واللين وإلا فإنها تخرج من إطار الدعوة إلى إطار الصدام وخاصة ان الحوار هو قيمة من قيم الحضارة الإسلامية المستندة ساسا لمبادئ الدين الحنيف وتعاليمه السمحة وهو تعبير عن ابرز سمات الشخصية الإسلامية السوية وهي سمة التسامح وليس التخاذل والضعف" ([1]).

أما الناظر إلى الحضارة الحديثة وفي ظل هذه العولمة فإننا نجد أنها ترفض الأخر وتعمل على تهميشه وإقصائه وفرض نماذج خاصة بها علية دون مراعاة لثقافته وخصوصيته ، حضارة هيمنت عليها المصالح المادية البحتة ، مما دفع بالعلاقات الدولية الى الاضطراب والمعاناة بعيدا عن روح التفاهم والوفاق والتعايش وانقطاع سبل الحوار بين الأطراف المختلفة ، بل بروز دعوات هنا وهناك تدعوا إلى الصدام والصراع بدل الحوار والتعايش، وهذا كله ينفي صفة المرونة عن هذه الحضارة وهذه المدنية التي بات فيها الأمن والسلم الدوليين مهددين أكثر من أي وقت مضى وكثرت فيها الحروب وافتقدت الدالة والمساواة واحترام حقوق الإنسان وحق الشعوب في تقرير مصيرها وانتشار الظلم بكل أنواعه هنا وهناك .

وأخيرا وبعد هذا الاستعراض لخصائص الدعوة الإسلامية والحضارة الإسلامية نجد أنهما متفقان ومشتركان معا لان قاعدتهما واحدة مصدرها

([1]) عبد العزيز التويجري ، مصدر سابق ، ص122.

واحد، لـذا كانـت الحضـارة الإسـلامية ذات الرسـالة الخالـدة حضـارة ليسـت كغيرها، حضارة إنسانية ، عالمية ، قادت مسيرة العالم إلى النـور والعلـم والمعرفـة بينما كانت أوروبا تغرق في الجهل والظلام .

لذلك وفي ظل هـذه الحضـارة كانـت هنـاك " عولـة إسـلامية" ذات ملامـح خاصة بها ساهمت في رفعة المجتمع الإنساني والنهوض بة وتـوفير الخـير والمحبـة والسلام لأفراده ، والصر كثيرة جدا في تاريخنا الإسلامي تعبر عن تلك المعاني ، حتى قيل :" أن العالم لم ير فاتحا ارحم مـن المسـلمين " فشـتان بـين أنظمـة تسـعى لتكريم الإنسان وإعلاء شانه ، وبين أنظمة تسعى لاستعباده وإذلاله ، وبين قـوة توظف في خدمة الناس ورفع الظلم عنهم وقوة تسعى للهيمنة عليهم والـتحكم بمواردهم ومقدراتهم ، وهذا هو الفرق بين العالمية الإسلامية بمفهومها الإنسـاني الرفيع وبين العولمة الغربية بمفهومها التسلطي القمعي الوضيع .([1])

قـال تعـالى :" اليوم اكملت لكم دينكم وأتممـت عليكم نعمـتي ورضـيت لكـم الإسلام دينا" ([2])

([1]) محمد مرهف حسين أسد ،مصدر سابق ، ص79.

([2]) سورة المائدة ، الآية 3.

الفصل الخامس

الآثار الانسانيه للعولمة

(حقوق الإنسان)

❖ . الآثار الايجابية والسلبية للعولمة على :

1. الحقوق السياسية والمدنية .
2. الحقوق الاقتصادية والاجتماعية .
3. الحقوق الثقافية والفكرية .

الفصل الخامس

الآثار الانسانيه للعولمة

تمهيـد.

عندما شارف القرن الماضي على الانتهاء ،- وفي العقد الأخير منة تحديدا – بداء العالم يشهد تغيرات وتبدلات كثيرة أدت إلى تغير النظام السائد فيه ، فانهيار الاتحاد السوفيتي وتفكك المنظومة الاشتراكية وانفراد قوة واحدة في الهيمنة على قمة الهرم العالمي وما رافق ذلك من ثورة هائلة في مجال المعلومات والاتصالات والمواصلات ودخول عصر الفضائيات وانتشار الانترنت والهواتف النقالة ، كل ذلك ساعد على تقارب أطراف الكرة الأرضية من بعضها البعض وتحولها إلى قرية صغيرة يسهل التجوال فيها ، فذابت الحدود وتقاربت المسافات ولم يعد للدولة القومية هيمنة على حدودها الجغرافية كما كان الأمر سابقا ، بل أصبحت الشركات المتعددة (المتعدية) الجنسية لها من القوة المادية والمعنوية ما يفوق قوة كثير من الدول- وهذا ما سبق وان تحثنا عنه –، فدخل العالم في مرحلة جديدة هي مرحلة (العولمة) التي تهيمن فيها منظومة ثقافية واجتماعية واقتصادية وفكرية وسياسية وأخلاقية وعسكرية واحدة على العالم هي المنظومة الغربية بل بلفظ أدق المنظومة الأميركية لدرجة أن كثير من المفكرين أطلق عليها مرحلة (الأمركة) وليس العولمة ، حيث تحاول الولايات المتحدة فيها فرض نموذجها - بكل ما يحتويه من قيم ومبادئ – على العالم دون مراعاة لخصوصيات الأمم والشعوب ، مما خلق الكثير من التناقضات والأزمات الفكرية والأخلاقية ، فظهر إلى الوجود مصطلح (صراع الحضارات) الذي نادى بة صموئيل هنتنغتون، ومصطلح (نهاية التاريخ) على اعتبار أن العالم قد وصل إلى قمة تطوره وتقدمة بسيادة هذا النظام العالمي الجديد (الغربي) وما على العالم كله إلا الإذعان والالتزام والتقيد بأخلاقيات هذا النظام ، ولاشك أن المتأثر بهذا كله هو الإنسان وحقوقه سواء كان هذا التأثر سلبا أو إيجابا .

المبحث الأول

أثار العولمة الايجابية على الإنسان وحقوقه

أولا : الحقوق المدنية والسياسية .

لا شك أن العولمة وما حملته معها من تجليات كثيرة ،كاختصار المسافات وتطور وسائل الاتصال والمواصلات وانفتاح العالم على بعضة البعض حيث لم تعد المعلومة أو الحدث حكرا أو ملكا لأحد بعينة أو لدولة بذاتها ،لا شك إن هذا الانفتاح كان له الأثر الأكبر على حياة الإنسان وحقوقه المختلفة سواء كانت الحقوق المدنية او السياسية او الحقوق ألاقتصاديه والاجتماعية ويمكننا أن نلخص ذلك فيما يلي :

1. إن الانفتاح العالمي وذوبان الحدود وتطور وسائل الاتصال المختلفة كالانترنت والفضائيات والهواتف النقالة والسرعة المذهلة في تطورها ووصولها إلى كافة فئات المجتمع لعب دورا كبيرا في سهولة تثقيف الإنسان وتوعيته واطلاعه على كافة ألأخبار والمعلومات بالصوت والصورة ، حيث لم يعد الإنسان حبيس الحدود ألجغرافيه لدولته بل أصبح بإمكانه مشاهدة كل ما يدور في أنحاء الكون ومشاهدة ما يعانيه أخيه الإنسان من جوع وتشريد وقتل وإذلال وحروب وماسي واغتصاب وتعذيب في كافة أطراف الدنيا مما خلق لدية وعيا وثقافة خاصة بحقوقه وحرياته فجعلته أكثر تفاعلا وايجابية في هذا المجال .

2. لا شك أن تطور هذه الوسائل ومساهمتها في تقريب المسافات ساعدت الكثير من الناس الذين يعيشون خارج أوطانهم أن يشاركوا في أحداثها ومجريات الحياة السياسية والمدنية فيها كالتصويت والترشيح عبر الانترنت أو الفضائيات أو الفاكس ، وساعد أيضا الإنسان في أن يتفاعل ويتواصل ويشارك بأفكاره وطروحاته في تنمية مجتمعة وبلادة حتى ولو كان بعيدا الآلاف الكيلو مترات عنها من خلال وسائل الاتصال والتواصل المختلفة والمتاحة له بكل سهولة ويسر .

3. إن زيادة الـوعي والإدراك في مجـال حقـوق الإنسـان وخاصـة في المجتمعـات النامية ساهم في نشؤ مراكز مختصة تلاحـظ وتراقـب وتـدرس وتـدرب وتثقـف الأفراد والجماعات في مجال حقوق الإنسان مما طور الوعي المجتمعي في هذا المجال وعلى كافة الصعد وفي كافـة المراحـل ولكافـة الفئـات ، حيـث أصبحت مـادة حقوق الإنسان تدرس في الجامعات والمـدارس وتعطـى فيهـا الـدورات للمـرأة والعامل والموظف والطالب مما ساهم في خلق مجتمع مـدني واع مـدرك لحقوقـه وواجباته .

4. تحول كثير من الدول وخاصة في العالم النامي – سواء عن رضـى وقناعـة او جبرا – إلى الديمقراطية والتي هي الشعار الرئيسي الظاهري الذي تنادي بة قـوى العولمة – على الرغم من الكثير من التحفظات في هذا المجال – ممـا دفـع بقضـية حقوق الإنسان إلى السطح وطرحها للنقاش في كثير من المحافل.

5. ساهم تقارب المسافات الذي أوجدته وسائل الاتصـال الحديثـه في الاطـلاع على ثقافات الآخرين وساهم أيضا بتلاقح الحضـارات وتفاعلـها مـع بعضـها الـبعض ممـا أدى إلى تقـارب الأفكـار والتصـورات وتبـادل الخـبرات والعلـوم والمعارف بين بني الإنسان مما انعكس إيجابا على حيـاة الشـعوب في كافـه أرجـاء المعمورة .

ثانيا : الحقوق الاقتصادية والاجتماعية .

لاشك أن العولمة جاءت في البدايـة بـالثوب الاقتصـادي الـذي يـدعوا إلى اقتصاد السوق وحرية التجارة وتحقيق المزيد من الإرباح بين القـوى الاقتصـادية المتنافسة وزيادة الإنتاج سعيا لإشباع الحاجـات البشـرية المتزايـدة ، ناهيـك عـن إزالة القيود والحواجز الجغرافية والجمركية أمام انسياب البضائع بحركـة سلسـلة وسريعة دون معوقات ، كل ذلك لاشك كـان لـه الأثـر الأكـبر علـى الإنسـان وحقوقه وحرياته لأنة هو أساس كـل هـذه العمليـات ، ويمكـن تلخـيص تـأثير العولمة على الحقوق الاقتصادية والاجتماعية للإنسان بما يلي :

1. إن التطورات العلمية والتكنولوجية الهائلة قد أدت إلى إنتاج المزيد من السلع والخدمات التي يحتاجها الإنسان ، بالإضافة إلى توفير السلع الكمالية التي تؤمن له المزيد من الراحة النفسية والجسدية كالهاتف المتنقل الذي سهل علية الاتصال مع أصدقائه وأحبائه في أي بقعة من هذا الكون وهو جالس في مكانة وبأسعار معقولة ، وكذلك الوسائل الأخرى كالانترنت والمحطات الفضائية التي ساعدته على التجول في أنحاء المعمورة بسهولة ويسر بعد ان كان يبذل الجهد الكبير والمال الوفير من اجل الحصول على هذه الخدمات .

2. أن توفر وسائل الاتصال والمواصلات سهل على الإنسان الإشراف على تجارته أو صناعته أو إدارة أمواله ومراقبتها والسيطرة على عمالة ومرؤوسيه بسهولة ويسر مما يؤدي إلى زيادة الإنتاج وتحقيق المزيد من الإرباح وبالتالي السعادة والرفاهية والعيش الرغيد للإنسان .

3. إن تطور هذه الوسائل ساهم في تبادل الخبرات الصناعية والتقنية بين الشركات والمصانع مما ساعد على إقامة الصناعات المتطورة الحديثة وخصوصا في المجتمعات النامية فساهم ذلك في زيادة الرفاه الاقتصادي وتحسين مستوى معيشة الإنسان الاجتماعية والاقتصادية على حد سواء .

4. لا شك أن انفتاح العالم كسوق واحدة ووجود مؤسسات مالية كبرى يساعد الدول النامية على تنمية اقتصادها من خلال القروض والمساعدات ويدفع باتجاه تطور وتحسن حقوق الإنسان وحرياته الأساسية لان بعض هذه المؤسسات يربط ما بين تقديمها للمساعدات المالية وبين تطور حقوق الإنسان ومنحة الحريات الأساسية التي تشعره بالكرامة والإنسانية في هذه الدول .

5. إن كثيرا من الدول النامية بدأت تدرك أن الإنسان المضطهد المقهور لا يصنع اقتصادا قويا مما دفعها للاتجاه نحو تحسين حقوق الإنسان ومنحة الحريات الأساسية التي تشعره بالكرامة والاستقلالية مما يدفعه نحو العمل والإنتاج وبالتالي تحسن وضعة الاجتماعي والاقتصادي .

ثالثا : الحقوق الثقافية والفكرية .

مما لاشك فيه أن تأثير العولمة على الجانب الثقافي من حياة الإنسان بشكل خاص وحياة الأمم والشعوب بشكل عام كان واضحا وظاهرا- وقد سبق ان أوضحنا ذلك في فصول سابقة - وهو يعتبر من اخطر التحديات التي تواجهها حقوق الإنسان بشكل عام ، لان ثقافة الأمة هي هويتها وهي سلاحها الذي تحارب بة من اجل البقاء والاستمرار ، وذوبان الهوية وتلاشيها وتصدع جدارها ينبىء عن أمر خطير وبلاء عظيم قد يصيب كيان هذه الأمة أو تلك ، وانفتاح العالم ثقافيا كان له من الآثار ما يمكن أن نلخصه بما يلي :

1. إن من ابسط حقوق الإنسان هو حقه في التمتع بهويته الثقافية الناتجة عن الإرث الحضاري لامته ، فله الحق أن يتمتع بحق اللغة والدين واللهجة المحلية وله حق التعلم العلم الذي يناسب بيئته وجنسه وعرقه ولونه ودينه ، وفي ظل انفتاح العالم وثورته العلمية والتقنية الهائلة تهيأت للإنسان أسباب العالم والتعلم والاطلاع على تفاصيل ثقافة امتة ومكنونات حضارتها وأسرار لغته مما يدفعه للتمسك والاعتزاز بها ضد كل ما قد يؤثر عليها من مؤثرات خارجية فرضتها ظروف العولمة المعاصرة وتأثيراتها فيترسخ بذلك حقه في الخصوصية الثقافية الذي أقرته المواثيق والإعلانات العالمية لحقوق الإنسان .
2. إن التفاوت بين الثقافات المختلفة - بسبب ظروف التقدم العلمي والتقني والتطورات الأخرى- يحفز الإنسان لكي يطور ويحسن البنى الثقافية لامته وشعبة مما يخلق ثورة ثقافية تغني الحضارة الإنسانية بالعلم والمعرفة وتمدها بما هو جديد فيزداد العالم تمدنا وتحضرا ورقيا يغود بالنهاية نفعه وفائدته على الإنسان ذاته في مجالات حياته كافة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية .
3. ان اطلاع الناس - وبفضل وسائل الاتصال الحديثة المرنة - على ثقافات غيرهم من الشعوب يزيد من معارفهم ويطور إبداعاتهم ويحسن بالتالي حياتهم الاقتصادية والمعيشية ويمنحهم الحق بتحقيق الذات ويزيد من حريتهم في التعاون والتبادل فيما بينهم لما فيه خيرهم ومصلحتهم .

4. إن الخوف من ضياع الهوية الثقافية بسبب العولمة ،يدفع القائمين على أمور التربية والتعليم ونشر المعارف والعلوم وتطوير المناهج التربوية بما يحصن أبناء الأمة لمواجهة متطلبات العولمة فينتشر العلم وتزداد المعارف النوعية المتميزة ويزداد وعي الجماعة ويزيد من ارتباطها وانتماءها لامتها فيخلق جيلا واعيا متمدنا يعرف حقوقه ويطالب بها .

لاشك ان مرحلة العولمة التي يعيشها العالم بتجلياتها المختلفة كان لها وما زال اثر كبير على حقوق الإنسان ولاشك أنها طورت فهم الإنسان وإدراكه لحقوقه وحرياته فتعززت هذه الحقوق والحريات في الكثير من الدول وتغيرت المفاهيم والأساليب التي كانت لا تقيم للإنسان وزنا أو قيمة .

المبحث الثاني :

الآثار السلبية للعولمة على حقوق الإنسان .

لاشك أن العولمة ورغم ما حملت من ايجابيات إلا أنها حملت في الجانب الأخر الكثير من السلبيات التي خلخلت مفهوم حقوق الإنسان وأثرت علية ونستطيع أن نجمل الآثار السلبية للعولمة على حقوق الإنسان من خلال ما يلي:

أولا : الحقوق المدنية والسياسية :

1. ساهم الانفتاح العالمي وتحول العالم إلى قرية كونية صغيرة إلى اطلاع الناس على حقوقهم وتعرفهم عليها ومطالبة الشعوب في كثير من بقاع الأرض بحقوقهم وحرياتهم أسوة بالكثير من الشعوب واستخدموا في هذه المطالبة أساليب مختلفة كالمظاهرات والانقلابات والحروب الأهلية والمصادمات مما خلق زعزعة لكثير من الأنظمة السياسية التي استخدمت كل وسائل الرد المتاحة أمامها كالضرب والقتل والسجن والاعتقال والتوقيف والتعذيب والمنع وغيرة مما أصاب حقوق الإنسان بالانتهاك والخلل .

2. ظهور ما يسمى بالنظام العالمي الجديد وهيمنة الولايات المتحدة على عرش العالم كقوة عظمى ، دفع بها إلى رغبتها في فرض نموذجها السياسي الداعي للديمقراطية على العالم ولو بالقوة ، فعملت على شن الحروب وإزالة الأنظمة الحاكمة بالقوة العسكرية والاقتصادية وفرض طريقتها في الحكم والسياسة والديمقراطية ، مما خلق بلبلة عالمية كبرى زادت من انتهاك حقوق الإنسان وخاصة حق الحياة ، حيث ازداد عدد القتلى وكذلك ازداد الجوع والتشريد بسبب الحصار والخوف والتعذيب الذي تحرمه قواعد القانون الدولي والمواثيق والأعراف الدولية .([1])

([1]) ذكرت التقارير الصادرة عن الأمم المتحدة في نهاية عام 2006 أن اكبر موجة نزوح تشهدها المنطقة منذ قيام إسرائيل إلى اليوم هي ما حصل ويحصل في العراق ،حيث أن كل 1من أصل 8

3. أدت ردود الفعل العالمية لما تمارسه المدنية الحديثة إلى نشوء ظاهرة الإرهاب وتطورها وازدياد خطرها على العالم فأصبح الفعل إرهاب ورد الفعل إرهاب أيضا، مما أحال الإنسان إلى وقود دائم الاشتعال لهذه الحرب الضروس التي لا يعلم عاقبتها إلا الله ، فكثر القتل والاضطهاد والتعذيب وأصاب الخلل من جديد حقوق الإنسان وحرياته .

إن أحداث 11 سبتمبر 2001 زادت من الضغوط نحو عولمة السياسة ، حيث كثفت الولايات المتحدة جهودها نحو تجنيد العالم كله ليسير وفق أجندة سياسية واحدة تدعوا إلى "محاربة الإرهاب" مستخدمة كل الوسائل المتاحة أمامها لتحقيق ذلك بعيدا عن الاهتمام بالإنسان وحقوقه .

ثانيا : الحقوق الاقتصادية والاجتماعية :

أثرت العولمة وبشكل مباشر على حقوق الإنسان الاقتصادية والاجتماعية وذلك من خلال :

1. إن غاية النظام الرأسمالي الجديد هو تحقيق المزيد من الربح بأقل ما يمكن من الأجور وذلك على حساب الإنسان العامل وحقوقه وتحويله إلى سلعة تباع وتشترى حسب مقتضيات السوق وفي ذلك امتهان للكرامة الإنسانية واحتقار لأبسط حقوق الإنسان .

2. التحكم والهيمنة بحاجات الإنسان الأساسية وتحويل جميع الخدمات إلى سلع تباع وتشترى كالتعليم والصحة والنقل وكذلك موارد الطبيعة – والتي هي من حق الإنسان لأنها منحة من الله – كالماء والطاقة وحتى الهواء ، مما زاد من أعباء الإنسان الاقتصادية والمالية وزاد من التفاوت الطبقي بين الأغنياء والفقراء ، فالغني يشتري ما يحتاج إلية والفقير ينظر إلية ، وفي ذلك تكريس لطبقية حقوق الإنسان .

مواطنين قد نزح عن بيته وأرضة إما داخليا أو خارجيا ، وان عدد النازحين خلال النصف الثاني من عام 2006 في العراق بلغ حوالي نصف مليون شخص.

3. إن الرغبة في تحقيق المزيد من الربح لم يكن يسال عن معاناة الانسان وتاثرة بما تنتجة قوى العولمة ، فالعولمة كوجه آخر من وجوه النظام الرأسمالي تهدف إلى تحقيق المزيد من الربح وذلك من خلال زيادة صناعاتها ومبيعاتها ، فازدهر قطاع الصناعات العسكرية والحربية التي ينتعش ويزداد بيعها في حالة الصراعات والحروب والمعارك بين بني الإنسان مما دفع بقوى العولمة إلى إشعال المزيد من الحروب والترويج لها من اجل بيع إنتاجها وبالتالي تحقيق المزيد من الربح ، مما تسبب بقتل المزيد من البشر وامتهان كرامتهم وتشريدهم وحرمانهم من ابسط حقوقهم التي أقرتها الشرائع السماوية والمواثيق الدولية .

4. استغلال الأطفال وتشغيلهم وتحويلهم إلى عمالة مضطهدة لا حول لها ولا قوة ، بسبب الرغبة في تحقيق المزيد من الأرباح ، وهذا الاستغلال كايدي عاملة يتطور إلى استغلال جنسي وتجارة بهم وبأعضائهم البشرية واستخدامها كقطع غيار للأغنياء .

5. رغم التطور المذهل الذي شهدته البشرية في الجانب الاقتصادي إلا أن نسبة الفقر في العالم ازدادت ، حيث يعاني 840 مليون نسمة من الجوع ، و2 بليون يعانون من سؤ التغذية وفي ذلك اختصار من حق الإنسان في الحياة الحرة الكريمة.([1])

6. أفرزت العولمة تفاوتا كبيرا في الثروة بين الأفراد وبين الدول ذاتها ، فالغني يزداد غنا والفقير يزداد فقرا ، حيث تذكر التقارير أن 1/5 سكان العالم ممن يعيشون في أغنى بلدان العالم دخلا يحصلون على 86٪ من الناتج المحلي و82٪ من صادرات العالم و68٪ من الاستثمارات الأجنبية المباشرة و74٪ من خطوط الهاتف ، أما 1/5 السكان ممن يعيشون في اشد البلدان فقرا فأنهم يحصلون على 1٪ من الناتج الإجمالي العالمي، والسبب في ذلك هو هيمنة الأسواق على العولمة

([1]) محمد فائق ، حقوق الإنسان في عصر العولمة ، الموقع الالكتروني ، -*WWW. IBN* .ORG *RUSHD* تاريخ 24/ مارس / 2000.

وتكريسها للمزيد من الربح دون اعتبار لما يعكسه ذلك على حقوق الإنسان.([1])

7. إن التطور الهائل في مجال الصناعات وازدياد التقدم التكنولوجي الذي يختصر من عدد القوى البشرية العاملة ويعتمد على إنتاجية الآلة ويزيد من نسبة البطالة فيرفع من عدد العاطلين عن العمل بسبب إلغاء الكثير من الوظائف ، حيث يشير التقرير السنوي للعمالة لعام 69/ 97 الصادر عن منظمة العمل الدولية أنة تم إلغاء مليون و800 ألف وظيفة في قطاع الصناعات التحويلية كان يعمل بها 120 ألف عامل في عام 1980 وانخفض عددهم إلى 20 ألف فقط عام 1990 وينتجون نفس القدر من المنتجات ، إن هذا الآمر يؤدي إلى التأثير المباشر على حقوق الإنسان حيث يزداد عدد الفقراء والبائسين والمشردين وبذلك تتعرض حقوق الإنسان الأساسية كحقه في الحياة الحرة الكريمة إلى التصدع وبالتالي الانهيار .

8. أدى التطور العلمي والتقني إلى انعدام الأمن الاقتصادي والوظيفي بالتحديد وكذلك الأمن الاجتماعي وخاصة أن هدف الشركات الكبرى هو تحقيق الربح بغض النظر عن حالة الإنسان العامل بها حيث يكون عرضة للطرد أو الإقصاء مما يحيله إلى إنسان عالة على المجتمع وقد يتسبب هذا الوضع بتحويله إلى إنسان جانح أو مجرم مما يزعزع القيم الاجتماعية والإنسانية ويعرض استقرار الإنسان للخطر الجسيم .

9. أما على صعيد التبادل التجاري فقد لعبت شبكة الانترنت دورا بارزا في ها المجال ، حيث بلغ حجم التجارة عبر هذه الشبكة أكثر من 300مليار عام 2005 ، وهذا الأمر له أثارة السلبية على صعيد التجارة المادية التي يتناقص حجمها ويذلك يقل عدد المشتغلين بها وينخفض بذلك دور الإنسان الذي

([1]) المصدر السابق .

- ان (358) ملياردير في العالم يمتلكون ثروة تضاهي ما يملكه (2،5) مليار من سكان العالم أي أنها تضاهي ما يملكه نصف سكان العالم . نقلا عن : محمد مرهف حسين أسد ، **العولمة رؤية إسلامية** ، دار وحي القلم ، دمشق ، 2003 ، ص25 .

يتضاءل ليصل إلى الهامش مما ينعكس سلبا على مستوى حياة الإنسان الاجتماعية والاقتصادية .

10. إن تنامي وتطور دور الشركات المتعددة الجنسية وانتشار مصانعها في أنحاء العالم المختلفة لعب دورا كبيرا في زيادة نسبة التلوث في الماء والهواء والغذاء مما ترك أثارا سلبية على صحة الإنسان ونشاطه وفي ذلك تعد واضح على حق الإنسان في أن يحيا في بيئة نظيفة خالية من الملوثات .

11. إن تعاظم دور المؤسسات المالية العالمية كالبنك الدولي وصندوق النقد الدولي ومنظمة التجارة العالمية وازدياد نفوذها لعب دورا كبيرا في الهيمنة على اقتصاديات الدول – خاصة النامية – وجعلها رهينة بيد هذه المؤسسات مما يؤثر سلبا على حقوق الأفراد والعمال ويزيد من نسبة البطالة والفقر في هذه الدول .

ثالثا : الحقوق الثقافية والفكرية :

1. إن تطور المحطات الفضائية وسهولة تداولها من قبل كل الناس تقريبا قد ساهم في دمج الثقافات المختلفة في ثقافة واحدة وبالتالي التأثير المباشر على حقوق الأفراد والجماعات في التمتع بثقافتهم الخاصة بهم ، واثر ذلك على خصوصيات الشعوب الثقافية وارثهم الحضاري وخاصة إذا ما علمنا أن الولايات المتحدة وحدها تتحكم ب 65 ٪ من المادة الإعلامية في العالم .([1])

2. إن تطور شبكة الانترنت وشيوع استعمالها ساهم في اختراق حواجز الثقافات والدخول إلى أعماقها وزرع قيم ومبادئ ومفاهيم جيدة – غريبة على الأغلب – في أذهان الناس مما احدث شروخا اجتماعية وقيميه تؤدي إلى تصدع المجتمع والفرد في ذات الوقت وتزعزع حقوق الجماعة والفرد في حرية التعبير والرأي

([1]) مصطفى عبد الله الكفري ، العولمة الاقتصادية وفرض هيمنة الاقتصاد الرأسمالي، الموقع الالكتروني :WWW.REZGAR.COM.

– الرئيس الأميركي جورج بوش قال بعد انتهاء حرب الخليج الثانية :" إن القرن القادم سيشهد انتشار القيم الأميركية وأنماط العيش والسلوك الأميركي" المصدر السابق.

عن ذاتهم وأفكارهم بلغتهم الخاصة بهم ،ناهيك عن دورها في خلق ثقافة عالمية فوق قطرية وفوق لغوية وفوق ثقافية .([1])

3. الأموال الطائلة التي تنفقها الدول المقتدرة لنقل ثقافتها إلى الدول الضعيفة ، إنما هي من تعب وجهد الفقراء الذين يصرفون طاقاتهم وأوقاتهم في العمل والبذل لتحقيقها ،حيث كان الأجدر أن تصرف هذه الأموال لخدمة الإنسانية وتعزيز كرامة الإنسان وحمايته.

4. تعديل و تغيير المناهج الدراسية لصالح قوى العولمة كان له الدور الأكبر في التأثير على حقوق الإنسان وخصوصياته ، كحقه في الرأي والتعبير والتعليم الخاص بة .... الخ.

5. تكريس ثقافة الاستهلاك لدى الشعوب مما يؤثر على الإنسان ، فيولد في نفسه الضعف والاتكاليه وموت الإبداع وزرع بذور الشك في نفسه تجاه قضاياه وقناعاته الدينية والفكرية والأيدلوجية فيصبح جسدا بلا روح ،وتموت في نفسه نوازع الإبداع والمقاومة والقوة وهذا اعتداء صارخ على ابسط حقوقه في التفكير والإبداع والتطور والإنتاج والاستفادة من التنمية وعضويته فيها من اجل أن يحيا بكرامة واحترام ، وخاصة إذا ما علمنا أن معظم المواد الثقافية والإعلانية والدعائية هي مواد غربية المصدر بشكل عام وأميركية بشكل خاص، وهذا ما قد لا يتناسب مع خصوصيات شعوب الأرض شرقها وغربها .

6. هيمنة اللغة الانجليزية على معظم مفردات العولمة الثقافية التي تبث عبر الانترنت والفضائيات إلى العالم ، مما يؤثر على لغات الشعوب الأخرى فتصاب بالتهميش والإهمال وينعكس ذلك على النسيج الاجتماعي لهذه المجتمعات وخاصة إذا ما علمنا أن نسبة المواد التي تبث باللغة الانجليزية وحدها هي 88٪ من المضامين والمعطيات وفي ذلك اعتداء على حقوق الجماعة والفرد معا وزعزعة لكيان حقوق الإنسان في العالم .

([1]) حيدر فريحات ، **العولمة ، الغابة أم الأشجار التي تكونها** ، جريدة الرأي ، العدد 13194، تاريخ 13/ 11/ 2006.

7. بث المضامين اللاخلاقيه في معظم المواد الثقافية التي يتلقاها الناس في أنحاء العالم حيث تتضمن مواد غير لائقة أخلاقيا بالإنسان ، كالقتل والجنس والتدخين وتعاطي المخدرات وأساليب النصب والاحتيال والإجرام وكافة أشكال الإباحية .... الخ مما يؤثر وبشكل مباشر على نفسية الإنسان المتلقي لها وينعكس ذلك على سلوكياته وتصرفاته وتحيله – بدلا من يكون إنسانا فاعلا في المجتمع – إلى مجرم شاذ عالة على الإنسانية وهذا فيه تعد صارخ على حق الإنسان في الحياة المحترمة الكريمة .

الفصل السادس

أخلاقيات العولمة وأثارها الانسانيه

- أخلاقيات العولمة السياسية.
- أخلاقيات العولمة الاقتصاديه.
- أخلاقيات العولمة الثقافية والقيمية .
- المرأة وأخلاقيات العولمة.

الفصل السادس

أخلاقيات العولمة وأثارها الانسانيه

تمهيد:

لا شك أن العولمة كوجه من وجوه النظام الرأسمالي وكمرحلة من مراحله، كان لها وقعها القوي على بني البشر،فهي نظام يهدف - ومن خلال وجهة الاقتصادي -، إلى المزيد من الربح وتراكم المزيد من الأموال وتكديس الثروات وتجميع الخيرات في ظل الرغبة الجامحة من الطمع والجشع والرغبة في المزيد ، ومن خلال أذرع ممتدة طائلة أصبح لها من القوة ما يفوق قوة الدول ، كالشركات المتعددة الجنسية التي بداءت تتحكم بالأنظمة السياسية والاقتصادية بل الاجتماعية لكثير من الدول التي تعمل على أراضيها، وكذلك المؤسسات المالية الدولية التي بداءت تفرض ما يروق لها من الشروط على الدول البائسة المحتاجه لقروضها بغض النظر عن ظروف الإنسان وأحواله في هذه الدول، فانتشر الفقر وزاد نسبته ، وتعاظمت البطالة وزاد عدد العاطلين عن العمل في أنحاء مختلفة من العالم ، كل ذلك كان يحمل معه بذور التعاسة والشقاء للإنسان - الضعيف- الذي لم يكن مستعداً لتلقي العولمة والتعامل مع تجلياتها المختلفة.

نتيجة لكل ما سبق ظهرت في العالم- الذي ولدت فيه العولمة- قوى مناهضة ومضادة لتيار العولمة وتطورت هذه التيارات المتصاعدة المضادة لتأخذ شكل المظاهرات والإضرابات والاحتجاجات التي ينظمها ويقودها الآلاف من البشر المتأثرين من سلبياتها.

أن الشعارات المنمقه التي جاءت بها العولمة كالحياة الحرة الكريمة، الحياة الأفضل العيش الرغيد، قد لا نجده سوى حبر على ورق ذلك لأنها تتطلب جهداً أخلاقياً دولياً من قوى العولمة لتطبيقها على أرض الواقع فالحياة الأفضل لا تكون إلا بالعدل بين الناس والمساواة وسيادة قيم التراحم والتكافل والتعاون، وكذلك العيش الرغيد لا يكون إلا بتساوي كل بني الإنسان بالحصة في الحصول

على خيرات الطبيعة أو على الأقل الاستفادة من خيرات الأرض التي عليها يحيون ويعيشون لا أن تكون نهباً ومشاعا لغيرهم من القوى الكبرى المتغطرسة ، فالأخلاق ضرورة هامة لا غنى عنها لحياة أفضل ولعيش كريم للإنسان ، والمتتبع لتطورات العولمة بتجلياتها المختلفة يجد أن كثيراً من أدبيات العولمة تتناقض مع مبادئ الأخلاق السامية والقيم النبيلة ، فالجشع والطمع واختزال الآخر، وتهميش الفرد والجماعة، واستغلال مقدرات الأمم والشعوب والهيمنة الفكرية والعقلية وفرض القيم المخالفة لما يؤمن به الإنسان كلها وغيرها من أدبيات العولمة التي قد لا تتلاقى مع أدبيات الأخلاق .

في السطور القادمة سنوضح كيف أثرت أخلاقيات العولمة في أشكالها المختلفة على الإنسان والإنسانية.

المبحث الأول

أخلاقيات العولمة السياسية

إن السياسة وما تعنيه من إدارة الحكم وشؤون الناس و وتدبير أمورهم تتطلب معايير أخلاقية وقيم سامية لتكون سياسة نزيهة وإدارة حكيمة ، فهي تتطلب من الحاكم أو المسؤول أن يكون أسوة وقدوة لغيره، فما يرضاه لنفسه يجب أن يسعى لتحقيقه لمرؤوسيه وإن يسعى إلى الحاكميه الرشيدة المثالية ما استطاع إلى ذلك سبيلاً ، فقيم العدل والإنصاف والتسامح والرحمة والصدق والنصيحة والعطف....الخ من قيم سامية هي أساسيات العمل السياسي النظيف، أما إذا خلا العمل السياسي من هذه القيم وتجرد منها عندها يصبح كارثة محققة وذلك لأن المعادلة ستختل حيث أن طرفيها يكونا متناقضين فأحدهما يملك والآخر لا يملك وأحدهما يسيطر ويتحكم بمقاليد الأمور والآخر ضعيف لا يقوى على شيء ولا حول له ولا قوة فليس بيده إلا أن يؤمن ويستسلم وينصاع وينقاد لما يستمع من أوامر، فإذا وصل الأمر إلى هذا الحد أصبحت عندها السياسة بلا أخلاق وهنا الطامة الكبرى.

أن سرد ما سبق يقودنا لنرى ونشاهد ونسمع ما يحدث من أحوال وأوضاع سياسية في أنحاء هذا الكون الفسيح الرحيب، فالأوضاع السياسية في العالم لا تسر العدو ولا تفرح الصديق.

إن تطور النظام الرأسمالي وبلوغه إلى مرحلة العولمة وتغير وجه النظام العالمي وانطفاء جذوة (الحرب الباردة) وهيمنة القطب الواحد على عرش العالم أدى إلى اختلال كفتي النظام العالمي ، فتحول التوازن الذي ساد العلاقات الدولية لفترة لا بأس بها إلى اضطراب ورغبة جامحة في الهيمنة والسيطرة، وأن ولوج العالم إلى مرحلة العولمة وما فرضته هذه المرحلة من ذوبان للحدود وسيطرة للشركات المتعددة الجنسية أعاد للأذهان مرحلة الاحتكارية الامبريالية التي عاشها العالم في ذات زمان ، حيث الرغبة الجامحة في السيطرة على مقدرات

الشعوب ونهب خيراتها من أجل تحقيق المزيد من الأرباح وتراكم رؤوس الأموال ، أن هذه الأسباب (الاقتصادية) كانت دافعا للهيمنة الغربية عموماً و الأميركية خصوصاً إلى أن تمد ذارعيها إلى شرق العالم وغربه، فمنذ سقوط الاتحاد السوفيتي وهيمنة الولايات المتحدة على النظام العالمي بداء العالم يشتعل بالحروب، أولها حرب الخليج الثالثة عام 1991 التي شنتها الولايات المتحدة وحلفاؤها على العراق والتي أدت إلى تدفق مئات الألوف من الجنود المدججين بأحدث ما توصلت له التكنولوجيا في صناعة الأسلحة، ووضعت قواعدها في الخليج ومياهه وفرضت الحصار على العراق، فمات مئات بل الألوف من الأطفال والمرضى والشيوخ والنساء والأبرياء من الجوع والمرض وقلة الدواء والإمكانات الطبية واستمر الحصار والسيطرة مما أحدث ردود فعل معاكسة حيث ظهر وبرز للسطح مفهوم (الإرهاب) الذي وولد من جديد من رحم هذه الأحداث وهذه البيئة المشتعلة فازداد القتل باسم الحرية والديمقراطية والدفاع عن مبادئ القانون الدولي وبحجة الحفاظ على الأمن والسلم الدوليين وتطهير العالم من أسلحة الدمار الشامل والقضاء على التطرف والأصولية. وبحجة تطهير الدول من الأنظمة المستبدة الديكتاتورية الشمولية، ومنح الحق لنفسها بالتدخل في خصوصيات الشعوب لأسباب إنسانيه فبداء مسلسل ما يسمى (الحرب على الإرهاب) وجاءت ألضربه القاصمة للعالم عندما ضربت أمريكا في عقر دارها في 11 سبتمبر 2001 حيث كان من وقع الصدمة عظيماً واشتعل العالم من جديد بحثاً على الإرهاب والإرهابيين وانقسم العالم إلى فسطاطين، فسطاط الخير وفسطاط الشر فاجتيحت أفغانستان ودرست معالمها وقتل الآلاف البشر وتشرد عشرات الألوف واستمر حال العالم هكذا، نار تشتعل هنا ونار تشتعل هناك ،والإنسان يعاني من الجوع والتشريد والاغتصاب والتعذيب والاعتقال والتدمير والحرمان ، .... ولكي ندرك ما هو الهدف ، .... سنتذكر هنا بعضاً من خطاب (ريتشارد هامس) مدير مكتب التحقيق السياسي بوزارة الخارجية الأمريكية في نيسان 2002 حيث يقول: ألن الهدف الأساسي للسياسة الخارجية الأمريكية في

القرن الحادي والعشرين هو إدماج بلـدان ومنظمـات أخـرى في الترتيبـات الـتي ستدعمّ عالما يتسق مع المصالح والقيم الأمريكيـة ، ويتـابع فيقـول:..... المهمـة تبدو أذن هي إقناع – وإذا اقتضى الأمر- إجبار الآخرين على الالتـزام بمبـادئ النظام والقوة والعدل الدوليين كما تعرفها أمريكا.([1])

إذن القضية هي قضية إدماج تتفق مع قيم ومصالح موحدة قد تتعارض مع خصوصيات الدول والشعوب المفروضة عليها، فالديمقراطيـة لا تفـرض فرضـاً بل هي قيمة تنبع من داخل الشعوب نفسها، تصنعها بما يتفق مـع خصوصـيتها الثقافيـة والايدولوجيـه وأرثهـا التـاريخي ، وتحكمهـا عوامـل كـثيرة كعوامـل الجيوبوليتكيا والديموغرافيا وغيرها من الظروف والأحـوال ، أن عمليـة فرضـها بالقوة يأتي بالفعل ورد الفعل ثم يكون العنف الـذي وقـوده الإنسـان بالدرجـة الأولى.

واشتعلت النار في الخليج مرة أخرى في عـام 2003 عنـدما بـدأت حـرب الخليج الثالثة وكان من نتيجتها هو احتلال العـراق وتغـيير النظـام الحـاكم فيـه عندها اشتعلت نار من نوع آخر هي نار الطائفية والعرقية والمذهبيـة ومـا زالـت مشتعلة وقودها الإنسان وحقوقه وحرياته.

أن هذا السيناريو السـابق يوضـح جـزءاً واحـداً مـن الصـورة القاتمـة الـتي وصـلت إليهـا حقـوق الإنسـان وحرياتـه في ظـل العـالم المفتـوح ، والعولمـة وتكنولوجيا الاتصال والمواصلات ونظام السوق الحر !!! .

إن الناظر إلى حال المنطقة العربية سياسياً وعسكريا يرى بوضوح أن سياسـة المكيالين هو المبدأ السائد فيهـا، فهنـاك دولـة واحـدة لهـا مـن القـوة العسـكرية المدعومة أكثر من كثير من الدول العربية فهي تمتلك ترسانة هائلة مـن الأسـلحة يأتي على رأسها السلاح النـووي ، ناهيـك عـن الغطرسـة الـتي تمارسـها بحـق الإنسان سواء في فلسطين أو من خلال شن الحرب تلـوى الأخـرى بـين الفـترة

([1]) انظر: مايكل هدسون، مآزق الامبريالية إدارة المناطق الجامحة ، مجلـة المسـتقبل العربـي، العـدد 2002، ص 39-47.

الثانية فحربهاً على لبنان في صيف عام 2006 أحرقت الأخضر واليابس ودمرت العمران وقتلت الإنسان تهدمت الآلاف من المباني والمنازل على رؤوس أصحاب وأبيدت قرى ومدن بشكل شبه كامل ، وقتل العشرات بل المئات من الأبرياء من النساء والأطفال والشيوخ الذين نقلت صورهم بل صور أشلاءهم على شاشات الفضائيات ألى كل أنحاء المعمورة ، كل ذلك يحدث تحت سمع وبصر القوى الحرة الليبرالية دون أن تحظى الجهود الدولية بقرار يدين أو يشجب هذه الممارسات لأنها محمية بحق الفيتو .

إن هذا الحديث يقودنا إلى أخلاق العولمة العسكرية : أليست هذه السياسة- والتي ولدت الكثير من الحروب - هي طريق سالك لسوق الصناعات العسكرية الغربية ؟ ، الجواب، نعم ، لأن الحروب تتطلب شراء المزيد المزيد من السلاح سواء كان التقليدي أم الفائق التطور والتقنية ، أن وصول الأعداد الهائلة من القوات إلى الخليج فتح باب شراء الأسلحة على مصراعيه، فمئات المليارات من الدولارات وعشرات الصفقات لشراء الطائرات والدبابات قد تمت في ، أليس ذلك مزيداً من القوة والدعم المادي للشركات العملاقة المتعددة الجنسية وخصوصاً المختصة بصناعة الأسلحة والمعدات الحربية والتي تلعب دوراً كبيراً وهاماً في السياسة الأمريكية وفي تحديد معالم السياسة الخارجية الأمريكية وتوجهها إلى ما تريد ([1]) .*

ناهيك عن تزايد الإنفاق العسكري الأمريكي حتى وصل إلى ما يزيد عن (270) مليار دولار([2]) ، بالإضافة إلى أن انفتاح الحدود وتلاشي القيود قد ساهم وبشكل كبير في توفر الأسلحة التقليدية والمعدات العسكرية بين أيادي الأفراد والجماعات في مناطق العالم المختلفة مما يوفر بيئة خصبة للقتل والإرهاب

---

(1) محمد حسين الصافي، **انهيار الرأسمالية الفوضى القادمة** ، مكتبة مدبولي ، القاهرة 2004، ص 84.

* . ارتفعت صادرات الأسلحة الاميريكيه بعد حرب الخليج الثانيه من 14 مليار عام 1990 إلى 23 مليار عام 1991 . (المصدر السابق) ص 84 .

([2]) محمد مرهف حسين أسد ، مصدر سابق ، ص34.

والحروب ، والمتتبع لأحوال العالم السياسية يشاهد وبشكل مذهل كم هي البؤر المشتعلة بالقتل والإرهاب والنزاعات في العالم والتي يذهب ضحيتها الإنسان بالدرجة الأولى.([1])

أن حرب المصالح التي تفرضها ظاهرة العولمة كوجه جديد من وجوه النظام الرأسمالي هي التي تحرك القوى القوية المهيمنة على النظام العالمي، ويمكن أن نوجز ذلك بما يلي:

1. الرغبة الاستعمارية التي تهدف إلى استغلال خيرات الشعوب هي التي أشعلت منطقة الخليج بنيران لا يعلم نهايتها إلا الله ، حيث تذكر التقارير الاقتصادية أن العراق يسبح فوق بحر من النفط قد يحتاج من 100-150 عام لكي ينضب وهذا سبب كاف للهيمنة والسيطرة بالإضافة إلى خيرات الخليج الأخرى.

2. إن الخوف من الصين كعملاق اقتصادي وسياسي قادم قد دفع الولايات المتحدة إلى الاقتراب منه ووصفه بين فكي كماشة وذلك من خلال الهيمنة على طرفة الغربي باحتلال العراق وطرفه الشرقي باحتلال أفغانستان ووضع أنظمة سياسية موالية لها في هذه المناطق لضمان استمرار الهيمنة والسيطرة .

3. ما زال الخوف من الاتحاد السوفيتي السابق المتمثل بروسيا قائما وذلك لأن الإرث النووي الذي خلفه ذلك العملاق البائد ما زال موجوداً مما دفع الولايات المتحدة الى التربص عن قرب ومراقبته عن كثب من خلال الاقتراب من حدوده الجنوبية والغربية فكان ما كان من إقامة القواعد العسكرية المتقدمة والممتلثة بمئات الألوف من الجنود والقطع العسكرية المتطورة في أفغانستان والعراق.

([1]) تقدر المنظمات الدولية بأن عدد الأشخاص الذين يقتلون في العالم في كل ساعة نتيجة نزاع مسلح بـ 65 فرداً وخلال القرن العشرين قتل نحو 195 مليون شخص نصفهم من المدنيين فنتيجة حروب غير عادلة كما أن 5٪ من المسنين و3٪ من الأطفال في العالم وقعوا ضحية أعمال عنف وقسوة غير مبررة : انظر شعاع اليوسف ، التقنيات الحديثة فوائد وأضرار ، كتاب الامه ، العدد 114، السنه 1427 هـ ،ص54 .

4. كذلك فإن إيران وما تقوم به من حركات تهدف إلى امتلاك السلاح النـووي وإجراء المزيد من الأبحـاث في هـذا المجـال وقيامهـا بتطـوير الصـناعات الحربيـة والقدرات الدفاعية لها قد كان دافعا قويـاً أيضـاً للاقـتراب منهـا ومراقبتهـا بـل وضعها تحت المطرقة في اللحظة المناسبة.

إن هذا السرد البسيط يرينا جـزءاً يسـيراً مـن أخلاقيـات العولمـة السياسـية والعسكرية التي تحكمها المصالح والرغبة في المزيد من الأربـاح وامـتلاك ناصـية الاقتصاد والسياسـة في العـالم وتحكمهـا قـيم السـوق وأخلاقياتـه القائمـة علـى التنافس بل الاحتكار بدلا من القيم الاخلاقيه النبيلة ، أن هذا السيناريو يسـحق الإنسان ويدمر حياته وخاصة الإنسان الضعيف الذي لا حول له ولا قوة وذلك من خلال سحق الـدول الضـعيفة، واسـتغلال خيراتهـا ومقـدراتها فـأين هـي حقوق الإنسان في ظل هذه الحرب السوداء التي ليس لها وقوَد إلا الإنسان الذي يموت من الجوع والمرض والهدم والتشريد ويفقد ابسط مقومات الحياة الإنسـانية الحرة الكريمة إلا وهي حق الحرية الشخصية ، وحق التعليم ، وحق الرأي وحرية التعبير ، وحريته من قيود الاعتقال والتعذيب...الخ.

المبحث الثاني

أخلاقيات العولمة الاقتصادية

إن الوجه الرئيسي للعولمة – كظاهرة- هو وجه اقتصادي بالدرجة الأولى حيث أن تحرير التجارة والسوق وانفتاح الحدود وتعاظم دور الشركات المتعددة الجنسية وإنهاء سيطرة الدولة ألقوميه على الاقتصاد وذلك من خلال خصخصة الشركات والقطاعات الحكومية هي كلها ملامح الوجه الاقتصادي للعولمة.

أن تطور التكنولوجيا وتسارع وتيرة التقدم العلمي وخاصة في مجال الاتصالات والمواصلات قد خلق الفجوة والفارق وقرب المسافات بين طرفي الكرة الأرضية مما سهل على البشر الحصول على ما يحتاجون وما يريدون من سلع وبضائع وخدمات فعزز ذلك النزعة الاستهلاكية الجامحة وحولها إلى صفة شهوانية بغيضة الغاية منها تحقيق المزيد من الربح والأموال ، أن هذه الظاهرة قد حولت كل شيء في الوجود إلى سلعة تخدم أهداف ماديه ومالية بالدرجة الأولى دون اعتبار للقيم الإنسانية والأخلاقية واهم هذه السلع هو الإنسان الذي بداء يتعرض للاستغلال والمضايقة والطرد من العمل والاتجار به حيث أن تطور تقنيات الصناعات وتقدمها ساهم في الاستغناء عن مئات الألوف من العمال مما ترتب عليه جيش كبير من العاطلين عن العمل الذي يتحولون إلى فريسة سهلة وتربة خصبة للإجرام والاستغلال . ([1])

إن الرغبة الجامحة لدى الشركات المتعددة الجنسية دفعها إلى تخفيض أجور ومرتبات العمال والموظفين وتقليص الكثير من المزايا والخدمات التي تقدم لهم مما خلق طبقة عالية هائلة من الفقراء الذين كان لهم دور كبير في زيادة غنى الأغنياء من خلال جهودهم وعملهم أملاً في اجتياز خط الفقر، فازداد الغني غنى وازداد الفقير فقراً مما وسع الفجوة بينهم وجعل ردمها عملية تتطلب جهوداً دولية شاقة وتنازلات كبيرة من قبل القوى الرأسمالية المستغلة، حيث

([1]) انظر: د. طلال عتريسي ، **العولمة والأخلاق ، أي رهان مستقبلي** ، على الموقع الالكتروني ، ***www.Islamset.com***

تشير تقارير البنك الدولي إلى أن أكثر 1/6 سكان العالم يعيشون على أقل من دولار يومياً وأن نحو 10 ملايين طفل توفوا عام 1999 تحت سن الخامسة غالبيتهم بسبب الأمراض يمكن الوقاية منها ، وأن 113 مليون طفل لا ينتظمون في المدارس ومقابل ذلك يبلغ نصيب الفرد في البلدان الغنية عشرة أضعاف نصيب الفرد في البلدان الفقيرة ، وأعلنت (اليونسف) أن نحو 18 مليون طفل يعانون من الفقر في 27 دولة في أوروبا الوسطى والشرقية وحدها رغم انتقالها وقبل عشر سنوات إلى نظام اقتصاد السوق الحر ([1]).

وفي ظل هذا الوجه الاقتصادي للعولمة أثره العالم نحو المزيد من الفقر حيث يعاني 840 مليون نسمة من الجوع وبليون آخرون يعانون سوء التغذية، أما الثروات فإن 1/5 سكان العالم يعيشون في أعلى البلدان دخلاً ويحصلون على 86٪ من الناتج الإجمالي وعلى 82٪ من صادرات العالم 86٪ من الاستثمارات الأجنبية و 74٪ من خطوط الهاتف في العالم أما 1/5 السكان ممن يعيشون في أشد البلدان فقراً فإنهم يحصلون على 1٪ فقط من الناتج الإجمالي العالمي([2]) .

أن الفجوة بين الأغنياء والفقراء في هذا العالم الرأسمالي (المتعولم) تزداد أو تضطرد والناظر في الأرقام يصاب بالذهول والدهشة ومن الأمثلة على ذلك وهي كثيرة : "أن البنك الدولي نشر دراسات ميدانية تدل على هبوط الدخل بشكل مخيف حيث أن الأسر التي كانت تحصل على 10 آلاف دولار كدخل سنوياً هبط بعد 3 سنوات إلى ستة آلاف وتسعمائة دولار في أمريكا عام (2000) ، أما الأسر التي كان دخلها(100) ألف دولار أصبح دخلها السنوي 30 ألف دولار ، كذلك فلنعلم ان هناك أكثر من 40 مليون شخص في الولايات المتحدة لا يغطيهم التأمين الصحي .([3]

([1]) فمثلا تم الاستغناء عن 3800 وظيفة في بريطانيا بسبب شراء شركة British Airways لشركة (ماركوني إلكتريك سيمنز)وإغلاق فرعين كاملين لها أصبحت الشركة ثالث شركة دفاع وطيران في العالم وثاني شركة في مجال الدفاع . (انظر محمد حسين صافي ،مصدر سابق ،ص 87).

([2]) محمد فائق ، مصدر سابق .

(3) محمد الصافي, انهيار- الرأسمالية- النصوص القادمة , مصدر سابق , , ص 85-90

ويظهر التفاوت في الدخل بين أغنى بلد وأفقر بلد إذا ما علمنا انه في عام 1820 كان الفرق 1:3 ، وفي عام 1950 أصبح الفرق 1:35 ، وفي عام 1972 أصبح 1:44 وفي عام 1992 أصبح 1:72 وهكذا الفقر بازدياد واضطراد.([1])

أما من حيث الدول فقد اتسعت الفجوة بين الدول الغنية والفقيرة وانتقلت من نسبة 1:3 إلى نسبة 720 : 1واعلم أن هناك 20٪ من دول العالم هي الأكثر ثراء وتستحوذ على 84 ،7٪ من الناتج الإجمالي العالمي ويمتلك سكانها 85.5٪ من مدخرات العالم .([2])

أما بالنسبة لموضوع المناخ والبيئة والطبيعة فحدث ولا حرج ، أن التطور الاقتصادي العالمي قد ساهم في خلق مشاكل بيئية هائلة ومخيفة لدرجة إنها تهدد البشرية كلها بالفناء ، أولها ثقب الأوزون الذي اتسع ليصبح بمساحة كندا بل أكثر ، انه كارثة بيئية وخطر محق بالإنسان من خلال وصول الأشعة القاتلة لجسمه وطعامه .([3])

إن الأبخرة السامة المتصاعدة من مداخن المصانع العالمية المنتشرة هنا وهناك قد سببت ما يسمى بظاهرة (الاحتباس الحراري) التي ساهمت برفع درجة حرارة والأرض مما أدى إلى جفاف وموت المحاصيل الزراعية وعشرات الألوف من الحيوانات ، يضاف لذلك خطر ذوبان الثلوج من على الجبال الجليدية والذوبان قد يتسبب في غمر وإغراق وجرف قرى ومدن بأكملها ، وان هذه المصانع وخاصة الكيماوية منها تقوم بإلقاء نفاياتها في البر والبحر مما يؤثر

---

(1) المصدر سابق , ص87

([2]) طلال عتريسي ، مصدر سابق .

(3) نشرت وكالة الفضاء الأمريكية / ناسا صورة التقطتها عدسات مراقبة طبقة الأوزون عبر القمر الصناعي اورا (Aura) خلال الفترة من 21-30 أيلول 2006م تظهر اتساعاً هائلاً في ثقب الأوزون فوق القارة المتجمدة الشمالية الجنوبية إذ بلغ 10.6 مليون مربع وهذا الأكبر منذ تسجيل اكبر اتساع ثقب في التاسع من أيلول عام 2000م وكان 11.4 مليون ميل مربع , والمنطقة التي تسمى ثقب هي المنطقة التي تكون فيها كثافة غاز الأوزون متدنية لدرجة كبيرة جداً بما لا يكفي لتوفير الحماية اللازمة للأرض من تأثيرات الأشعة فوق البنفسجية الضارة من الشمس (نقلاً عن جريدة الرأي الأردنية العدد 13199 تاريخ 18/ 11/ 2006م .

على مياه الشرب النظيفة ويهدد البشر بالفناء نتيجة شربهم الماء الملوث بالمواد الكيماوية والنفطية ، يهدد كذلك الحياة البحرية والثروات الهائلة في البحار والمحيطات إضافة إلى التدخل في الجينات الوراثية للمخلوقات مما تسبب في أمراض جديدة لم تعرفها البشرية من قبل كجنون البقر وظهور مبدءا الاستنساخ وما يتبعه من أضرار أخلاقيه وبيئية ([1]).

أما خيرات الطبيعة والثروات البحرية فلم تسلم من الإبادة فقد أبيدت غابات بأكملها في الأمازون وفيتنام وكوريا لغايات وأغراض صناعية تهدف إلى تحقيق المزيد من الأرباح التي تذهب لجيوب الأغنياء فتزيدهم غناء وثروة وتزيد غيرهم فقراً وبؤساً .([2])

أين هي حقوق الإنسان في ظل الأخلاقيات الاقتصادية للعولمة ؟ ، أين هو حق الملكية وحق حرية التصرف ، حق العيش الكريم ، حق التمتع بالبيئة النظيفة ، حق التعليم حق الرعاية الصحية ، حق الضمان الاجتماعي ، حق العمل ، حق المساواة بين بني المبشر...... الخ أنها حقوق مهدورة وليس لها وجود في ظل الغشاوة التي يضعها العالم على عينية بهدف تحقيق مآرب المتنفذين فيه وزيادة أرباحهم ومكاسبهم على حساب الإنسان وحقوقه .

ويمكن تلخيص أثار هذه الأخلاقيات في ما يلي :

([1]) تبنت الأمم المتحدة في 9 آذار 2005 إعلانا غير ملزم يدعو الحكومات إلى حظر كافه أشكال الاستنساخ البشري بما فيها الاستنساخ لأغراض العلاج حيث تم إقراره بموافقة 84 بلد ومعرضه 34 وامتناع 37 بلد .(شعاع اليوسف ، مصدر سابق ، ص195) .

(2)-تشير الدلائل إلى أن الاستهلاك العالمي للطاقة سيبلغ عام 2020 ضعف الاستهلاك الحاضر وبالتالي سترتفع كمية الغازات الملوثة للبيئة بمقدار يتراوح بين 5 4 و50 ٪ (طلال عتريسي، مصدر سابق)

-تم الاشارة في موضع سابق إلى الدور الكبير الذي تلعبه الشركات المتعددة الجنسية في تلويث البحار والمحيطات والفضاء.

1- أن الغاية من النشاط الاقتصادي في ظل العولمة هو تحقيق المزيد من الربح والثروة والمكاسب واستخدام كل الوسائل المتاحة لتحقيق هذا الهدف ، بغض النظر عن حقوق الإنسان .

2- أن تحقيق المكاسب يتطلب السيطرة والهيمنة على الخيرات والثروات أينما وجدت وبغض النظر عن من يملكها مما شكل عاملاً هاماً للاعتداء على الشعوب واحتلال أراضيها واستغلال خيراتها من قبل قوى العولمة .

3- زادت العولمة الاقتصادية من شقاء البشر فيما يتعلق بزيادة الفقر والجهل والبطالة وزيادة الأعمال اللاأخلاقية في الأسواق العالمية كالربا والمضاربة والسمسرة المبنية على القمار واليانصيب والحظ وتجارة المخدرات والسلاح والجنس والدعارة فزادت ثروات المتلاعبين والأغنياء وسحق الصغار الذين لا يملكون الكثير .

4- أن أدوات العولمة الاقتصادية - والتي أهمها الشركات المتعددة الجنسية- هي أدوات ابتلاع لغيرها من الصناعات المتوسطة والصغيرة من خلال ما يسمى بعملية(الإدماج) والتي ستنتج جيوشاً من العاطلين عن العمل وإلغاء الكثير من الوظائف مع تحقيق المزيد من الأرباح على الطرف الآخر.

5- خلقت هذه السياسات الاقتصادية اللاأخلاقيه الفوضى والاضطراب في أنحاء مختلفة من العالم بسبب تكون الفرق المناهضة للعولمة والتي تقوم بالإضرابات والاحتجاجات والمظاهرات والتي تعطل الحياة وتتسبب بالفوضى واضطراب المعيشة ، والتي كان من أهمها المظاهرات التي تمت على اثر قمة (سياتل) عام 1999 والتي رفعت شعار (العالم ليس سلعة) والتي أراد المتظاهرون من خلالها أن يطلبوا من العالم الرأسمالي المتعولم أن يوقف إخضاع كل مقومات الحياة لمقتضبات السوق لأن الحياة أسمى من أن تباع أو تشترى (حق الحياة) ، وكذلك المظاهرات التي جرت في (سالزبورغ) في النمسا ضد اجتماع المنتدى الاقتصادي في 16 سبتمبر 2002.([1])

([1]) للمزيد عن هذا الموضوع يمكن مراجعه : شعاع اليوسف ، مصدر سابق ، ص91 .

وأخـيرا نـورد مـا قالتـه منظمـه العفـو الدوليـة في تقريريهـا الصـادر في 30/ 5/ 2001 رقم pol 10/005/2001 "أن العولمة- أي اتسـاع نطـاق اقتصـاد السوق الحر والتغيرات التكنولوجية - ، قد أدت إلى توسـع اقتصـادي هائـل ، ومع ذلك فقد صاحبها تزايد الديون والفقر واتساع التفاوت بين الدول ومضت تقول : "لقد أدى عدم الإحساس بالأمان الاقتصادي إلى اندلاع نزاعات داخلية في بعض البلدان وثبت خلاله عجز الحكومات عن حلها أو احتوائهـا ، إلا أن هذا لا يعني أن تكون القلاقل الاقتصادية ذريعة للتهرب من المسؤولية".

المبحث الثالث

أخلاقيات العولمة الثقافية والقيمية.

إن العولمة الثقافية هي أكثر ما يخيف ويرعب قوى مناهضه العولمة ، لان ثقافة الأمم و الشعوب والجماعات تكمن كقيمة راسخة الجذور في ضمير الأفراد وهي التي تشكل هويتها ورؤيتها للعالم وما فيه ، إن الأمم والشعوب تعتبر القيم الثقافية هي أسمى ما تملك ،لذا فهي مستعدة للدفاع عنها وحمايتها بكل ما أوتيت من قدرة وطاقه .

إن خصوصية الثقافة تتيح للأفراد التمتع بلغتهم ومعتقداتهم ودياناتهم وقيمهم وتشكل لهم شخصيتهم المستقلة عن غيرهم ، وهذا ما يشكل التباين بين بني البشر الذي أراده الله لهذه اللوحة الفسيفسائية البشرية اكتمالا لمبداء التعارف والتالف والتواصل والاتصال .

أن تطور شبكات الاتصال والمواصلات والتي من أهم أدواتها شبكة الانترنت والمحطات الفضائية والهواتف النقالة ، ساهم إلى حد كبير في التلاقح بين الثقافات وانفتاحها على بعضها البعض ، ولكن هذا الانفتاح له ميزاته الايجابية أن كان يؤدي إلى زيادة المعرفة والعلم لدى كل من الطرفين دون أن يمس بخصوصيات أي طرف أو الاعتداء على حقه في ممارسة خصوصيته الثقافية أو أن تطغى ثقافة امة من الأمم على غيرها من الثقافات .

إن العولمة الثقافية بصورتها الحالية لا تهدف إلى التلاقي والتلاقح والتعارف فحسب بل تريد أن تتفوق وتطغى على غيرها من خلال طرحها مواد إعلانية وإعلامية تهدف لتكريس قيم الاستهلاك لدى الشعوب المتلقية وترسخها ، فهي تهدف من جملة ما تهدف إلية إلى إشعار الإنسان بأنة غريب عن قضايا وطنه

وأمته وبلادة ، وبأنة عاجز ضعيف لا يقوى على المقاومة فتزرع في نفسه الرغبة الاستهلاكية ليس إلا .([1])

ويكفي أن نعلم أن 75٪ من البث في تلفزيونات العالم هو إنتاج أميركي وان 85٪ من البث السينمائي هو إنتاج أميركي ، وان الولايات المتحدة تملك 65٪ من المادة الإعلامية في العالم ، وأنها تصدر حوالي (120) ألف ساعة من برامج البث إلى أوروبا وإنها تنفق 330 مليار دولار للدعاية والإعلان لبث النمط الاستهلاكي وحمل الناس على الاستهلاك .

ويكفي أن نعلم أيضا أن فيلم واحد فقط هو فيلم (titanic) قد حقق 1 ،8 مليار دولار كأرباح عندما استخدم كسلعة كباقي السلع .([2])

تذكر إحصائيات منظمة اليونسكو أن شبكات التلفزيون العربية تستورد ما بين ثلث إجمالي البث كما هو الحال في سوريا ومصر ونصف الإجمالي كما هو الحال في تونس والجزائر و58٪ كما هو الحال في لبنان و96٪ من البرامج الثقافية ، أين هي الخصوصية الثقافية للشعوب والأمم ......!!! .([3])

أما شبكة الانترنت والتي سببت الإدمان لكثير من الناس وخصوصاً في العالم الثالث فإنها أصبحت بلا شك من اكبر وسائل العولمة الثقافية .

على هامش معرض هانوفر في ألمانيا للحواسيب (سيبت) الذي عقد في آذار 2003 قدر مركز شؤون الإدمان في (هامبورغ) وجود أكثر من مليون مدمن على شبكة الانترنت في ألمانيا وحدها ، (والإدمان الانترنتي) يسبب فقدان السيطرة على النفس مما يؤثر على كفاءة الإنسان وقدرته على العمل ([4]).

يجب أن نعلم أن معظم بث شبكة الانترنت هو باللغة الإنجليزية حيث تبلغ النسبة حوالي 88٪ مقابل 9٪ بالألمانية و2٪ بالفرنسية و1٪ لباقي لغات العالم ،

([1]) للمزيد يمكن مراجعه : عبد الله التركماني ، **اشكاليه الثقافه العربيه المعاصرة وافاقها المستقبلية** ، الموقع الالكتروني : .www.http//hem.bred band.net

([2]) محمد فائق ، مصدر سابق .

([3]) المصدر السابق .

([4]) شعاع اليوسف ، مصدر سابق ، ص ص157،158.

ألـيس في ذلـك خطـر محـدق بالخصوصـية الثقافيـة وخاصـة في المجـال اللغـوي للشعوب والأمم . ([1])

ولا شك بأن غالبية البث في هذه الشبكة يروج لقيم ومبادئ بعيدة عن قيم الأمم والشعوب وخاصة المحافظة منها، حيث نجد أن معظمها يمجد القتل والعنف والجنس ويروج للبضائع الغربية عموماً والأمريكية خصوصاً ، ناهيك عن دورها الكبير في تفسيخ الروابط الأسرية والعائلية لما تبثه المواقع الإباحية والخلاعيه ومواقع القمار والربا وغيرها من مضامين تتنافس مع القيمة الثقافية السليمة .

أما بالنسبة للهاتف المتنقل (الخلوي) فقد أدت ثورة الهائلة في تقريب المسافات واختصار الزمن وإدارة المصالح عن بعد ، إلا انه أسهم إلى حد كبير في التأثير على حقوق الإنسان وحرياته وخصوصيته حيث أدمن علية الكثير من الناس – وخاصة فئة الشباب – لدرجة الهوس حيث يتم من خلاله استنزاف الأموال الباهظة كفواتير شهرية أو أسبوعية لا يستطيع الشاب العاطل عن العمل دفعها مما يدفع به نحو مهاوي الجريمة والانحراف لتلبية متطلبات هذه التقنية ، ناهيك عن الانشغال لساعات طويلة بالمكالمات الخاصة وتبادل الرسائل بين الناس والتي قد تدفع –وفي إطار الأسرة– إلى سؤ ظن احد الزوجين بالآخر مما يهدد كيان الأسرة بالهدم والدمار والانهيار.

يضاف لذلك تقنية (Blue tooth) التي أصبحت سمة العصر والتي من خلالها يتلقى المستخدم عبر جهازه ما لا يرغب في تلقيه من مواد إباحية أو لا أخلاقية أو استهلاكية تزعزع الثقة بالنفس وانشغال الفكر والانصراف عن العمل والإنتاج والإبداع والتفكير إلى التخاذل والسقوط .

([1]) محمد مرهف حسين اسد ، مصدر سابق ، ص 45.
– لمعرفة مخاطر شبكة الانترنت وما تشكله من تحدي ثقافي –اجتماعي ، يمكن الرجوع إلى : ذياب البداينة ، مصدر سابق ، ص18–20.

إن الاعتداء عن حقوق وحريات الإنسان ضمن إطار العولمة الثقافية هو خطر ما قد يصيب بنيان هذه الحقوق والحريات لأن اجتياز هذا الجدار يعني انهيار المجتمعات الضعيفة والتي لا حول لها ولا قوة أمام تيار العولمة الجارف الذي يكتسح العالم شرقه وغربة.

والمسؤولية عظيمة تجاه مواجهة هذا الخطر الداهم فالأسرة والمدرسة مؤسستان كفيلتان - إن صلحتا- في الوقوف كحاجز صد أمام خطر العولمة الثقافية التي أصبحت تدخل البيوت والعقول بدون استئذان ، إن غرس القيم السامية النبيلة التي جاء بها الإسلام في النفوس لهو كفيل بتحصين أبناءنا وشبابنا من هذا الخطر البغيض الذي لا يرحم .

المبحث الرابع

المرأة وأخلاق العولمة

كلنا يعرف كيف احترم الإسلام المرأة وقدرها وأعطاها من الحقوق ما لم تعطها شريعة أو حضارة من قبل ، فهي في الإسلام ألام التي لا جنه بدون الجلوس تحت أقدامها، وهي الأخت الغالية التي يتباهى بها العربي المسلم الشهم الأصيل ، وهي البنت العطوف التي تحنو على والديها وتكون سبباً لدخولهم الجنة أن أحسنوا تربيتها والإحسان إليها ، وهي ألزوجه المصون التي تفرج الهم وتحفظ البيت وترعى الأسرة الصالحة .... وما أراد لها الإسلام إلا الكرامة والعزة وقدوتنا في ذلك نبي الهدى والرحمة علية الصلاة والسلام عندما كان خير الناس لأهلة .

عندما جاءت العولمة كمرحلة من مراحل التطور الإنساني حملت معها بذور التغيير للفرد والجماعة ، للصغير والكبير، للرجل والمرأة ، فلم يسلم احد من أن يصاب برياحها العاتية ، فالعولمة التي أحالت العالم إلى ساحة بيع وشراء (سوق) واستخدمت لذلك الوسائل الكثيرة المغرية وعلى رأسها المرأة واستغلت كل الإمكانات التي منحها إياها رب العالمين ، فاستخدمت جسدها كوسيلة دعاية وإعلان ووظفته لخدمة أغراض السوق وأخضعته لأليات العرض والطلب ضاربة بذلك كل القيم الأخلاقية والقيم السامية النبيلة التي تدعوا لاحترام المرأة وصيانتها بعرض الحائط . ([1])

إن العولمة وما حملت من علوم ومعارف وثورة هائلة في مجال التقنيات كان لها الدور الكبير في زيادة نسبة الأمية بين النساء في العالم حيث تشير الدراسات الصادرة عن اليونسكو وتقارير التنمية البشرية أن العالم يحتوي عن مليار و300 مليون فقير بينهم (900) ألف امرأة ، أي ما يعادل 70٪ من مجموع فقراء العالم،

([1]) للمزيد من المعلومات يمكن مراجعة : برهان غليون ، **العولمة الليبرالية التحديات والمخاطر**، الموقع الالكتروني : ***www.alsaafahat.net/index*** .

تشكل النساء نصف سكان العالم ويعملن 2/ 3 ساعات العمل ويأخذن 1/ 10 الأجور فقط ويحصلن على 1٪ من ثروة العالم فقط. ([1])

للنظر لوسائل الإعلام كافة وما تعرضه من دعاية وإعلان سواء على صعيد الموضة أو الماكياج أو العطور أو المساحيق أو الصابون أو المنظفات أو السيارات أو أنواع الطعام والشراب ...... الخ) وكل ما هو استهلاكي ، إنها تستخدم في كل دعاية المرأة كوسيلة للترويج والتسويق بهدف تحقيق المزيد من الأرباح وجني الثروات الطائلة دون اعتبار للقيمة الأخلاقية والإنسانية ، المرأة اليوم عرضة للاستغلال بل أنها أصبحت في مقاييس العولمة الرأسمالية سلعة تباع وتشترى فأعادتنا إلى ذاكرة التاريخ وأسواق النخاسة ، إنها سوق نخاسة عالمية دون ضوابط أخلاقية ، انه استغلال باسم التقدم والحرية يفرض على المرأة أن تتبرج وتتزين وان تظهر المفاتن والمغريات لكي تنفتح أمامها أسواق الدنيا كلها .

أشار مؤتمر الأسرة الذي انعقد في إطار الأمم المتحدة في حزيران 2005 إلى أن هناك مئات الألوف من النساء المستغلات جنسياً ويدفع بهن لممارسة الدعارة بأشكالها المختلفة ، وأشار تقرير حديث للمخابرات الأمريكية إلى أن أكثر من 50 ألف امرأة وطفل يتم دفعهم إلى السوق الأمريكية من آسيا وأفريقيا وشرق أوروبا بهدف ممارسة الدعارة والبغاء أو تهريب المخدرات ([2]).

وفي تقرير آخر للخارجية الأمريكية يوجد ما يقرب من 4 ملايين امرأة على نطاق العالم يدفعن سنوياً للدعارة أو العمل في المصانع لدرجة العبودية ، ويشير التقرير أيضا إلى انه في دولة واحدة هي الهند يتم إجبار (800) ألف سيدة على امتهان الدعارة والعمل في المصانع وكذلك الحال في الفلبين وتايلاند وكمبوديا وبعض الدول الأفريقية .([3])

([1]) مزن المرشد ، المرأة والعولمة ، الموقع الالكتروني لمركز عمان لدراسات حقوق الإنسان .

([2]) شعاع اليوسف ،مصدر سابق ،ص131.

([3]) المصدر السابق ،ص132 .

"تشير المصادر إلى أن التوصيات التي خرجت بها الدورة الخاصة للجمعية العامة المختصة بمتابعة توصيات المؤتمر العالمي للمرأة الذي عقد في بكين عام 1995 الى ضرورة إطلاق الحريات الجنسية لنساء العالم استناداً أن التقنيات الواقية من الحمل ودعت الورقة الأمريكية ألمقدمه ألى إباحة الإجهاض وتعليم المرآة الطرق الصحيحة للتخلص من الجنين إذ كانت لا تريد له الاستمرار ، أين هو حق الحياة والعدالة الإنسانية في كل هذا ؟؟؟ .([1])

استغلت المرأة كجسد يتم من خلاله تحقيق الثراء الاقتصادي ، فاستخدمت كعارضة أزياء وكرياضية رشيقة وكجسم نحيل رشيق خفيف لطيف ، كم هي الدعايات لمحطات الأزياء والرياضة والمساحيق والمعاجين التي تسبب النحافة والحصول على جسد رشيق ، كم هي دعايات الفيديو كليب التي تستخدم فيها المرأة اللعوب التي تهدف لإغواء غيرها من النساء بدفعهن لإنفاق الملايين من اجل الحصول على جسد رشيق خفيف حتى لو اقتضى الأمر إجراء عمليات جراحة للحصول على وجه جميل وجسد رشيق ، ففي الولايات المتحدة عام 1998 تم إجراء ما يقارب (3) ملايين عملية تجميلية للنساء ليس فيها عملية تجميل لتشوه واحدة .([2])

المرأة في ظل العولمة لم تعد نصف المجتمع الفاعل المتفاعل ، لم تعد العالمة والمفكرة والمنتجة وألام الحنون التي تصنع جيل المستقبل وتصنع أمجاد الأمم ولكنها أصبحت سلعة بمقاييس السوق الحر والحدود المفتوحة والشركات الكبرى ، فمؤتمر نيويورك عام 1997 اعتبر المرأة مخلوقة من الدرجة الثانية أليست هذه فضيحة إنسانية كبرى .([3])

([1]) للتوسع في هذا الخصوص : انظر المصدر السابق ، ص132.

([2]) مزن المرشد ، مصدر سابق .

([3]) شعاع اليوسف ،مصدر سابق ،ص139 .

العولمة والمرأة العربية:

إن المرأة العربية هي جزء من هذا العالم الذي بداء يشهد عولمة شاملة لكل مناحي الحياة فيه ، فقد رأينا أثار العولمة على الصعد كافة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والقيمية ..... الخ ، ولا نستطيع ان نغض الطرف عن أثار العولمة على أوضاع المرأة العربية التي هي جزء لا ينسلخ عن هذا العالم ، فهي تؤثر وتتأثر بما يحدث فيه ، وخاصة بعد ان أصبحت الوسائل الإعلامية المختلفة تتيح لها ذلك وبسهولة .

"لعل المثال الأكثر سطوعا للعولمة الايجابية،- أي النابعة من الالتقاء بين أجندة داخلية حقيقية تعكس حركة التحول المجتمعي المعبر عن خروج المرأة من العزلة التاريخية نحو الحرية من جهة، ونشوء المجتمع العالمي بوصفه إطار التفاعل والتضامن بين قطاعات الرأي العام العالمية عبر الحدود من جهة ثانية، - هو نمو الحركات النسوية وما ارتبطت به من نمو الهيئات والجمعيات المدنية الخاصة بالمرأة. فقد أحدث هذا الالتقاء طفرة حقيقية جعلت من الحركة النسوية نموذجا ناجحا للمجتمع المدني العربي، بل ربما النموذج الوحيد الناجع والناجح. في حين بقيت حركات حقوق الانسان والمنتديات الفكرية ضعيفة وهشة ومعزولة إلى حد كبير عن الجمهور الواسع.

فبعكس ما حصل بالنسبة للعديد من الفئات الاجتماعية الأخرى، يمكن القول إن القضية النسوية تشكل، مع مسألة الأقليات، أحد الملفات الاجتماعية الرئيسية التي استفادت من العولمة، وذلك بقدر ما أصبح التركيز على التمييز الحقيقي الموجه ضد المرأة وضد الأقليات في العقدين الماضيين مجال التأكيد الرئيسي للتضامن العالمي مع المجتمعات العربية والتشهير بنظمها الاجتماعية. وليس هناك شك في أن دعم قضايا تحرر المرأة قد جاء عند قطاعات واسعة من الرأي العام العالمي استجابة لدواعي أخلاقية تنسجم مع حركة الانعتاق العام وتعميم القيم الكونية وفي مقدمها المساواة بين الجنسين ورفض التمييز العنصري تجاه أي فئة اجتماعية، كما أن هذا الدعم قد استفاد من تطور الحركة النسوية

على الصعيد العالمي وداخل المنظمات الدولية، والواقع أن التعاطف الخارجي مع النساء والأقليات هو الوجه الآخر للمواجهة السياسية مع هذه المجتمعات والصورة السلبية التي تستبطنها قطاعات واسعة من الرأي العام العالمي تجاه العالم العربي وثقافته وقيمه التاريخية.

ومن هنا تبدو المفارقة كبيرة بين الانجازات الكثيرة التي حققتها المرأة العربية في العقود القليلة الماضية على أرض الواقع والفكرة التي أشاعتها الأبحاث والدراسات الاجتماعية عن حالة التخلف والقهر التي تعاني منها هذه المرأة نفسها. لا بل يبدو التناقض واضحا بين التأكيد الشائع على استمرار التمييز ضد المرأة ونتائج استقصاءات الرأي التي تظهر تشكل أغلبية ساحقة لصالح نهوض المرأة وتعميم مشاركتها في الشؤون السياسية والاقتصادية والثقافية عموما، وليس هناك شك في أن طفرة حقيقية قد حدثت في العقود الماضية في منظومة القيم العربية المتعلقة بموقع المرأة ومكانتها. هكذا شهد العقد الثامن من القرن الماضي تناميا مطردا للجمعيات التي تعنى بوضع المرأة العربية في معظم الدول العربية ،ونجحت العديد من الجمعيات النسوية، خاصة في بلدان المغرب العربي، في انتزاع هامش كبير من الاستقلالية ، مثل جمعية النساء التونسيات للبحث والتنمية في المغرب (1987) وجمعية النساء الديمقراطيات في تونس (1989) ومجموعة كبيرة من الجمعيات النسوية المستقلة في الجزائر. ويقدر التقرير الرابع للتنمية الانسانية للمنطقة العربية الخاص بالمرأة أن القسم الاكبر من الجمعيات المدنية التي تكونت في العقدين الماضيين والبالغ عددها 225000 جمعية يعود إلى جمعيات نسائية. فقد بلغت نسبة هذه الجمعيات 45٪ في اليمن 42٪ في فلسطين و18٪ في مصر. وتوجت هذه الحركة بتأسيس منظمة المرأة العربية عام 2002 بإشراف الجامعة العربية وانضمت إليها 15 دولة عربية.

وقد ساهم نشاط هذه الجمعيات إلى جانب جمعيات حقوق الإنسان في نشر صورة أكثر موضوعية عن معاناة المرأة العربية ودفع إلى تغيير القوانين الشخصية والمدونات المتعلقة بالأسرة، في صالح تحسين أوضاع المرأة وإزالة بعض

الإجحاف بحقها. وقد تم تبني مدونة جديدة بالفعل في المغرب في 3 فبراير 2004، تقر التكافؤ بين الزوجين والمساواة بين الرجل والمرأة ومنع تعدد الزوجات إلا بترخيص من القاضي وولاية المرأة على أبنائها واعتبار الطلاق من مشمولات القضاء، وقامت الجزائر بتنقيح قانون الأسرة في الاتجاه نفسه عام 2005 فأقرت مبدأ المساواة بين الرجل والمرأة. وفي مصر أقر القانون الجديد لعام 2001 حق المرأة في الخلع وفي السفر والسماح لها بإكساب أطفالها من أجنبي الجنسية المصرية. ورفع الأردن سن الزواج إلى 18 عاما بالنسبة للزوجين .وحتى في الدول الخليجية التي لا تزال جامدة تماما في هذا الميدان تزدادا الضغوط الداخلية والخارجية لتحرير المرأة من القيود الشديدة التي تكبلها. فقد تم إنشاء المجلس الأعلى للمرأة في البحرين عام 2001 ، ومديرية عامة للمرأة ومراكز للتأهيل النسائي في سلطنة عمان والمجلس الأعلى لشؤون الأسرة في دولة قطر.

وبالرغم من أن مشاركة النساء في النشاطات العمومية والسياسية منها بشكل خاص لا تزال محدودة في البلاد العربية، بالمقارنة مع بقية الكتل النامية في آسيا وأفريقيا جنوب الصحراء وأمريكا اللاتينية، إلا أن تقدما ملحوظا بدأ يظهر في السنوات الأخيرة في هذا المجال. ففي المغرب ارتفعت نسبة النائبات في المجلس النيابي من 1٪ عام 1995 إلى 11٪ في انتخابات عام 2003 فكون البرلمانيات كتلة من 35 نائبة. وفي الأردن، ارتفعت النسبة نفسها من 2.5% عام 1995 إلى 5.5٪ عام 2003. وارتفعت في البرلمان التونسي من 6.8٪ عام 1995 إلى 11.5٪ عام 2003 ثم إلى 22.8٪ عام 2004. وتبلغ في سورية 12٪.

وكذلك الحال في انتخابات المجالس المحلية. فقد حصلت النساء الفلسطينيات على 17٪ من مجموع المقاعد البالغ عددها 306 في انتخابات 2004. وتشغل أربع نساء منصب عمدة في مصر واثنتان في لبنان. وتحتل 35 امرأة مناصب في المجالس المحلية في السودان، منذ عام .1999 وبالمثل تحتل 62 امرأة جزائرية مناصب في المجالس المماثلة.

وفي الكويت تم تعديل قانون الانتخابات البرلمانية في مايو 2005.ليسمح للنساء بالمشاركة بالانتخاب والتصويت ولكن لا تتعدى نسبة البرلمانيات حتى الآن 2.9٪ في مصر و2.9٪ في عمان و0.3٪ في اليمن.

وقد ارتفعت مشاركة النساء في الاقتصاد وسوق العمل بشكل بارز في العقدين الماضيين. وبلغت نسبة الزيادة في هذه المشاركة 19٪ مقارنة ب3٪ للعالم أجمع ، ومع ذلك فهي تظل ضعيفة نسبيا إذ لم تتجاوز مساهمة الإناث، من 15 عام فأكثر، إلى مساهمة الذكور عام 2003 نسبة 33.3 %بينما يصل المتوسط العالمي إلى 55.6٪. وهي تأتي في آخر مرتبة بعد نساء أمريكا اللاتينية والكاريبي وتقل كثيرا عن مساهمة المرأة في شرق آسيا والباسيفيكي حيث تبلغ 68.9٪. كما أن مشاركة المرأة في العمل نسبة إلى مشاركة الرجل لا تتجاوز42% ، وهي الأقل في العالم أيضا حيث تبلغ 83٪ في شرق آسيا والباسيفيكي و73٪ في أفريقيا جنوب الصحراء بينما يبلغ المعدل العالمي 69٪. وتبلغ مشاركة المرأة الاقتصادية أعلى نسبها في موريتانيا 36.1٪ تليها قطر (42.6٪) والمغرب (41.9٪). ومع أن نسبة الزيادة في مشاركة المراة في السعودية والأردن وعمان قد ارتفعت بين 1990 و2003 بنسبة 50٪ إلا أنها لا تزال تقل عن 30٪ .

وتشير إحصاءات التقرير ذاته للعام نفسه إلى أن النساء العاملات لا يتمتعن بالمساواة في الأجر ولا بفرص متساوية في الترقي الوظيفي وأن الفارق في الأجر قد تدهور مع الزمن.

وبشكل عام، لا تعكس معدلات تقلد المرأة المناصب الرسمية، من وزارة أو نيابة أو عضوية مجالس محلية أو قضاء، بالضرورة مشاركة فعلية للمرأة في القرارات السياسية وفي السلطة التشريعية أو التنفيذية أو القضائية بشكل عام. فلا تزال هذه المشاركة شكلية إلى حد كبير، تخضع لاعتبارات مختلفة."

إن تمكين المرأة أصبح، جزءا من برنامج التكيف مع العولمة الثقافية.التي لا يستطيع احد تجاهلها او التغاضي عنها . ([1])

مما سبق يبدو لنا أن قضية المرأة في ظل العولمة موضوع هام وقضية تستحق الانتباه إليها ، لأن المرأة عماد الأسرة وعمودها الفقري وفساد المرأة وضياعها يعني ضياع الأسرة ثم المجتمع ثم الأمة بأسرها ، إننا وخاصة في بلاد العرب والمسلمين يهمنا كثيراً أن تبقى المرأة سلمية معافاة من أمراض العولمة الأخلاقية بعيدة عن المقاييس المادية للحضارة بعيدة عن مقاييس الربح والخسارة وعن كونها سلعة تباع وتشترى عبر الحدود المفتوحة وفي الأسواق العالمية الحرة ، أن المطلوب هو جهود مشتركة لحماية المرأة من الملوثات الحضارية المعولمة والقيام ببعض الخطوات العملية الهامة في هذا المجال والتي من أهمها :

1- تعليم المرأة التعليم السليم المبني على الأسس الدينية الإسلامية والأخلاقية الصحيحة ، لان التعليم هو طريق إلى معرفة الله والخوف منه .

2- تعزيز انتماء المرأة لدينها وعروبتها والتوضيح لها أن انسلاخها من جلدتها وتقليد غيرها هو في غير مصلحتها وانه طريق هلاكها ودمارها .

3- التركيز على الأسرة كلبنه هامة من لبنات بناء المجتمعات الصالحة ، لان المرأة الصالحة تعني الأسرة الصالحة والأسرة الصالحة تعني المجتمع الصالح ومن المجتمع الصالح تخرج الأمة الصالحة التي تأمر بالمعروف وتنهى عن الخطأ والمنكر.

4- يجب أن تعلم المرأة أن لها خصوصية ثقافية وحضارية وتاريخية يتمنى غيرها أن يكون له مثلها ، وتعزيز ثقتها في هذه الخصوصية .

5- يجب أن تعلم المرأة أن دعاة التحرر - بل التحلل - لا يبغون إلا أن يشاهدوا المرأة جسداً عارياً يتمتعون به وسلعة رخيصة يشترونها كما يشترون أي

([1]) للمزيد من المعلومات يمكن الرجوع الى : د. برهان غليون ، **العولمة الليبراليه ، التحديات والمخاطر،** على الموقع الالكتروني:www.alsafahat . net . تاريخ 8/ 11/ 2006 .

شيء استهلاكي رخيص ويبيعونها عندما ينتهي عبثهم بها لغيرهـم لكـي يكمـل المشوار وفي ذلك امتهان واحتقار وانحطاط لكرامتها وقيمتها.

6- وأخيرا يجب أن تعلـم المرأة أن الله مطلع عليها ، وانه جل في أعـلاه لا تخفـى علية خافية ، فلنتقي الله في أنفسنا وفي نساءنا ونعمل على حمايتهن من ملوثـات العولمة .

الفصل السابع

تحديات العولمة وكيفية التعامل معها

- التحديات ألاقتصاديه
- التحديات الثقافية
- التحديات السياسية

الفصل السابع

المبحث الأول

تحديات العولمة وكيفية التعامل معها

أدركنا ومن خلال ما سبق بان العولمة هي أمر واقع لا محالة لا يجدي معه الانكفاء على الذات والتقوقع على النفس وإغلاق الأبواب والنوافذ لكل ما هو قادم من وراء المحيط ، على اعتبار انه ضار ومهلك ، بل يجب علينا كعرب ومسلمين ونحن نمتلك مقومات أعظم حضارة عرفها التاريخ أن نكون فاعلين ومتفاعلين نواكب العصر ونجاري التطورات الهائلة في مجال العالم والتكنولوجيا ونسخرها لخدمتنا وخدمة مجتمعاتنا وقضايانا والنهوض بالصعد كافة الثقافية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية والتعليمية والتربوية .... الخ صعودا متوترا إلى الأعلى حتى لا نبقى في ذيل القافلة ، والعولمة كظاهرة تشكل – ليس لنا فحسب- بل للعالم كله تحديا يجب التعامل معه بحذر وبدقة وبكاء وعقلانية ، والاهم من ذلك بواقعية ، وذلك حفاظا على خصوصية مجتمعاتنا العربية والإسلامية ، فنأخذ ما يناسبنا ونطرح ما لا يتوافق مع خصوصيتها الدينية والثقافية والاجتماعية ، بعيدا عن التزمت والتعصب الذي لا يجدي نفعا سوى انه يزيد من تخلفنا تخلفا ومن تأخرنا تأخرا .

والتحديات الجديدة التي فرضتها العولمة على مجتمعاتنا كثيرة ومتنوعة وتشمل المجالات الاقتصادية والثقافية والسياسية .... الخ، ولنتناول بعضا منها مع وضع مقترحات متواضعة للتعامل معها :([1])

١.التحديات الاقتصادية :

يمتلك العالم العربي والإسلامي من الخيرات والمقومات الاقتصادية ما لا يملكه أي جزء من هذا العالم ، حيث يمتلك الوطن العربي والإسلامي ما يزيد

([1]) للمزيد راجع : برهان غليون ، العولمة الليبرالية ،التحديات والمخاطر ، الموقع الالكتروني www. Alsaafahat.net/index:

عن 70٪ من الاحتياطي العالمي للبترول الذي هو عصب الحياة المدنية الحاضرة وهذا بحد ذاته سلاح فعال ليس بعده سلاح لو استخدم استخداما صحيحا.([1])

ويمتلك الوطن العربي ما يزيد عن 42٪ من احتياطي العالم من الغاز الطبيعي الذي هو من أهم بدائل البترول ، إضافة الى الكثير من الموارد الأولية الهامة كالفوسفات الذي يبلغ نصيب العالم الإسلامي منة حوالي 80٪ مما يمتلكه العالم ، إضافة إلى امتلاك الأرض العربية والإسلامية لمعادن هامة ونفيسة كالذهب والنحاس واليورانيوم والماس والحديد .... إضافة إلى أن الأرض الزراعية العربية أراضي خصبة حيث ساعد تنوع المناخ على نمو الكثير من المحاصيل التي لأتكون بنفس جودة المنتج العربي الإسلامي في أي مكان أخر في العالم، كالشاي والقطن والبن والمطاط والقمح... رغم هذا وذاك إلا أن العالم العربي والإسلامي يعاني من الفقر والعجز وذلك مردة لسبب بسيط وهو أن قراره السيادي ليس بيده على كل ما يملك من خيرات وموارد .

وفي هذا المجال فان من ابرز التحديات التي قد تواجهها امتنا العربية والإسلامية ما يلي :

1. ضعف التعاون الاقتصادي البيني بين الدول العربية والإسلامية واتجاهها في هذا المجال نحو الغرب ، مما يستنزف أموالها ومواردها بدلا من استخدام هذه الأموال لتعزيز اقتصاديات بعضها البعض

2. ضعف القرار السيادي – بل انعدامه- على الموارد الرئيسية الهامة كالبترول وجعله رهينة بيد الشركات الغربية والأميركية خصوصا مما يجعل الدول العربية دولا ريعيه فقط بينما العائدات المالية الكبيرة ترجع لجيوب هذه الشركات ذات المنشاء الغربي والأميركي

3. عدم وجود تكتل اقتصادي إسلامي عربي قوي في مواجهه التكتلات الاقتصادية العالمية كالسوق العربية المشتركة او السوق الإسلامية المشتركة .

([1]) محمد مرهف حسين اسد ، مصدر سابق ، ص83.

4. تراكم الديون على الدول العربية والإسلامية لصالح صندوق النقد الدولي والبنك الدولي ونادي باريس وغيرة من المؤسسات المالية العالمية .([1])

5. ان اضطراب الأوضاع السياسية في معظم البلدان العربية والإسلامية يؤدي الى انعدم الأمان الاقتصادي في البنوك والبورصات والمؤسسات المالية العربية والإسلامية ، مما يؤدي الى هجرة رؤوس الأموال العربية الى الخارج مما يشكل دعما لاقتصاديات الدول المتلقية لهذه الأموال واستنزافا لاقتصادياتنا ، حيث قدرت الأموال العربية في البنوك الغرب بما يزيد عن 800 مليار دولار !!.

6. النزعة الاستهلاكية لدى مجتمعاتنا تجاه الصناعات الغربية مما يدعم صناعات الغرب ويجعل صناعاتنا ضعيف وهشة .

7. ان الخوف من نتائج الانفتاح تجاه السوق العالمي وانعدام البنية التحتية للتنمية الاقتصادية والبيئة المناسبة لذلك يؤدي إلى التراجع الاقتصادي والتخلف التنموي.

8. الخلافات السياسية (الداخلية والخارجية) عامل هام من عوامل التردي الاقتصادي العربي .

ان التحديات الاقتصادية التي تواجه الدول العربية والإسلامية في ظل أجواء العولمة السائدة كثيرة إلا ان هذه الملامح قد تكون أبرزها وأخطرها مما يستدعي منا جميعا الوقوف بحزم والتصدي لها لإعادة الأمور في بلادنا الى نصابها لكي يعم الخير على الإنسان العربي والمسلم ويعيش بكرامة وعزة وليعود لممارسة دورة الإنساني في هذا الكون .

([1]) يزيد حجم الديون العربية الخارجية عن (570) مليار دولار وتدفع الدول العربية غير النفطية ما يقارب مليون ونصف دولار كل ساعة سدادا لهذه الديون.

ب. التحديات الثقافية: [1]

من التحديات الخطيرة التي تواجه الأمة الإسلامية هي التحديات الثقافية والحضارية وذلك لإدراك صناع العولمة ومشجعوها ان الثقافة عند الشعوب هي من أهم مقومات الحياة واستمرارها وتميزها ، وأنة عندما تتم عولمة الثقافة فان بقي الأمور تكون سهلة التطويع والمنال ، ولذلك عمدت الدول الساعية لعولمة العالم إلى غزو ثقافي يستهدف العلم والمعرفة والوعي والإدراك والسلوكيات لأنها مداخل ثقافة وحضارة أي شعب أو امة وان كل ما عداها سهل وهين ، وتتجلى التحديات التي تواجه الأمة في هذا المجال بما يلي :

1. زعزعة ثقة الأمة بثقافتها العربية والإسلامية وخاصة النشء الجديد وذلك من خلال وسائل الإعلام المختلفة والمتاحة في كل وقت وحين والتي تحمل معها الدسم المحشو بالسم .

2. انتشار المفاهيم والقيم الغربية المنافية لقيمنا وعاداتنا العربية والإسلامية بين أبناء الأمة مما يفقدهم الثقة بثقافتهم وحضارتهم ، وسيادة نموذج الثقافة الغربية وتلاشي الثقافة العربية والإسلامية مما يسهل عملية الاختراق الثقافي التي يتبعها عملية التبعية الحضارية التي تقضي على الخصوصية الثقافية للأمة – وهذا ما تم بالفعل –.

3. ممارسة عملية الطعن بالقيم والمفاهيم الدينية والتربوية من خلال إلصاق التهم بالإسلام والمسلمين ووصفهم بالتطرف والإرهاب والأصولية ، وبيان ان حضارتهم قامت بحد السيف والقتال وإقصاء الأخر ونبذ الحوار .

4. اختراق المناهج المدرسية والجامعية والوصول الى النظم التعليمية والتربوية وجعلها متناغمة مع قيم الغرب وعاداته بعيدا عن الخصوصية الحضارية والثقافية

([1]) للمزيد يمكن مراجعه : عبد الله تركماني ، إشكالية الثقافة العربية المعاصرة وآفاقها المستقبلية ، الموقع الالكتروني : ***http//www.hem.bred band. Net***

– ان الثقافة العربية تواجه نوع أخر من التحدي ، هو التحدي التكنولوجي الناتج عن العولمة ، وللمزيد في هذا الإطار يمكن مراجعه : نبيل على ، *العرب وعصر المعلومات* ، سلسلة عالم المعرفة ، العدد 184ن أبريل 1994.

للأمة ، وذلك من خلال التقليل من شان اللغة العربية وبيان أنها لغة لاتجاري ولا تستوعب التطورات الهائلة في مجال العلم والتكنولوجيا ، وتعزيز اللغات الأخرى وخاصة الانكليزية وجعلها شرطا من شروط الوظيفة والمنصب والعلم وارقي لا يمكن التخلي عنة .

أدرك صناع العولمة أهمية الثقافة ودورها في صناعة الشعوب لذلك سعي الغرب الى إتباع عدة طرق وأساليب من اجل عولمة ثقافتنا العربية والإسلامية وتحويلها الى ثقافة متناغمة ومنسجمة مع ثقافة الغرب وذلك لإنشاء جيل يتقبل الغرب وما يأتي من عنده بسهولة ويرفض ثقافته وحضارته ولغته ويعتبرها عقيمة وقديمة وغير مجدية في ظل هذا التسارع الهائل للعلم والتكنولوجيا ، وهذا بحد ذاته الطريق السهل والميسر للغزو الثقافي الذي ينتج عنة الاختراق والتبعية الحضارية ، مما يؤدي الى السيطرة على عقول أبناء الأمة وإعاقتهم عن القيام بواجبهم الحضاري والإنساني.

ج. التحديات السياسية والامنيه :

تواجه الأمة على الصعيد السياسي تحديات كبيرة وكثيرة سببت لها المصعب والمتاعب وجلبت لها الويلات والدمار وحرمتها من الأمن والاستقرار ومن ابرز هذه التحديات :([1])

1. الهيمنة الغربية عموما والأميركية خصوصا على القرار السياسية للأنظمة العربية والإسلامية ، ويبرز ذلك واضحا من خلال الإحداث اليومية المستمرة إلى تشهدها بلادنا والتي تجعل الدول العربية والإسلامية لاحول لها ولاقوه أمام أميركا وحلفائها .

2. سؤ وتردي الأوضاع الأمنية في البلاد العربية والإسلامية وذلك لكثرة بؤر الصراع في أعماقها ، فمن الصراع العربي الإسرائيلي إلى العراق وحمامات الدم

([1]) للمزيد راجع : برهان غليون ، مصدر سابق .

- للمزيد ايضاً راجع : ذياب البداينة ، مصدر سابق ، ص10-29.

اليوميـة إلى أفغانسـتان الى الأوضـاع المتريـة في كشـمير والشيشـان والصـومال والسودان والجزائر إلى الصحراء المغربية ... الخ كلها بـؤر صـراع منهـا مـا هـو مشتعل ومنها ما هو في حالة انتظار ، مما يجعل المواطن في هذه البلاد في حالة من الخوف والتردي والتشرد .

3. الانشطار والتفكك الإقليمي بـين أجـزاء العـالم العربـي والإسـلامي وذلـك بسبب اختلاف المصالح والولاءات السياسية ، إضافة الى الخلافات العميقة الـتي تدب بين أوصال هذه الدول مما يعزز ويكرس تفككهـا وانقسـامها ، وهـذا بحـد ذاته مظهر من مظاهر الضعف والخذلان .

4. عدم وجود مرجعية سياسية عربية وإسلامية تدافع وتطالب وتنادي وتحقق ما تصبو آلية الأمة من وحدة وقوة ، وذلك ان جامعة الدول العربيـة ليسـت بحالـة صحية جيدة وان وجودها وأثرهـا يكـاد يكـون معـدوما علـى الصـعيد العـالمي والدولي او حتى الإقليمي .

5. ان الهيمنة الأميركية على هيئة الأمم المتحدة يشكل تحديا سياسيا كبيرا للعـالم عموما وللعرب خصوصا وخاصة ان معظم قراراتها تصب في مصـلحة خصـوم الأمة وأعدائها ، وذلك بسبب ممارسة أسلوب المعايير المزدوجة في تطبيق قرارات الشـرعية الدوليـة ، وهـذا يتجلـى واضـحا في قراراتهـا فيمـا يتعلـق بالقضـية الفلسطينية والعراق وليبيا وغيرها .

وأخيرا وليس أخرا نقول ان التحديات التي تواجه الآمة كثيرة ومتنوعة ولعل مـا ذكرناه آنفا هو أبرزها وأوضحها ، وهـذه التحـديات تفـرض علـى الأمـة اتخـاذ خطوات جريئة وقوية للنهوض من كبوتها ومعاودة دورها الطليعي لتكـون كمـا وصفها رب العزة جل وعلا في محكم التنزيل بقولـة : "**كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر**" صدق الله العظيم .

المبحث الثاني

الخطاب العربي الإسلامي وتحديات العولمة

إن أمتنا اليوم – وفي ظل هذا التشابك الرهيب في العلاقات الدولية، وطغيان المصالح عليها ، واضطراب أحوال الكون ، وولوج البشرية مرحلة جديدة من مراحل حياتها –بحاجة إلى ان تحتل موقعها الذي تستحقه في المصفوفة الكونية ، ويجب أن تأخذ حقها على خارطة الكون ،لا أن تظل مهمشة منسية تنهش بها القوى الطامعة ،تنهب خيراتها وتستغل امكانياتها وتشرم اوصالها وتفكك بنيانها ، وتهدم أساساتها لكي لا تقوى على الحراك والاستيقاظ ، لذا فان الواجب يحتم على كل فرد فيها ان لا يعتبر نفسه شيئا بسيطا لا قيمة له ، بل يجب أن يشعر أنة جزء من الحل وانة يشكل رقما هاما لا يستطيع العالم تجاهله والتغاضي عنة ، وان أولى الواجبات في هذا المقام هي : أن يعرف العالم كله من شرقه الى غربة حقيقة العروبة والإسلام ، ويدرك اهميتها ويعلم ان العالم لا يستطيع تجاوز العرب والمسلمين مهما وصل من التطور والتقدم ، فهم خاصرة الحضارة واصل العلوم ، وعلى زوايا عالمهم ستنهض البشرية من كبوتها الغارقة في المادية لتجد ان هذة الأرض بكل ما تحتويه هي الحل القادم ...!!

ولكن السؤال المهم الذي يطرح نفسه هنا : ما هو السبيل الى ذلك ؟ وما هي الطرق والوسائل التي يتوجب إتباعها لإيصال رسالة الأمة إلى الأخر؟ ونجيب هنا بان الحل بأيدينا وبين ظهرانينا ، وهو الخطاب العربي الإسلامي الناضج الحضاري الواعي المتحضر المنطلق من الثوابت العربية الإسلامية والقيم العليا لهذه الأمة ، وفي الصفحات القادمة ستتعرف على الثوابت والأسس والمرتكزات التي يتوجب ان ينطلق منها الخطاب العربي الإسلامي الى الأخر.

مفهوم الخطاب :

إن معنى الخطاب في اللغة العربية هو:" الكلام والرسالة ، وفصل الخطاب هو ما ينفصل بة الأمر من الخطاب" ([1]) وهو كذلك بمعنى :" الإفهام ،أي إفهام من هو أهل للفهم" ، وقد وردت هذة الكلمة في القران الكريم في عدة مواضع ، وهي تعني التكلم مع الأخر ، خاطبة أي تكلم معه بقصد بيان وجه الحق والصواب .

المفهوم الحديث للخطاب :

الخطاب هو اصطلاح فلسفي يعني : المنهج او ألطريقه التي يفكر بها فلان من الناس ، وهو أيضا تصوره في التعبير عن ارائة وافكارة ومعتقداته" .

وقد دخل هذا المفهوم إلى الفكر الإنساني عامة ، فهناك الخطاب السياسي والخطاب الثقافي([2]) والخطاب الإعلامي والخطاب الديني والخطاب الفني ، والخطاب قد يكون خطابا رسميا وقد يكون خطابا شعبيا ، وبناء على ما سبق فإننا نقول ان الخطاب العربي الإسلامي معناه" الطريقة او الوسيلة او المنهاج الذي يستخدمه العرب والمسلمون لإيصال أفكارهم وتصوراتهم وآراءهم ومواقفهم الى الآخرين" . ([3])

مرجعيات الخطاب العربي الإسلامي :

لاشك أن لكل امة خصوصية معينة تميزها عن غيرها، ولها مرجعيات وثوابت تنطلق منها في منهجها وتصوراتها وممارساتها ، وامتنا لها من كل ذلك

([1]) إبراهيم مدكور ، المعجم الوجيز ، القاهرة ،1989 ، ص 202 .

([2]) للمزيد عن تحديات الخطاب الثقافي العربي يمكن مراجعه : نبيل علي ، ***الثقافة العربية وعصر المعلومات*** ، سلسلة عالم المعرفة ، العدد 265 ، يناير 2001.

([3]) للمزيد في هذا الإطار يمكن مراجعه : عبد العزيز التويجري ، مصدر سابق ، ص 160 – 162 .

الشيء العظيم والمراجع الاساسيه الهامة ،التي تشكل منبع لمفردات خطابها الحضاري والإنساني، وان أهم منطلقات الخطاب العربي الإسلامي هي :

1. القران الكريم :

ينبغي ان يكون القران الكريم هو الهادي والمرشد الذي تترتكز علية مفردات الخطاب العربي الإسلامي ، لأنة دستور لا ياتية الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ففيه مفردات الخطاب السياسي والخطاب الإعلامي والخطاب الديني والخطاب الثقافي ... للامة ، وبالتالي فبان الأمة عند تصديها لتوضيح صورتها أمام العالم وبيان حقيقتها ، تستطيع تبين ان القران الكريم قد احتوى النصوص الكريمة الداعية لهداية البشرية وصلاحها ، مستخدمة أسلوب الدعوة بالحوار الهادئ الهادف المتمدن ، المتسم بالحكمة والموعظة الحسنة ، واللين واللطف والأخلاق العالية ، لان الإسلام ما جاء إلا بكل هذه المثل والمبادئ وغيرها من مكارم الأخلاق الأخرى ،لأنة في الأساس دعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي المنكر. وفي المبادئ الإسلامية من المرونة والسماحة ما يصلح المجتمع البشري كله، ويقدم له أصدق الحلول لمشاكله وقضاياه من خلال الإيمان بالله والأخلاق وقيام المسؤولية الفردية في ظل الإيمان بالبعث والجزاء.([1])

2. السنه المطهرة والسيرة النبوية العطرة :

إن تتبع الأمة لمسيرة نبيها والاهتداء بالطريق القويم الذي سار علية وتضمين ما جاء بة في مفردات خطابها إلى الأخر ، لهو ركيزة هامة ولبنة قوية في جدار بيتها ، فقيم الأخلاق الفاضلة كالصدق والأمانة والوفاء بالعهد والوفاء

([1]) للمزيد راجع : محمد اركون ، مقاربه الوعي العربي الإسلامي المعاصر ، في الموقع الالكتروني www.balagh.com،

– *للمزيد انظر : محمد عمارة ، العرب والتحدي ، سلسلة عالم المعرفة ، العدد29،ايار 1980* .

بالالتزام والرحمة والإخاء والتسامح والحوار.....الخ كلها قيم جسدها محمد (ص) في حياته الكريمة .

3. قيم الحضارة العربية الإسلامية :

إن ماضي العروبة وتاريخها حافل بالأمجاد والتراث العظيم الذي شكل حلقة هامة في سلسلة المعرفة الانسانيه والتراث الإنساني الى الابد ، فالعلوم والمعارف التي يتباهى بها العالم اليوم هي نتاج جهد عربي إسلامي ، إضافة إلى أخلاقيات العرب والمسلمين التي كانت مثالا يحتذى على مر الأزمان حيث كانوا أهل وفاء وصدق وحمية ونخوة وتسامح وعطف وكرم وشهامة ... الخ ، إضافة الى علاقاتهم السياسية مع غيرهم من دول الجوار ، والتي تشكل أسس ومبادئ عالية الرقي تصلح لان تكون مبادئ في العلاقات الدولية المعاصرة المبنية على المصالح فحسب ! .

مميزات الخطاب العربي الإسلامي :

لاشك ان خطاب أيه امة هو المعبر الحقيقي عن هويتها وتراثها وأصالتها وتميزها عن الآخرين ، والخطاب هو الناقل الرئيسي لهموم وقضايا الأمم والمدافع عن مصالحها وقضاياها وثوابتها ، والمبشر بأفكارها وتصوراتها والمعبر عن أمالها ، لذا فان لكل خطاب مميزاته وخصائصة التي تنسجم مع ثوابت الأمة وخصوصياتها ، لذلك فان الخطاب العربي الإسلامي يجب أن يحمل المميزات والخصائص التالية :

1. الارتكاز والانطلاق من ثوابت الأمة العربية والإسلامية التي لا تتغير ولا تتبدل ، ولا يجوز التهاون والتفريط بها ، على اعتبار انها هوية الأمة وخصوصيتها .

2. العصرية المنسجمة مع الثوابت والقناعات ، وفي هذا المقام يقول د. عبد العزيز التويجري: ان المناهج والأساليب تتجدد بتطور المجتمع وبنشوء ظروف جديدة تتطلب المسايرة والمواكبة والتكيف ، ولكن المضامين – في المنظور

الإسلامي – لا تتجدد إلا بالقدر الذي يزيدها وضوحا وإشعاعا وتـأثيرا "([1]) ، إن سرعه تغير الظروف الدولية سواء على الصعيد السياسـي او الاقتصـادي او التقني تفرض على الخطاب العربي الإسلامي سرعة التحرك والتطور ليتلاءم مع هذه التغيرات وإلا وجد نفسه مغردا خارج السرب ، إذن يجب ان يكون خطابـا ديناميكيا حركيا فاعلا .

3. ان النقطة السابق تنقلنا إلى نقطة أخرى وهـي المرونـة والتجـدد ليـتلاءم مـع البيئات المتغيرة ، والأحوال المتبدلة التي أصبحت لا تعرف الثبات والاستمرارية.

4. يجب ان ينسجم أسلوب الخطاب مع التوجيه الإلهي لهذه الأمة ولنبيها الكريم بدعوة الناس بالحكمة والموعظة الحسنة والجادلة بالتي هي أحسـن ، لكـي تصـل الرسالة المرجوة وتتحقق الغاية المطلوبة بكـل يسـر وسـهولة ، وكـذلك لضـمان قبولها من الأخر واقتناعه بها ، وهذا ينقلنا الى موضـوع أخـر وهـو أدب الحـوار الذي هو من أهم أخلاقيـات الإسـلام العظـيم ، بعيـدا عـن العنـف والتطـرف والتهور والاندفاع ، مع الالتزام بالوسطية والاعتدال في كل شيء.

5. أن يحمل قضايا الأمة وهمومها إلى الأخر ويجليها بكـل شـفافية ومصـداقية ، مستخدما الأسلوب العلمي المتميز الذي يرى انة الأفضل والأوضح .

6. أن تكون غايته هي الإصلاح والتجديد والارتقـاء بالأمـة ، ودفـع الشـبهات عنها لتأخذ دورها الحضاري والإنساني الذي ارادة الله لها .

الصعوبات والتحديات :

لاشك ان تغير الظروف العالمية وتسارع وتيرة الأحداث الدولية وتنوعهـا وظهور مفاهيم ومصطلحات جديدة في فضاء العلاقات الدولية وانعكاسها سلبا على واقع امتنا العربيـة الإسـلامية شـكل معضـلة رئيسـية تحـول دون وصـول خطاب الأمة الى الأخر وبالتالي ساد – او بداء يسود- منطق الصراع الحضـاري

([1])للمزيد انظر عبد العزيز التويجري ، مصدر سابق ، ص 163.
– أيضا يمكن الرجوع إلى :نبيـل شـبيب ، **الخطـاب الإسـلامي تطـوير أم استئصـال** ، علـى الموقـع الالكتروني : ***www.aljazeera.net***

بدلا من التحاور والتلاقي على قواسم مشتركة كثيرة تجمع بين بني الإنسان ، كل ذلك وغيرة من الظروف والعوامل الداخلية الأخرى شكل عامل تحدي للخطاب العربي الإسلامي وجعله خطابا هزيلا لا يصل مداه خارج الافواة ، لذا فإننا نستطيع ان نحدد تحديات الخطاب العربي الإسلامي بما يلي: ([1])

1. التحديات الداخلية :

إن الظروف التي مرت بها الأمة من استعمار واحتلال وقهر وتشريد واغتصاب أجزاء كبيرة من أراضيها واختزال سيادتها على أراضيها ، ساهم في ظهور حالة من الفقر والتخلف (العلمي والثقافي والاجتماعي والاقتصادي ....) ، بالإضافة الى الخلافات الداخلية بين أبناء الأمة وعدم تحديد المرجعيات ، على مدار عقود من الزمن ، كل ذلك وغيرة ساهم في إيجاد حالة من الإحباط واليأس والتقوقع وغياب الحماس والاندفاع لدى الإنسان العربي والمسلم ، بالإضافة إلى التخلف الاقتصادي والاضطراب السياسي والتراجع العلمي والثقافي والإعلامي مما اثر عميقا على مفردات الخطاب العربي الإسلامي وجعله ضعيفا هزيلا لا يقوى على إيصال صوته إلى الأخر .

2. التحديات الخارجية :

إن أطماع الأمم المستعمرة في هذة الأمة وخيراتها وما تحتويه من مكاسب بالنسبة لهذه الدول ، جعلها دائما في موضع الفريسة المستهدفة ، لذا فان الطامعين بها سعوا ومنذ البدء الى جعلها ضعيفة هزيلة سياسيا واقتصاديا وثقافيا وعلميا وحجب كل ما من شانه أن يعمل على تغيير حالها ، مما انعكس سلبا على واقع الخطاب فيها فاستمد ضعفه من ضعفها ، وافتقر إلى مقومات القوة والمهنية والعلمية ، وطغت علية السلبية أكثر من الايجابية .

([1]) للمزيد من الفائدة يمكن الرجوع الى : ***http// www. Almessiri.com***

إن غياب الإعلام القوي الهادف الذي يحمل الرسالة ويوصل الخطاب إلى الأخر ، أيضا كان لة الدور الأكبر في ضعف مفردات هىا الخطاب وغيابه عن الساحة الدولية .

ان من اكبر التحديات التي يواجهها الخطاب العربي الإسلامي هي (العولمة) بكل ما تحتويه من تجليات وتحديات وتغيرات سواء على الصعيد السياسي او الاقتصادي ام الاجتماعي ام الثقافي او الأمني والعسكري ، وهذا ما اشرنا إلية سابقا من ان الخطاب يجب ان يكون عصريا حركيا ديناميكيا سريع التغير مستخدما أساليب حديثة متطورة متناغمة مع مجريات الأحداث الدولية ومواكبا لمتطلبات الحداثة وتسارع العولمة ومستجداتها .

المستقبل والحلول :

أسلفنا بان الظروف الدولية والواقع المعاش هي مؤثرات هامة على مجرى الخطاب العربي الإسلامي ولا يمكن تجاهلها او التغاضي عنها ، لذا فان حالة الضعف العام والعفوية والتشدد وضيق الأفق ، وقصور النظر عن المستقبل ، والركون إلى الخلافات والاختلافات ، بالإضافة الى حالة الفقر والأمية والجهل ، والتخلف عن مواكبة الثورة العلمية والتقنية ،....... الخ ، وكل المظاهر السلبية التي يحيا في ظلها هذا الخطاب، هي سلبيات يجب ان تسعى الأمة للتخلص منها ونبذها لأنها معوقات ستبقي الخطاب يعيش في حالة من عدم المصداقية والثقة وقلة التأثير في الأخر الذي نريده ان يعرف حقيقة عروبتنا وإسلامنا ، وخاصة في ظل الصورة القاتمة التي ينقلها الإعلام الغربي عن العرب والمسلمين .

لذا فان المستقبل يجب أن يشهد تطورات وتجليات تنقل الأمة وخطابها إلى مصاف الأمم لتأخذ دورها الإنساني وتساهم في صياغة التاريخ البشري بكل فعالية وحيوية ، ومن الخطوات التي يمكن للأمة إتباعها ما يلي :

1. اعتلاء ناصية العلم والمعرفة ومسايرة التطورات العلمية والتكنولوجية ، والتخلص من الأمية والجهل الذي يدب في اواصالها .
2. نبذ الخلافات السياسية ، التي تشرذم الأمة ولا تؤدي إلى نتيجة تذكر .
3. صناعة إعلام قوي هادف مدعوم بالطاقات المتعلمة المتدربة التي تحمل مشروع الأمة بكل حماس وصدق وفاعلية إلى الأخر بأسلوب حضاري، وحكمة وموعظة حسنة ، بعيدا عن التشدد والتشدق .
4. التضامن بين أبناء الأمة الواحدة والتعاون وتوحيد الجهود والتنسيق المستمر ، للخروج بخطاب موحد المضامين ، مشترك الأسلوب ، يعبر عن الأمة باجمعها .
5. لا يمكن للخطاب العربي الإسلامي الخروج من عقدته إلا بتحرير العقل من التقليد والجمود ، وفتح أفاق التطور والتقدم أمامه وذلك من خلال الاستفادة والتعلم من تجارب الآخرين ، واخذ الايجابيات النافعة والابتعاد عن السلبيات .
6. تقديم البدائل والحلول لمشكلات العالم والتي نرى ان لدينا الحل لها ، لا أن نكتفي بالانتقاد وتوجيه التهم للآخرين .
7. ان يسعى كل واحد في الأمة ان يكون قدوة يحتذى لغيرة من بني البشر ويضرب الأمثلة الحسنة النابعة من أخلاقيات العروبة والإسلام .
8. الاعتزاز والفخر والتباهي باللغة العربية والإسلام في كل محفل ومقام ، لا أن نستحي بديننا ولغتنا ، فعندما نخجل منهما يستهين بنا العالم كله .

وأخيرا نقول إن الخطاب العربي الإسلامي المعبر عن هموم الأمة وقضاياها وآمالها وآلامها ، هو الخطاب المبني على العلم والمعرفة الذي يستجيب لمتطلبات المستقبل المواكب لركب الحضارة الإنسانية ، المحافظ على الثوابت ، وبمعنى أخر هو الخطاب الذي يجمع مابين الأصالة والمعاصره ويوائم بينهما، وإلا فان سيل العولمة الجارف لن يرحم احد.

خاتمـــة

أدركنا ومن خلال هذا البحث المتواضع بان سمة الحياة الإنسانية هي التغير الدائم والمستمر ، وان التكنولوجيا الحديثة بمعطياتها المختلفة ساهمت وتساهم في زيادة وتيرة هذا التسارع لدرجة ان الأشياء تتغير بين ليلة وضحاها ، ولابـد ان ندرك ان هذا التغير يفرض على الإنسان الذي هو المحـرك الرئيسـي والفاعـل في هذا الكون ان يتفاعل ويتأقلم معه ويجاري سرعته ويواكـب تغيراتـه وإلا تحـول من مستفيد لما صنعت يداه الى تائه حائر يتلمس خطاة في وسط الزحام ، يتضـح مما سبق بان العولمة أصبحت كالريح الـتي لا يمكـن تفاديهـا او تلاشـي تأثيراتهـا مهما فعل الإنسان ومها حاول ان يفعل حيـث بـات أنـة لـن يسـتطيع إلى ذلـك سبيلا ، لذا بات من ألحتم علية أن يهيىء نفسه لمواجهة متطلبات هذه المرحلة من الحياة موظفا كل جهوده للاستفادة من ايجابياتها ونبذ سلبياتها حفاظا على هويته الخاصة ، وهنا يأتي دور المسلمين في أرجاء الأرض ليحددوا موقفهم من العولمة وأحمالها وان لا يكونوا كالريشة في مهب الريح ليس لهم رأي او قـرار لأنهـم ان كانوا كذلك فاتهم كل شيء وأصبحوا في ذيل القافلة .

إن خصوصـيتنا كأمـة مسـلمة ، سـواء الخصوصـية الدينيـة او الثقافيـة او الحضارية لا تمنعنا من أن نعززها ونقويها وندفع بها إلى مدارج الرقي والتحضر والتمدن لتكون عامل قوة لنـا نـنهض بهـا وتـنهض بنـا ، والنهـوض لا يكـون بالتحسر على الأمجاد الماضية فحسب بل الاستفادة من واقع الحال والتفاعل مـع ما يطرحه ويفرزه العلـم مـن تحـديثات وتطـورات واختراعـات لم يمنعنـا ديننـا الحنيف ان نستفيد منها ونأخذ بها ، لأنة دين صالح لكـل زمـان ومكـان نـادى برقي العقل وانطلاقة من عقاله وتفكره في خلق السموات والأرض لان في ذلك اطلاع على خلق الله وقدرته وهو طريق يوصـل الى تعميـق الإيمـان بـالله توثيـق العلاقة بين العبد وربة .

لذا جاء هذا الكتاب ليوضح الآثار التي أصابت الأمة لأنها لم تأخذ بجوانب الاستعداد الكافية لتلقي معطيات العصر والاستفادة من علومه ومعارفه ثم جاء فيه التوضيح للطريق الصحيح التي على الأمة سلوكها علها تصل الى مبتغاها وهدفها النبيل .

"وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون"

المصـــــادر

-القرآن الكريم

1.عبد الرشيد عبد الحافظ،الآثار السلبية للعولمة على الوطن العربي، مكتبة مدبولي، القاهرة،2005.

2. عزيز الحاج، الغزو الثقافي ومقاومته ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت،1983.

3.محمد عوض الهزايمة ،قضايا دولية،عمان ،2004.

4. محمد القطاطشة،العولمة، ط1،عمان،2001.

5. حميد السعدون ، العولمة وقضايانا ، دار وائل للنشر ،عمان ، 2000.

6. محمد مرهف حسين أسد، العولمة رؤية إسلامية، دار وحي القلم ن دمشق ، 2003.

7. إبراهيم أبراش ، علم الاجتماع السياسي، دار الشروق ، عمان ، 1998.

8. حميد السعدون ، فوضوية النظام العالمي الجديد واثارة على النظام الإقليمي العربي، دار الطليعة العربية ، عمان ، 2001.

9. سعد حقي مبادئ العلاقات الدولية ، دار وائل للنشر ، عمان ،ب ت.

10. محمد شلال العاني ، عولمة الجريمة ، سلسلة كتاب الأمة ، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، قطر، العدد، 107، جمادى الأولى 1426.

11. تيمونز روبرتس ، اليمي هابت، من الحداثة إلى العولمة ، ترجمة سمر شيشكلي ، مراجعة ، محمود ماجد عمر ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ، ديسمبر ، 2004.

12. اسحق الفرحان ، مشكلات السباب في ضوء الإسلام ، دار الفرقان ، عمان ، 1982.

13. عبد العزيز التويجري، العالم الإسلامي في عصر العولمة، دار الشروق ، 2004.

14. محمد خليفة ، النظام العالمي بين المقصود والمنشود ، مركز الدراسات العالم الإسلامي، ط1، 1992.

15. ممدوح محمود منصور ، العولمة دراسة في الظاهرة والمفهوم والأبعاد ، دار الجامعة الجديدة ، الإسكندرية ، 2003.

16. المأمون علي جبر عمار الحامي ، أخلقة العولمة بالسلوك الفطري ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، 2002.

17. عبد سعيد عبد إسماعيل ، العولمة والعالم الإسلامي أرقام وحقائق ن دار الأندلس الخضراء ، 2001.

18. محمد علي سميران وآخرون ، تنظيم الأسرة والمجتمع ، دار المسار ، المفرق ، 2006.

19. نزار عبد اللطيف الحديثي ، محاضرات في التاريخ العربي ، مطبعة جامعة بغداد ، بغداد ، 1979.
20. محمد قطب شبهات حول الإسلام ، دار الشروق ، بيروت ، 1980.
21. فتحي يكن ، كيف ندعوا إلى الإسلام ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1980.
22. محمد سليمان الدجاني ، منذر سليمان الدجاني ، الساسة مفاهيم ونظريات ، عمان، 1986.
23. شعاع اليوسف ، التقنيات الحديثة فوائد وإضرار ، سلسلة كتاب الأمة، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، قطر ، 1427.
24. محمد البهي ، الدين والحضارة الإنسانية ، دار الفكر ، القاهرة ، 1974.
25. مديرية الإفتاء في القوات المسلحة الأردنية ، محاضرات في الثقافة الإسلامية ، عمان ، ب ت.
26. رشاد عارف يوسف السيد، مبادئ في القانون الدولي ،ط2 ، دار المستقبل للنشر والتوزيع ، عمان ،1991.
27. معهد بحوث الأمم المتحدة ، حالات فوضى الآثار الاجتماعية للعولمة ، ترجمة هشام عبد الله ، مراجعة عمران أبو حجلة ، بيروت ، 1998.
28. جبرائيل الموند ، بنجهام باول ،السياسات المقارنة في وقتنا الحاضر ، ترجمة هشام عبد الله ومراجعة سمير نصار الأهلية للنشر والتوزيع ، عمان ، 1998.
29. فيليب ملمايكل ، العولمة أساطير وحقائق، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت،العدد 31، 2004.
30. انطوني جيدنز ، ترجمة شوقي جلال ،بعيدا عن اليسار واليمين ، سلسلة عالم المعرفة ،الكويت ،العدد286، 2002.
31. عبد الله الطاهر وآخرون ، مبادئ الاقتصاد السياسي ، دار وائل للنشر ، عمان ، 2002.
32. محمد حسين الصافي ، انهيار الرأسمالية والفوضى القادمة ، مكتبة مدبولي ، القاهرة، 2004 .
33. إبراهيم مذكور ، المعجم الوجيز ، دار التحرير للطبع والنشر ، القاهرة ، 1989.

المجلات والدوريات والصحف :

- مجلة عالم المعرفة الأعداد: 29 أيار 1980 ،العدد59 ، 1982، العدد 184، ابريل 1994 ، العدد 238 ، أكتوبر 1998 ، العدد 265 ، يناير 2001.
- مجلة المستقبل العربي ،2002
- مجلة الأقصى ، القوات المسلحة الأردنية
- مجلة البيان – العدد 219، ديسمبر 2005.

- مجلة الطريق العدد 4/ آب 1997.
- مجلة الدراسات الامنية ، العدد الأول ، حزيران ،2004.
- محاضرات جامعية لطلبة العلوم السياسية / جامعة آل البيت / الأردن.
- مجلة المنتدى،اب2005.
- جريدة الرأي الأردنية .(أعداد مختلفة).
- جريدة الدستور الأردنية .(أعداد مختلفة).
- تقارير معهد الأمم المتحدة للتنمية الاجتماعية.
- تقارير الأمم المتحدة للتنمية البشرية .
- **المواقع الكترونية :**
- www. Ibn- rushed.com
- www.islamset.com
- www.rezgar.com
- WWW.U.M.NEDU/HUMANRTES/ARAB/BO26
- www.alsafahat.net/index
- http//hem.bred band.net
- http//www.balagh.com
- http//www.aljazeera.net
- www.almessiri.com

الفهـــرس

الفصل السادس

الفصل السابع

أثر العولمة في الحياة المعاصرة



الدكتور
هايل عبد المولى طشطوش



دار البداية ناشرون وموزعون
عمان - وسط البلد - تلفاكس : 4640679 6 962+
ص.ب 184248 عمان 11118 الأردن
Info.daralbedayah@yahoo.com
خبراء الكتاب الأكاديمي



تلفاكس : 4658263 6 962+
ص.ب 184248 عمان 11118 الأردن
info.daralmostaqbal@yahoo.com
مختصون بإنتاج الكتاب الجامعي